جامعة دمشق .
كلية الآداب والعلوم الإنسانية .
قسم التاريخ .

C-V/C1
V

قافلة الحج الشامي
وأثارها الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام

((١٢٢٠-١٣٢٧هـ/ ١٨٠٥-١٩٠٩))

((بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر))

بإشراف

الأستاذ الدكتور يوسف نعيسه

إعداد

لورنس الحسن البرهو السوسي

العام الدراسي ٢٠٠٦ ــ ٢٠٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـداء

﴿ وَقُل رَّبِّ ارحمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

إلى والدي ووالدتي....

لأنهما فوق ما أنجزت وما أُنجز

ولأنهما ضحى طريقي ومنارتي

إلى ساميات الأهداف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــمحتويات

رقـــم الصفحة

المقدمة. ٨

دراسة في مصادر ومراجع البحث. ١١

الفصـــل الأول. ١٧

قوافل الحج (نظرة عامة قبل عام ١٨٦٩م)..... ١٨

أ- درب الحج العراقي (درب زبيدة)..... ١٨

ب-درب الحج المصري..... ١٨

ج- درب الحج الشامي..... ١٨

د- درب الحج الجنوبي..... ١٩

١- قافلة الحج اليمني ١٩

٢- قافلة الحج العراقي ٢٠

٣- قافلة الحج المصري ٢١

٤- قافلة الحج الشامي ٢٣

أ- تمويل قافلة الحج الشامي (الدورة) ٣٠

ب-موكب الزيت والشموع ٣١

ت-موكب المحمل والسنجق ٣٣

ث- موكب المحمل والسنجق الشامي..... ٣٥

ج- أمير قافلة الحج ومهامه ٤١

ح- القوات والموظفون المرافقون لقافلة الحج الشامي..... ٤٦

١- السقاة. ٤٧

٢- المشاعلية..... ٤٧

٣- المقوّمون..... ٤٧

٤- العكامة ٤٨

٥- الكاتب المرافق لقافلة الحج..... ٤٨

٦- القاضي المرافق لقافلة الحج..... ٤٨

٧- الميقاتي..... ٤٩

٨- المؤذن..... ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- البيطار..... ٤٩
١٠- القسام ٤٩
١١- أبو القطط..... ٤٩
١٢- أمير الصرّة..... ٥٠
١٣- الجوخى دار (الجوقدار) ٥٠
١٤- موظف البريد ٥٠
١٥- العساكر المرافقة لقافلة الحج..... ٥٠
- الجند المرتزقة..... ٥١
- اللاوند ٥١
- الجند المغاربة..... ٥٢
- التفنكجية..... ٥٢
- الدالاتية ٥٢
- السباهية..... ٥٣
خ- الصرة والهدايا..... ٥٤
د- قافلة الجردة..... ٥٧
ذ- وسيلة السفر (المطايا)..... ٥٩
١- التخت روان..... ٥٩
٢- المحاير..... ٦٠
٣- الشباري..... ٦٠
الفصـــل الثـــاني..... ٦٢
أولاً: الأثر الاقتصادي لقافلة الحج الشامي ٦٣
أ- أثر قافلة الحج اقتصاديا على دمشق..... ٦٣
ب-الحرف التي تنشط في دمشق وقت الحج..... ٦٨
١- القربي..... ٦٨
٢- الشماع..... ٦٩
٣- الجمال..... ٦٩
٤- الخيمي..... ٦٩
٥- الشيال..... ٦٩
٦- الجراد..... ٦٩
٧- البكسمادية (البقسماطية)..... ٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- النخاس..... ٧٠
٩- المحايري..... ٧٠
١٠- المقوم..... ٧٠
١١- المهتار..... ٧٠
١٢- الرميحاتي..... ٧٠
١٣- صناع العباءة..... ٧١
ج- أثر قافلة الحج اقتصادياً على سكان المدن المقدسة..... ٧١
د- السلع التي يتم التبادل والمتاجرة بها مع قافلة الحج..... ٧٣
هـ- الأسواق الموسمية التي كانت تعقد وتنشط على طول طريق الحج..... ٧٦
ثانياً : الأثر الاجتماعي لقافلة الحج الشامي الشامي..... ٧٨
أ- أثر قافلة الحج اجتماعياً على دمشق..... ٧٨
ب- أثر قافلة الحج اجتماعياً على الأماكن المقدسة..... ٨٢
ثالثاً : الأثر الصحي لقافلة الحج كانت تعقد وتنشط على طول طريق الحج.. ٨٥
رابعاً : الأثر الثقافي لقافلة الحج الشامي..... ٨٧
الفصل الثالث ٩١
أولاً-كيفية حماية طريق الحج في الذهاب والإياب..... ٩٢
ثانياً- الطرق والمنازل والمحطات التي تسلكها قافلة الحج الشامي..... ٩٣
أ- الطريق من دمشق إلى المدينة المنورة..... ٩٣
ب-الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة..... ١٠٣
ثالثاً- طريق الإياب من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة..... ١٠٦
أ- الدرب السلطاني..... ١٠٦
ب- الدرب الفرعي..... ١٠٧
ج- الدرب الغاير..... ١٠٩
د- الدرب الشرقي..... ١٠٩
هـ- الدرب الغزاوي..... ١١٢
رابعاً- منازل قافلة الحج الشامي من المدينة المنورة إلى دمشق..... ١١٣
خامساً – عادات أهل دمشق في استقبال الحجاج..... ١١٥
سادساً – القلاع ودورها في تأمين الحماية على طول طريق الحج..... ١١٧
١- قلعة مزيريب..... ١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- قلعة ذات الحاج..... ١١٨
٣- قلعة تبوك..... ١١٨
٤- قلعة الأخيضر..... ١١٨
سابعاً- البدو على طريق الحج الشامي..... ١١٩
١- البدو وعلاقة الحكومة العثمانية بهم..... ١١٩
٢- موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي..... ١٢٢
٣- قبائل البدو على طريق الحج الشامي..... ١٢٤
أولاً- قبائل جنوب الشام (قبائل بادية الشام)..... ١٢٤
أ- قبيلة الولد علي..... ١٢٤
ب-قبيلة السردية..... ١٢٥
ت-قبيلة السرحان..... ١٢٦
ث- قبيلة السلوط..... ١٢٦
ج- قبيلة بني صخر..... ١٢٧
د- قبيلة بني عطية..... ١٣٠
ثانياً- قبائل الحجاز..... ١٣١
أ- قبيلة بلي..... ١٣١
ب-قبيلة حرب..... ١٣١
ت- قبيلة مطير..... ١٣٣
الفصل الرابع:..... ١٣٤
المتغيرات التي أثرت على قافلة الحج الشامي
أولاً- قافلة الحج الشامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر... ١٣٥
أ- الحركة الوهابية(السلفية) وتأثيرها على قافلة الحج الشامي... ١٣٥
ب- الحكم المصري للشام وموقفه من قافلة الحج الشامي..... ١٣٩
ثانياً- قافلة الحج الشامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر..... ١٤٢
أ - قناة السويس وأثرها على قافلة الحج الشامي..... ١٤٣
ب- إنشاء سكة حديد الحجاز ومدى تأثيرها على قافلة الحج.. ١٤٧
١- فكرة إنشاء الخط الحجازي ١٤٧
٢- أهداف الخط الحديدي الحجازي..... ١٤٩
أ- أهداف دينية..... ١٤٩
ب- أهداف سياسية ١٤٩
ج – أهداف عسكرية..... ١٥٠
د- أهداف اقتصادية..... ١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الموارد المالية لإنشاء الخط الحديدي الحجازي..... ١٥١
٤- وقف سكة حديد الحجاز..... ١٥٣
٥- تأمين المعدات اللازمة لإنشاء المشروع..... ١٥٣
٦-تنفيذ المشروع..... ١٥٤
٧- الصعوبات التي واجهت العمل في الخط الحديدي الحجازي. ١٥٧
٨- انعكاسات مد الخط الحديدي الحجازي..... ١٥٨
٩- محطات خط حديد الحجاز..... ١٥٨
١٠- نهاية خط حديد الحجاز..... ١٦٢
١١- موقف القبائل البدوية من الخط الحديدي
الحجازي..... ١٦٢
- فوائد سكة حديد الحجاز على المدن والقرى والبدو المنتشرة
في البادية الشامية والحجازية..... ١٦٥
ث- المتغيرات المستجدة التي أنهت قافلة الحج وأوقفتها نهائياً
عن المسير..... ١٦٧
- الخاتمة..... ١٦٨
ثبت المصادر والمراجع..... ١٧٢
الملاحق..... ١٨٨
الملحق رقم (١): أمر سلطاني..... ١٨٩
الملحق رقم (٢): أمر سلطاني ١٩٠
الملحق رقم (٣): رسالة إلى السلطان لرفع إمارة الحج عن ولاة دمشق... ١٩١
الملحق رقم (٤): بعض المكاييل والأوزان في العهد العثماني..... ١٩٢
الملحق رقم (٥): وثيقة شرعية..... .. ١٩٤
الملحق رقم (٦): وثيقة شرعية..... ١٩٥
الملحق رقم (٧): صورة من مخطوط محمد عارف المنير ١٩٦
الملحق رقم (٨): جدول بما يقابل السنة الهجرية في السنة الميلادية..... ١٩٧
الملحق رقم (٩): ولاة دمشق بين ١٨٠٠- ١٩١٠..... ٢٠١
الملحق رقم (١٠): قصيدة من الشعرفي وصف ركب الحج..... ٢٠٦
ملاحق الصور والخرائط..... ٢٠٨
الشكل رقم (١) المواقيت وأعلام الحرم والطرق المؤدية لهما..... ٢٠٩
الشكل رقم (٢) مناسك الحج مراحل سير حجة الرسول(ص)
في حجة الوداع..... ٢١٠
الشكل رقم (٣) منازل الحج المصري..... ٢١١
الشكل رقم (٤) بلاد الشام الجنوبية..... ٢١٢
الشكل رقم (٥) حي ومسجد السنانية ٢١٣
الشكل رقم (٦) جسر المعظم..... ٢١٤
الشكل رقم (٧) لباس الإحرام ٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (٨) قلعة الأخضر(الأخيضر)..... ٢١٦
الشكل رقم (٩) بركة المعظم وهي خالية من المياه..... ٢١٧
الشكل رقم (١٠) الآبار الموجودة على طريق الحج..... ٢١٨
الشكل رقم (١١) قوافل الجمال التجارية في ساحة المرجة..... ٢١٩
الفهارس..... ٢٢٠
- فهرس الأعلام ٢٢١
- فهرس الأماكن..... ٢٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

كانت السمة الدينية من أهم السمات التي اتسمت بها تشريعات الدولة العثمانية ومعظم تصرفاتها .

فقد كان للهيئة الإسلامية ، وضع معترف به ومركز مرموق . يطلق على رئيسها لقب المفتي أو (مفتي استانبول) ثم تغير هذا اللقب إلى شيخ الإسلام الذي كان يشرف على الهيئات القضائية والهيئات ذات الطابع والنشاط الديني . وكان السلاطين أنفسهم حريصين على تدعيم سلطته ، ويستعينون به كلما أقدموا على أمر خطير. إذ كان يصدر فتوى تجهيز الحرب دفاعاً أو هجوماً وعقد الصلح وغير ذلك من الأحداث الجسام . وقد اشتهرت الدولة العثمانية بإقامة الشعائر الإسلامية ، وتعظيم العلماء وأهل الدين ، والتمسك بخدمة الحرمين الشريفين . فمنذ سيطرتها على بلاد الشام عام ١٥١٦م ، وعلى مصر عام ١٥١٧م ، خُطب للسلطان سليم على المنابر ، بأنه خادم الحرمين الشريفين . وقد حرص على تأكيد اهتمامه بهذا الشأن . وبصفة عامة ، فقد أبدى السلاطين العثمانيون اهتماماً بالغاً بشؤون الحرمين ، وحاولوا دائماً الظهور بمظهر حماة الإسلام ، العاملين على تدعيم أركانه وإعلاء شأنه . ومن هنا جاء حرصهم على استمرار قيام المسلمين برحلة الحج إلى بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج . وكان من الطبيعي ، أن تقوم الحكومة العثمانية بالحفاظ على أمن الحجاج وسلامتهم ، وتأمين طريق الذهاب والإياب لقاصدي الحرمين .

ومن خلال ذلك ، جاء اهتمام الدولة العثمانية بقافلة الحج الشامي التي كانت إحدى قافلتين رئيستين في الدولة العثمانية . وأمّا القافلة الأخرى فهي قافلة الحج المصري . وكان محور بلاد الشام هو الطريق الأساسي الذي زاد اهتمام الحكومة العثمانية به . ولم يشمل اهتمامها الحجاج فقط بل تعدّاهُ إلى أبناء الشام بشكل عام، لما كان يتم من نقل وتبادل للسلع ، بين الحجاج وسكان المناطق الأصلية . وقد لعبت قافلة الحج الشامي دوراً هاماً في تاريخ دمشق وبلاد الشام بعامة ، من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ، إذ كانت دمشق مركزاً لتجمع عدد كبير من الحجاج العرب والعجم .

لقد راقني هذا البحث ، بعد أن رأيت معظم مؤرخي الدولة العثمانية والأقاليم التابعة لها ، قد انكب على دراسة النواحي السياسية ، بالدرجة الأولى .

وفي الحقبة المعاصرة ، حاول بعض الباحثين تناول الجوانب الأخرى من تاريخها الاجتماعي أو الاقتصادي ، فآثرتُ أن أتناول بالبحث ، جانباً من الناحية الدينية ،وهو (قافلة الحج الشامي وأثارها الاقتصادية والاجتماعية على بلاد الشام، مابين عامي ١٢٢٠-١٣٢٧ هـ/ ١٨٠٥- ١٩٠٩) . وقد دفعني للقيام بهذه الدراسة العلمية ، إجلاء الغموض عن قافلة الحج الشامي ، لما كان لها من تأثير كبير على حياة أهل الشام وغيرهم ، وما أصاب القافلة من تأثير ، بفعل التغيرات التي حصلت في بلاد الشام وما حولها ، وانعكاس ذلك على القافلة وطريقها وحجمها وتجارتها .

وقد تناول بعض الباحثين جانباً من قافلة الحج الشامي أو بعض الجوانب ، في فترة محددة ، الأمر الذي دعاني لتناولها من جوانبها المختلفة ، وفي حقبة تاريخية طويلة ، حصل فيها متغيرات عدة ، خاصة في مجال النقل . وحاولت رصد أهم المتغيرات التي طرأت على القافلة ، جراء هذه المتغيرات . ولهذا قسمت بحثي إلى مقدمة وخاتمة وأربعة فصول ، فتحدثتُ في الفصل الأول عن قوافل الحج في العهد العثماني بشكل عام ، ثم انتقلت إلى دراسة قافلة الحج الشامي بشكل تفصيلي، فتناولتُ كيفية تشكُّل العناصر المشاركة فيها ، وقياداتها والقوات المرافقة والموظفين ، وموكب المحمل والصنجق وموكب الزيت والشموع الذي شمل، إضافةً إلى ذلك ، الصرة والهدايا التي كانت ترسلها الدولة العثمانية للقبائل البدوية، ولساكني الحرمين، ثم التعريف بقافلة الجردة وأهميتها.

أما الفصل الثاني فإنه يبحث في أهمية قافلة الحج ، اقتصاديا واجتماعياً ، والقوميات المشاركة فيها ، وأهم السلع التي تم تبادلها، والتجار المرافقين لقافلة الحج ، وكذلك الأثر الصحي والثقافي ، للقافلة على دمشق وبلاد الشام والأماكن المقدسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الثالث ، فقد خصص لدراسة منازل ومحطات الحج ، بشكل تفصيلي، من نقطة الانطلاق دمشق ، إلى المدينة المنورة ، ومنها إلى مكة المكرمة ، وأهم الدروب التي سلكها الحجاج (السلطاني ، الغاير ، الشرقي ، الفرعي ، الغزاوي) وتوضيح كيفية حماية هذه الدروب ، من اللصوص وقطاع الطرق والبدو المنتشرين على طول الطريق ، و دراسة أهم القوافل البدوية المنتشرة مابين دمشق والأماكن المقدسة ، ومدى تأثيرها سلباً وإيجاباً على قافلة الحج الشامي ، والدور الذي لعبه البدو في نجاح قافلة الحج أو فشلها.

وفي الفصل الرابع والأخير ، قمت بدراسة المتغيرات التي حدثت في هذه الحقبة، والتي أثرت تأثيراً كبيراً على قافلة الحج الشامي . ومن هذه المتغيرات ، ظهور الحركة الوهابية عام ١٨٠٣م في الحجاز ، ومنعها لقوافل الحج ، من الدخول إلى الأماكن المقدسة إلا بشروطها . وكذلك الحكم المصري للشام ، الذي استمر من عام ١٨٣١ إلى ١٨٤٠ . ومن ثم ، شق قناة السويس عام ١٨٦٩م ، و مد سكة حديد الحجاز ، مابين دمشق والمدينة المنورة عام ١٩٠٨. وكذلك ظهور أدوات النقل الحديثة التي أثرت على مسار قافلة الحج الشامي ، والمنطقة بأسرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسة في مصادر ومراجع البحث :

أولاً : الوثائق :

تشكل الوثائق العمود الفقري لأي دراسة تاريخية ، ولاسيما الوثائق المتعلقة بتاريخ دمشق ؛ فهي تضيء جوانب عديدة مازالت غامضة ، وتقدم للباحث ، معلومات قد لا تتوافر في مصادر أخرى .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا ، على ما يلي :

- سجلات محاكم المدن الشامية ، وخاصة سجلات محاكم دمشق ، والتي تأتي أهميتها من كونها تحتوي على معظم المسائل الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، من زواج وطلاق ، وبيع وشراء ، وصية إرث وتركات وألقاب اجتماعية ، وسجل لعمليات الإيجار والاستئجار ، والخصومات والسرقات ، وتعيين القضاة والوظائف الدينية والعلمية . وقد كُتبت معظم هذه السجلات ، باللغة العربية ، وبعضها باللغة العثمانية ، وبخطوط مختلفة يجد الباحث صعوبة في قراءتها.

- وثائق الأوامر والفرمانات السلطانية العثمانية المرسلة إلى دمشق ، والخاصة بمدينتي دمشق وحلب ، ومعظمها مكتوب باللغة العثمانية . وترجم بعضها إلى اللغة العربية.

-وتم الاعتماد كذلك ، على كتاب وثائقي عن بلاد الشام في العهد العثماني ، مابين عامي ١٨٣١- ١٨٤٠م . جمع وتأليف الدكتور يوسف نعيسه . وعدد الوثائق الموجودة فيها ٣٨٢وثيقة . فيها عدد كبير من الوثائق التي يتحدّث عن مخصصات القافلة من مواد تحتاجها ، وعن مخصصات البدو ، من أموال وأشياء عينية ، وذلك بشكل تفصيلي .

ثانياً-المخطوطات:

بالإضافة إلى الوثائق ، تم الاعتماد على بعض المخطوطات ،منها:

-مخطوط السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية الحجازية الشامية ، لمؤلفه محمد عارف بن أحمد المنير ، يتحدث فيه عن سكة حديد الحجاز وأهميتها في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-مخطوط السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية الحجازية الشامية ، لمؤلفه محمد عارف بن أحمد المنير ، يتحدث فيه عن سكة حديد الحجاز وأهميتها في خدمة الحجاج ، وكذلك عن منازل الحج الشامي من دمشق إلى مكة المكرمة،وموقف البدو من السكة الحجازية وقافلة الحج .

-أما المخطوط الثاني الذي تم الاعتماد عليه فهو النفح الفرجي في الفتح الجته جي، لمؤلفه جعفر بن حسن البرزنجي الذي عاش مابين ١٧١٥-١٧٦٤م .

وقد قام بدراسة وتحقيق هذا المخطوط الباحث يوسف الغنيمي ، وقدمه كرسالة ماجستير في جامعة دمشق عام ١٩٩٩م ، تحت إشراف الدكتور يوسف نعيسه . ويعالج المخطوط فترة كاملة من تاريخ دمشق ، وهي فترة الوالي عبد الله باشا الجته جي ، وصدامه مع البدو . وقد أرخ المؤلف الصراع الحاصل بين طائفتي القابي قول وإنكشارية اليرلية ، كما يلقي الضوء على أسماء بعض القبائل البدوية الموجودة على طريق الحج آنئذ . وتحدث في فقرات مختلفة ، عن قافلة الحج، وعن الكارثة التي حلت عام ١١٧١هـ .

ثالثاً-المصادر المطبوعة:

كان لابدَّ من العودة إلى مصادر ترجع إلى فترة أقدم من فترة البحث ، وذلك لأن طقوس واحتفالات قافلة الحج ، ومواكب المحمل والصنجق والزيت والشموع، وكذلك دروب ومحطات الحج ، بقيت على حالها ، طوال فترة الحكم العثماني للبلاد العربية ، ولم يطرأ عليها أيُّ تغير جوهري ، حتى فترة متأخرة ، بعد أنشاء خط حديد الحجاز ١٩٠٨م . ومن هذه المصادر :

*- أحمد البديري الحلاق صاحب كتاب "حوادث دمشق اليومية " الذي رصد فيه أحداث دمشق بشكل يومي بدءاً من سنة ١١٥٤ ، حتى ١١٧٥هـ / ١٧٤١-١٧٦٢م .

حيث قام المؤلف بتسجيل الأحداث التي حدثت في زمانه ، بطريقة إخبارية ، دوَّن فيها حياة دمشق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية . وقام بدراسته وتحقيقه الدكتور أحمد عزت عبد الكريم . ونشره في عام ١٩٥٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٤١هـ . وكان مؤلف الكتاب ضابطاً برتبة أغا لدى والي دمشق سليمان باشا السلحدار ،كما عمل في تعمير قلاع الحج ، خلال القرن الثامن عشر ، عندما كانت دمشق مركزاً للثقل الديني والاقتصادي والثقافي لبلاد الشام . وهو كتاب أتبع المؤلف فيه أسلوب أحمد البديري الحلاق .

*- محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي . وكتابه " المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية " بقسميه الأول والثاني. وقد عاش المؤلف مابين عامي ١٦٦٣- ١٧٤٠م . وتناول بالدراسة ، قضية تولي أمارة الحج وأسباب التعيين أو العزل ، وقام بوصف مواكب قافلة الحج ومنازلها مابين دمشق والأماكن المقدسة ، ودور قبائل البدو في قافلة الحج ، وعلاقتها مع الدولة العثمانية .

رابعاً-المراجع. ٦٤٣٣٠٠

*- محمد كرد علي.صاحب كتاب " خطط الشام " في أجزائه الستة . الطبعة الثانية لدار الملايين في بيروت ١٩٧١م . فقد تم الاستفادة من أجزائه الأخيرة، وخاصة الخامس الذي ساعدنا في رسم درب الحج ، وتحديد عقبات الطريق، وتبيان الجوانب الاقتصادية والثقافية والعمرانية لبلاد الشام ، إبان الحكم العثماني. وقد تحدث المؤلف فيه ، عن خط حديد الحجاز ، بشكل تفصيلي.

*-يوسف جميل نعيسه ، وكتابه " مجتمع مدينة دمشق ما بين عامي ١٧٧٢-١٨٤٠م " بجزأيه الأول والثاني الذي قسمه المؤلف إلى ستة فصول تحدث فيها عن الوضع الاجتماعي لمدينة دمشق ، مع رصد للمتغيرات التي طرأت على هذا المجتمع ، وظواهره المختلفة ، من حاكمين ومحكومين ، وقدّم دراسة عن أهمية دمشق من الناحية السياسية والدينية والثقافية . وقد أتبع المؤلف في البحث ، منهجاً راعى فيه الظاهرة الاجتماعية والمتغيرات ، بحسب التسلسل الزمني .

*- عبد الكريم رافق ، ولاسيما كتابه " العرب والعثمانيون " وكذلك كتابه " بلاد الشام ومصر "، والبحث الذي نشره في مجلة دراسات تاريخية ، العدد السادس تحت عنوان " قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني " ومعظم هذه المؤلفات تؤرخ للحقبة الحديثة للشام ، وتكشف عن جوانب كبيرة من تاريخ الشام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العثمانية . وتكمن أهمية هذه المؤلفات في كونها سلطت الضوء على الأهمية الدينية والسياسية للحج ، ودور الدولة العثمانية في تنظيم قافلة الحج ، ومدى عنايتها بالقافلة ، لما لذلك من أهمية دينية .

*- سيد عبد المجيد بكر ، وكتابه " الملامح الجغرافية لدروب الحجيج " الطبعة الأولى ١٩٨١م . وقد تحدث فيه عن دروب الحجيج بشكل عام ، وهي العراقي والمصري والشامي ، وقام بتأريخ منازل ومحطات الحج مابين دمشق والأماكن المقدسة . وكذلك بين القاهرة ومكة المكرمة . وأبرز المشاكل التي اعترضت مسيرة موكب الحجيج ، والإصلاحات التي أقيمت على طول الطريق .

*- محمد عبد اللطيف هريدي ، وكتابه " شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية " . وقد أرخ فيه دور العثمانيين واهتمامهم بالحرمين الشريفين ، وكيفية الحفاظ على أمن الحرمين . وكذلك ، كتب عن القبائل البدوية المقيمة على طرق القوافل ، ولكن بأسلوب مختصر . وقام بدراسة الموارد المالية التي كانت ترسل لساكني الحرمين والإصلاحات والتجديدات التي أجراها العثمانيون في الحرمين الشريفين . وكانت هذه الدراسة من خلال الوثائق التي وضعها في كتابه مابين الصفحة ٦٧، حتى نهاية الكتاب في الصفحة ١٤١.

خامساً- كتب الرحالة العرب والأجانب .

كتب الرحالة العرب .

*- " الرحلة الحجازية " . تأليف محمد لبيب البتنوني . وقد وصف فيها حج الخديوي عباس حلمي سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م ، وهي من أوفى الرحلات تفصيلاً عن أحوال الحجاز العامة في ذلك العهد . طبع الكتاب في عام ١٩١١م ، في ٣٣٤ صفحة ، ماعدا الخرائط والصور .

*- " مرآة الحرمين " ، تأليف اللواء إبراهيم رفعت باشا ١٢٧٣-١٣٥٣هـ/ ١٨٥٦-١٩٣٤م ، أمير الحج المصري في سنة ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٢، ١٩٠٣، ١٩٠٧م . كتاباً من أمتع كتب الرحلات وأوسعها ، ويقع في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجلدين عدد صفحاتهما ٩٣٥ صفحة ، مع الصور والخرائط . طبع بدار الكتب المصرية عام ١٩٢٥.

*- " الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ". تأليف عبد الغني بن إسماعيل الكناني الحموي الأصل ، المقدسي ، الشهير بابن النابلسي . وقد اشتهر برحلاته إلى عدة بلدان جمعها في هذا الكتاب ، وهو في ثلاثة أجزاء ، تحدث في ثالثها ، عن الحجاز ، ووصف طريق الحج من مصر براً ، إلى المدينة المنورة ، ثم مكة المكرمة ، ثم رافق قافلة الحج الشامي في طريق عودتها إلى دمشق واصفاً منازلها مدعماً هذا الوصف بالعديد من الأشعار . وقد اتبع في أسلوب كتابته لرحلته أسلوبَ كتابة المذكرات يوماً فيوماً . وتعتبر رحلاته هذه ، من أمتع الرحلات وأحفلها بالمعلومات .

كتب الرحالة الأجانب .

*- جوهان لودفنغ بوركهارت. J.L . B urckhardy ١٧٨٩- ١٨١٧. رحالة سويسري شهير . ومن أشهر كتبه :

- رحلات في الجزيرة العربية Travels in Arabia . المطبوع في لندن عام ١٨٢٩م.

- ملاحظات عن البدو الوهابيين

Notes on the Bedwins and Wahabys

المطبوع في لندن ١٨٣١م .

وتُعدُّ مذكرات رحلته مهمّةً ، إذ قدم فيها وصفاً دقيقاً لدرب الحج الشامي ، وكان شاهداً على حركة التبادل التجاري بين الحجيج والبدو . قام بترجمتها عبد الله الصالح العثيمين .

*- الليدي آن بلنت . Lady Anne Blunt ١٨٣٧ - ١٩١٧ م . بريطانية الأصل قامت برحلتين متتاليتين إلى الأراضي العربية بين عامي ١٨٧٨- ١٨٧٩م. الرحلة الأولى كانت إلى الشمال ، ضمن الجزيرة الفراتية وبادية الشام. دونت هذه الأحداث في كتاب بعنوان " قبائل بدو الفرات " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الرحلة الثانية ، فكانت إلى شمال نجد ومنطقة حائل وقد كتبت أحداثها في كتاب بعنوان " رحلة إلى نجد " ، وقام بترجمته والتعليق عليه أحمد أيبش .

وقد اعتمدت على بعض المصادر الأجنبية منها :

*.Koury , George . province of Damascus PH . D. disirtation the University of Michigan . 1978 .

*.Porter . J. L . five years in Damascus . of the History tepographe including on account of the travels and Researchres and Antiquities of that city the Palmyra – Lebanon and Houran . London , 1855 .

*.Browne , W. G . travels in Africa , Egypt and Syria , from the year , 1792-1798.

*.Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland. 1884.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الفصل الأول))

قوافل الحج (نظرة عامة) قبل عام ١٨٦٩م .

١-قافلة الحج اليمني .

٢- قافلة الحج العراقي .

٣- قافلة الحج المصري .

٤- قافلة الحج الشامي .

أ- تمويل قافلة الحج الشامي (الدورة) .

ب- موكب الزيت والشموع .

ت- موكب المحمل والسنجق .

ث- أمير قافلة الحج ومهامه .

ج- القوات والموظفون المرافقون لقافلة الحج الشامي .

ح- الصرة والهدايا .

خ- قافلة الجردة .

د- وسيلة السفر (المطايا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((إنَّ أول بيت وضع للناس لَلذّي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين ، فيه آياتٌ بيناتٌ مقام إبراهيم ومَن دخله كان آمناً ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين))[1].

قوافل الحج (نظرة عامة) قبل عام ١٨٦٩م .

شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي وما قبله ، ظهور وتطور سبع طرق رئيسة للتجارة والحج هي: طريق الحج الكوفي، و الحج المصري، و الحج الشامي، و الحج البصري، و الحج اليمني الساحلي، و الحج اليمني الداخلي، و الحج العماني[2]. وهذه الدروب لم تكن وقفاً على قافلة الحج ، بل كانت أيضاً، طرقاً للمواصلات والتجارة ، من بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية .

و أشهر دروب الحج كانت:

أ- درب الحج العراقي (درب زبيدة)[3] : ويسمى درب الكوفة ــ مكة المكرمة، وطوله١٣٠٠ كم.

ب- درب الحج المصري: وهو دربان ، بحري وبري . البري عبر سيناء ، وعلى طول ساحل البحر الأحمر ، متجهاً إلى مكة ، وتبلغ مسافته حوالي ١٥٠٠ كم . أما البحري فيمتدّ من القلزم على خليج السويس ، إلى جدة أو ينبع[4].

ج- درب الحج الشامي: وينقسم إلى اثنين ، إذ يبدأ الأول من دمشق إلى عمَّان فتبوك ثم المدينة المنورة .

---

(١) القرآن الكريم: سورة آل عمران . الآية رقم ٩٧ . ظلت مكة من أعمر مدن الجزيرة الدينية لتبلغ أهلها بموسم الحج وظلت مكة عاصمة المملكة العربية السعودية ما يقرب ثماني وعشرين سنة ، فازدهرت وتقدمت على كل مدن المملكة ، وتشهد اليوم تطوراً كبيراً من أجل استقبال الحجاج الوافدين إليها . وستظل مكة مدينة الإسلام وعاصمته ومهوى أفئدة المؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. أنظر. البلاذري، عاتق بن غيث: الرحلة النجدية ، دار المجتمع العلمي، ط١ ،جدة ، د.ت ، ص ١٥٠ و ١٥١ .

(٢) الجزيرة: صحيفة سعودية، تصدر على شبكة الإنترنت، الجمعة٧ ذو الحجة١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، العدد١٠٣٨٢ .

www. Suhuf . net .

(٣) يعد طريق الحج من الكوفة إلى مكة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي . وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم درب زبيدة نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر زوجة الخليفة هارون الرشيد. انظر ، صحيفة الجزيرة ، المرجع السابق .

(٤) بكر، سيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، مطبعة تهامة، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٧٥ – ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدأ الثاني من جنوب فلسطين إلى العقبة ثم يلتحم مع الدرب المصري[1].

د- درب الحج الجنوبي : وهو من أقدم الدروب ، وينقسم إلى دربين ، حيث يمر الدرب الأول من صنعاء إلى الطائف عبر الجبال، أمَّا الدرب الثاني فهو درب الساحل عبر سهول تهامة ، من عدن إلى الليث ، ومن ثم مكة المكرمة . وكان يستخدمه أيضاً الحجاج القادمون عبر البحر ، من شرق أفريقيا[2].

١- قافلة الحج اليمني:

وهي تضم حجاج اليمن القادمين من الهند وماليزيا واندونيسيا بحراً، وأيضاً حجاج الحبشة والصومال والأفارقة[3] الذين يصلون إلى مصوع وسواكن، ومن ثم إلى موانئ اليمن.

وكانت قافلة الحج اليمني تخرج وسط احتفال كبير من لحج إلى يكرد، ثم تعز، ثم وادي الحسنا إلى حيس ، ثم إلى زبيد فرفع ، ومنها إلى بيت العقبة الصغير، ثم إلى قطيع والمنصورية. (وقد ذكرنا أن هناك دربين للحج اليمني) ونجد أن حجاج شحر يتجهون إلى حضرموت براً ثم صنعاء وبعدها ينضمون إلى قافلة صنعاء ويتجهون معاً إلى مكة [4].

وكان يصاحب قافلة الحج اليمني المحمل[5]، ففي عام ٩٦٣ هـ /١٥٥٥م عرض مصطفى باشا والي اليمن على السلطان أن يحدث محملاً يمنياً ، فأذن له ،

---

(١) نواب، عواطف محمد يوسف : الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٢) هريدي، محمد عبد اللطيف: شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، دار الزهراء للنشر ، ط١، ١٩٨٩، ص ٤٠.

(٣) القطوري ، أحمد المرسي: وأوراق تركية حول الثقافة والحضارة القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ص ١٤٣. أيضاً، الشناوي، عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة أسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ٤ أجزاء ، ج١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ، ص ٥٩.

(٤) القطوري، أحمد المرسي : المرجع السابق ، ص ١٦٤.

(٥) أباظة، فاروق عثمان: الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ – ١٩١٨ م، دار العودة ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ/١٩٧٩م، ص ٢٠ – ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمر مجيئه إلى سنة ١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩م[١]. وقد كان خروج قافلة الحج اليمني متقطعاً، حيث ألغيت عام ١٠٤٥هـ ١٦٣٥/م عندما استقل اليمن بزعامة الأئمة الزيديين ، عن العثمانيين[٢].

٢- قافلة الحج العراقي:

وتضم هذه القافلة حجاج العراق وفارس . وكان لهذه القافلة دربان: درب البصرة، حيث سارت القافلة من البصرة إلى الدرهمية، ثم إلى صفوان، فإلى منزل جهر ، ثم تتجه إلى حصن النبي موسى حتى تصل إلى ذات عرق التي تعد ميقات حجاج نجد والبصرة للإحرام فيها، ثم يتجهون إلى بستان بني عامر ، فمكة المكرمة ، حيث بيت الله الحرام . أمَّا الدرب الثاني فهو درب بغداد ، حيث يتجمع حجاج فارس وأذربيجان وكردستان وغيرها من هذه المناطق في بغداد وتتحرك القافلة من هناك حتى تنزل بهضبة (صرصران) ومنها إلى شط الفرات ثم إلى الكوفة، فالقادسية، فالعذيب، فمغيثة، فالقرعاء، فواقصة، فالعقبة، فالقاع، فزبالة، فالشقوف، فالبطان، فالثعلبية، فالخزيمية، فالأجفر، ففيد، فتوز، فسميرا، فالحاجر، فالنقرة، فمغيثة، فالماوان، فالربذة، فالسليلة، فعمق، فمعدن بني سليم، فالأقيعية، فالمسلح[٣]، فغمرة، فذات عرق، فبستان بن معمر،إلى مكة المكرمة[٤]. ولحماية دروب هذه القوافل، كانت الدولة تقيم الحصون والقلاع على طول الطرق ، وتؤمن

---

(١) السباعي، أحمد: تاريخ مكة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٣٩٨. أيضاً، رفعت، إبراهيم: مرآة الحرمين، دار المعرفة ، جزءان ، ج٢ ، بيروت ، د.ت ، ،ص ٣٠٤.

(٢) في أواخر عام ١٥٩٧م ظهر في اليمن رجل من الزيدية له شخصية قوية ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، وهو الإمام القاسم بن محمد . درس العلم على يد كبار علماء الزيدية ، ووجد نفسه أهلاً لإنقاذ الإمامة من الاضطهاد العثماني ، فقام بطرد العثمانيين ، واصفاً اياهم بأنهم أعداء الله الذين ظلموا العباد وأظهروا في الأرض الفساد . وفي عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م وفي عهد ابنه الأكبر محمد تم إخراج العثمانيين من اليمن عام ١٦٣٥م. وبذلك توقفت قافلة الحج التي كانت ترسل تحت الراية والأبهة العثمانية . انظر ، عمر ،عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦- ١٩٢٢م دار النهضة، العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٠٢. أيضاً ، رافق : العرب والعثمانيون ، ٩٢٢ـ ١٣٣٥هـ / ١٥١٦-١٩١٦م ، ط٢ ، دمشق ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) القطوري : مرجع السابق ، ١٥١-١٤٣. أيضاً ، الشناوي : مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥٩.

(٤) بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٣٤ـ ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوات التي تقوم بالحراسة ، ودرء خطر البدو في الطريق. ومن أجل هذه القافلة، وقبل خروجها ، كانت تقام الاحتفالات لخروج الصرة والمحمل وموكب الحج[١]. وكان المحمل العراقي من أجّل المحامل في وقته ، لأنَّ الخلافة الإسلامية كانت في بغداد عاصمة العراق[٢]. وكانت قافلة الحج العراقي شأنها شأن قافلة الحج الشامي ، تتعرض لإيذاء البدو ؛ فمثلاً سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م رجع الحج العراقي، لأن عرب الأجاودة ،[٣] قاموا بردم الآبار ولأنّ الحجاج اختلفوا مع البدو. ومن جهة أخرى ضاق الوقت عليهم، فرجعوا من حيث أتوا. وفي سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، لم يحج العراقيون ، لدخول التتر بغداد . ثم أصبح المحمل العراقي يأتي بشكل متقطع ، واستمر كذلك إلى القرن التاسع الهجري (السادس عشر الميلادي)[٤].

٣- قافلة الحج المصري:

بعد أن تم فتح مصر وضمُّها إلى الحكم الإسلامي ، واعتناق غالبية سكانها الإسلام ، كان من الطبيعي أن يؤدي مسلموها الركن الخامس من أركان الإسلام، ألا وهو الحج . لذلك اهتم الخلفاء والسلاطين والملوك في مصر ، بقافلة الحج، منذ أمدٍ بعيد[٥]. و كان لا بد من تشكيل قافلة ، وسلوك درب محدد أو أكثر[٦] لهذه القافلة ، ما بين القاهرة والأماكن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة). وفيما بعد اهتم السلاطين العثمانيون بقافلة الحج المصري، واعتبروا ذلك من واجبهم

---

(١) القطوري ، أحمد : المرجع السابق، ص١٥١ و ١٥٤.

(٢) رفعت ، إبراهيم: مرجع سابق ،ج ٢ ،ص٣٠٤.

(٣) الأجاودة:من عشائر العراق التي تعود بنسبها إلى جدها أجود بن زامل العقيلي الجبري العميري القيسي، وهو أول من ملك الأحساء في رمضان ، ٨٢١هـ / ١٤١٨م، وتقطن في مناطق واسعة من المنتفق بالعراق. ومن عشائرها(غزبة ، الجواريين ، الزهيرية ، العصوم ، الخليف ، المارد ، الصبيحة ....الخ) انظر ، كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب ، ج ٤، ص ٨.

(٤) رفعت ، إبراهيم: مرجع سابق ، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٥) بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٧٥.

(٦) عمر ، سميرة فهمي علي : أمارة الحج في مصر العثمانية، ٩٢٣ - ١٢١٣هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الصحافة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الديني[١] . وكانت القاهرة مكاناً لتجمع حجاج غرب ووسط أفريقيا ، وكذلك لحجاج الأندلس، فمنهم من يأتي بحراً ومنهم من يأتي براً [٢]. فقد كان هؤلاء الحجاج يتجمعون قبل شهر ، شوال وقبل خروج المحمل في نهاية شوال. وكانت القاهرة أيضاً ، مركزاً لتجمع حجاج السنغال والسودان وبعض جزر البحر المتوسط والبلقان[٣]. وكان يرافق قافلة الحج المصري ، المحملُ الذي يتم خروجه من القاهرة ، باحتفال ضخم من خلال دورتين في السنة[٤]. وفي كل دورة يتم احتفال كبير. واعتبر يوم الدوران يوماً مشهوداً في القاهرة، حيث يسير فيه الجنود وحرس المحمل وركبه وخدمته من مشاعليَّة وعكَّامة، يتقدمهم أمير الحج الذي يعين من الباشوات العسكريين في الغالب[٥]. وكان يرافق أمير الحج ، عدد كبير من الموظفين العسكريين الذين يقومون بخدمة الحجاج، من أجل تنظيم هذا الركب الكبير ، والجمهرة الكبيرة من الناس.[٦]

وكان المحمل يطوف في القاهرة ، ويتجه إلى الأماكن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة). وكان يحمل معه الكسوة التي ترسل سنوياً من القاهرة إلى الأماكن المقدسة [٧]. وقد التزمت الدولة العثمانية بإرسال كسوة الكعبة وتجديدها كل عام [٨]. وكان يرافق قافلة الحج ، صرافُ الصرة (صرة باشي) ، وكانت

---

[١] رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، وهو بحث قدم للمؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية بدمشق ، ونشر في مجلة دراسات تاريخية ، عدد /٦/ ، لعام ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٥.

[٢] الأرقش ، دلنده وعبد الحميد بن ظاهر جمال : المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ، ميديا كوم ، تونس ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .أيضاً، بكر ، سيد : مرجع سابق، ص ٨٣.

[٣] البتنوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م، ص ١٠٥.

[٤] عمر ، سميرة فهمي: مرجع سابق ، ص ١٦٣.

[٥] البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٠٥.

[٦] عمر ، سميرة فهمي: مرجع سابق ، ص ١٨٤ – ١٩٤.

[٧] بيرين، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المفادة والعلم ، ترجمة، قدري قلعجي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، د. ت ، ص ٩٧ .

[٨] عمر، سميرة فهمي : مرجع سابق ، ص ١٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهمته توزيع الأموال على البدو ، وعلى أهالي مكة والمدينة [١]. وكان لهذه القافلة طريق ، ومنازل وقلاع تنزل بها ، وهي في طريقها من القاهرة إلى مكة. وهـذه المنازل (بركة الحاج، الدار البيضاء، عجرود، النواطير[٢] الأول والثاني والثالث ، ثم العلوه، فجنادل حسن ، قربة نخل [٣] ، بئر قريص، العقبة ، ظهر حمار ، وفا ، الشرفا ، مغاير شعيب ، عيون القصب ، المويلح، سلى ، اصطبل عنتر ، الوجه ، عكرة ، الحنك ، الحوراء ، الحضيرة ، ينبع ، السقينة ، مسـتورة، رابـغ، بيـر الهندي أو القضيمة ، خليص ،عسفان ، وادي فاطمة ، مكة الكرمة) ويبلغ طـول هذا الطريق ١٤٠٠كم [٤]. ولم تكن قوافل الحج مجرد تأدية فريضة فحسب ، بـل كانت أيضاً مجالاً للتجارة . وكان عدد كبير من الحجاج يقومون بالتجارة ، وهـم في طريقهم إلى الحجاز في الذهاب والعودة ، وكان يتم تبادل العديد من السلع [٥].

٤- قافلة الحج الشـــــامي :

ذكرنا ، فيما ، سبق أهمية قافلة الحج المصري التي كانت مركـزاً لتجمـع قوافل الحجاج القادمة من أقطار المغرب ، ومركزاً لقوافـل الحـج الآتيـة مـن أفريقيا[٦]. وقد كانت دمشق مركزاً للحجاج القادمين من أسيا. (بلاد ما وراء النهر وإيران، والأفغان، والعراق والأناضول والبلقان، وسواها)[٧]. ونظراً لأهمية الحج،

---

[١] عمر ، سميرة فهمي : المرجع نفسه ، ص ١٨٢

[٢] النواطير : إحدى منازل الحج المصري ،والناطور هو بناء على شكل طاحونة تعمل لإرشاد المسافرين . انظر ، البتنوني، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ١١٠ .

[٣] فالين، جورج أوغست : صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر ، ترجمة ، سمير سليم شبلي ، لايوجد مكان للنشر ، ١٤١٢ هـ/١٩٩١ م ، ص ٣ .

[٤] لمعرفة التفاصيل حول هذه المنازل والتعرف عليها انظر، البتنوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ١٠٩ – ١١٣ . أيضاً عمر ، سميرة فهمي : مرجع سابق ، ص ٢٤٧- ٢٦٠ .

[٥] أنيس محمد وحراز رجب : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصـر ، القـاهرة ، ١٣٩٦ هـ/١٩٦٧ ، ص ٢٦٤ .

[٦] العلبي ، أكرم حسن : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين مـن ٩٠٦- ٩٢٧هـ / ١٥٠٠-١٥٢٠م، الشركة المتحدة للطباعة والنشر ، ط١ ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٤٥.

[٧] العظمة ، عبد العزيز : مرآة الشام ، تاريخ دمشق وأهلها ، تحقيق ، نجدة فتحي صـفوة ، دار الفكـر ، ط٢، دمشق ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ١٨٨. أيضاً ، عمر ، عبد العزيز عمر : مرجع سابق ، ص١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أوصت الحكومة العثمانية ولاتها بمعاملة الحجاج غير العرب ، معاملة حسنة، وتأمين الحماية لهم على طول طريق الحج[١].

وكان لقافلة الحج الشامي ، أهمية خاصة لدى الدولة العثمانية ، لأن السلطان العثماني ، منذ دخوله حلب عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م ، واستيلائه على بلاد الشام، توجه بعدها الى مصر التي فرض سيطرته عليها. وعلى إثر ، ذلك وبعد اعتراف شريف مكة بالسلطان العثماني ، اتخذ لقب حامي الحرمين الشريفين. واقتضى ذلك تأمين سلامة الحجاج الذاهبين لزيارة الحرمين الشريفين[٢]. لذلك قامت الدولة العثمانية بتكليف ولاية ، دمشق بإعداد قافلة الحج الشامي، وقيادتها وحفظ أمنها[٣]واستقبال القافلة عند عودتها[٤].

وكان احتفال قافلة الحج يتم ضمن طقوس ، معينة وتجهيزات على مراحل ، يشارك فيها أهالي دمشق ، على اختلاف فئاتهم. وأول عمل يقوم به أمير القافلة، هو تجهيز الأموال والمعدات والمؤن . وهذا يسبق خروج الحجاج من دمشق ، بنحو ثلاثة أشهر ، وهو ما يسمى بالدورة[٥]. وفي السابع من شوال من كل عام، يُقام الاحتفال بموكب الزيت والشموع التي سترسل إلى الحرمين الشريفين. وكان يُؤتى بالزيت من قرية كفر سوسية. وكان ذلك ضمن احتفال كبير يمتد من مكان جلب الزيت حتى مركز الكلار[٦] ، في منطقة السنجقدار ، حيث يوضع الزيت إلى

---

(١) الأوامر السلطانية لولاية حلب ، سجل رقم ٣٩، الوثيقة رقم ٢١، عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م . أيضاً ، الأوامر السلطانية لولاية دمشق ، السجل رقم ، ٢، الوثيقة رقم ٢٣، عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣. أيضاً السجل رقم ٣ ، الوثيقة رقم ٤٣ ، ٥٣، عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م .

(٢) رافق : قافلة الحج ، ص ٥. أيضاً ، الرشيدي ، أحمد : حُسن الصفا والابتهاج بذكر من تولى إمارة الحاج ، تحقيق ، ليلى عبد اللطيف أحمد : مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، ص ١٣.

(٣) زهدي ، بشير: دمشق دراسات تاريخية وأثرية ، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٦٤.

(٤) السامرائي ، فراس سليم حيّاوي: التقاليد والعادات الدمشقية ، الأوائل للطباعة والنشر ، ط١، دمشق. ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٢١٣.

(٥) البديري ، أحمد : حوادث دمشق اليومية ، دار سعد الدين ، ط١، دمشق ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٦٦.

(٦) الكلار: كلمة تركية تعني بيت المؤونة أو المطبخ . والقائم عليه يُسمّى ((الكلارجي)) والكلار مستودع لأدوات الحج.انظر، العبد ، حسن أغا : تاريخ حسن آغا العبد، قطعة منه ، حوادث سنة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١هـ، حققه يوسف جميل نعيسه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٤٠٠هـ»»»»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جانب أدوات الحج الأخرى. أمَّا الشموع فكانت تصنع في بيت أحد ذوات دمشق، بقصد البركة[١]. وكذلك كان يؤتى بها إلى مركز الكلار في موكب خاص[٢]. ويلي هذا الموكب موكب المحمل ، وهو يبدأ في الثامن من شوال ، حيث تقوم دورة منتظمة في مدينة دمشق ، ويكون يوم حافل ، حيث تعطل الأعمال في الدوائر الحكومية وفي أغلب الأسواق. وكان يحضر أُناس من خارج دمشق للاشتراك بهذا الموكب العظيم ، بالإضافة إلى الأهالي ، كبيرهم وصغيرهم وكانت النساء يراقبن هذا الموكب الذي يشارك فيه جميع مسؤولي الولاية (نقيب الأشراف أمين الصرة، وأمير الحج، وأصحاب المراتب العسكرية، ورجال الطرق الصوفية)[٣] ويكون تحرك هذا الموكب من السنجقدار إلى السنانية، فمرقص السودان، طريق الشاغور، فباب كيسان، باب شرقي، سيدنا بلال، برج الروس، السادات، العمارة، ثم إلى السرايا حيث يوضع السنجق مع المحمل ، [٤] استعداداً لخروج القافلة باتجاه بلاد الحجاز. ويكون ذلك ما بين ١٥-١٧ شوال من كل عام[٥].

ومع بزوغ فجر هذا اليوم ، ترى أهل دمشق وجميع الحجاج الذين تجمعوا فيها، من جنسيات مختلفة ، مستعدين لمسير القافلة التي يتم تحركها من باب مصلى ، إلى طريق الميدان ، إلى باب الله[٦](انظر الشكل رقم١، ص٢٦) ثم تتّجه باتجاه قرية المزيريب التي تبعد نحو مائة كيلومتر جنوبي دمشق[٧]. وفي الطريق حتى الحرمين الشريفين ، قامت الدولة العثمانية بإنشاء الخانات والجسور والمخافر والحصون والقلاع وكذلك حفر الآبار على مراحل. الطريق وذلك كله من أجل

»»»/١٩٧٩م ص ٣٩ . أيضاً ، الشهابي، قتيبة : دمشق تاريخ وصور،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص٢٢٤.

(١) سجل محاكم شرعية دمشق رقم ١١٥ ، وثيقة رقم ٤٩٩.

(٢) نعيسه ، يوسف جميل : مجتمع مدينة دمشق ١١٨٦- ١٢٥٦هـ/ ١٧٧٢- ١٨٤٠م ، منشورات دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط ٢، دمشق ، ١٩٩٤م ، جزءان ، ج٢، ص٦٦٦.

(٣) العظمة ، عبد العزيز: مصدر سابق ، ص ١٩٤.

(٤) نعيسه، يوسف : مجتمع مدينة دمشق، ج٢ ، ص ٦٦٨.

(٥) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٨.

(٦) العظمة ، عبد العزيز: مصدر سابق ،ص ١٩٤.

(٧) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (١)

المصدر: دمشق أقدم عاصمة في العالم، حسن زكي الصواف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (١)

المصدر: دمشق أقدم عاصمة في العالم، حسن زكي الصواف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحافظة على قافلة الحج وإيصالها بسلام[١]. وكان يرافق أمير الحج ، العديدُ من الموظفين. ومهمة هؤلاء تسيير وتسهيل سير هذا الركب ، وهم (سقاة، عكامة[٢]، مشاعلية، مقوّمون، قضاة، مؤذن، قوات عسكرية، وغيرهم)[٣]. وكذلك ، كان يرافق أمير الحج أمير الصرة، ومهمته توزيع الهدايا على مستحقيها من البدو وأهالي الحرمين[٤]. ومع ذلك لم تَسلَم قافلة الحج من هجمات السطو ، إذ تعرضت إلى العديد من حوادث النهب من قبل البدو المقيمين على طول الطريق[٥]. ويكون إحرام حجاج الشام في أرض رابغ ، وهي من أراضي مكة. وهنا يبدأ الحجاج بأداء مناسك الحج[٦] وبعد ذلك يتجمع حجاج دمشق ومن انضم إليهم من باقي الدول الإسلامية ، استعدادا للعودة. وفي هذه الأثناء ، تقوم دمشق بتجهيز قافلة صغيرة ، فيها كل ما يحتاجه الحجاج من مأكل وملبس (كعك، زبيب، حلويات، لباس)[٧] وغير ذلك من الضروريات. يرافق هذه القافلة بعض العسكر ، لمساعدة قافلة الحج ، إذا ما تعرضت لاعتداء. وكانت هذه القافلة تسمى قافلة الجُردَة[٨]. وإبان عودتها وقبل وصول الحجاج إلى دمشق بعدّة أيام ، يكون قد سبق القافلة

---

(١) الأوامر السلطانية لولاية حلب سجل رقم/٣٨/ ، وثيقة رقم ٤٦٥، عام ١٢٣٨هـ . سجل رقم/٤٥/ وثيقة ١٢٠، عام ١٢٤٤هـ . سجل رقم/٣٥/ وثيقة ١٤١، عام ١٢٢٨هـ .

(٢) الصالحي، محمد بن كنان : يوميات شامية، صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني ، تحقيق ، أكرم حسن العلبي ، دار الطباع ، دمشق ، د . ت ، ص ٢٣.

(٣) السنوسي، محمد : الرحلة الحجازية، تحقيق علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، ثلاثة أجزاء ، ج٢، تونس، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م، ص٢٢٥ .

(٤) العلاف ، أحمد حلمي : دمشق في مطلع القرن العشرين ، تحقيق ، علي نعيسة ، دار دمشق ط٢ ، دمشق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٦١. أيضاً ، العظم ، خالد : مذكرات خالد العظم ، الدار المتحدة للنشر، ثلاثة مجلدات ، مجلد الأول ، ط١،بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ص ٩٥.

(٥) البديري ، أحمد : مصدر سابق ،ص ٦٥.

(٦) العظمة ، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٩٦.

(٧) أبو نمي، هيا: في ذكرياتها عن الحج ، موقع على شبكة الإنترنت. www.alwatah.com.

(٨) ابن كنان : يوميات شامية ، ص ٢٤. أيضاً أيبش ، أحمد: دفاتر شامية عتيقة ، دار قتيبة للنشر ، ط١ ، دمشق ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوخدار ، للتبشير بسلامة قافلة الحج وقرب وصولها إلى دمشق[١]. وعند ذلك يخرج الناس لملاقاة ذويهم ، ربما إلى خان دنون أو أبعد من ذلك. وفي السادس من شهر صفر يدخل المحمل الشريف دمشق ، يرافقه موكب عظيم. أما بالنسبة للحجاج الغرباء ، فكانوا يتابعون مسيرهم باتجاه أوطانهم أو يقومون بالاستراحة عدة أيام في دمشق ، وبعدها يتابعون سفرهم إلى بلادهم[٢].

وكان لقافلة الحج ، فائدتها الاقتصادية والاجتماعية التي تعود على دمشق ومكة والمدينة المنورة وسائر المناطق[٣] الآهلة بالسكان ، والتي في طريقها. وكان لدمشق الحصة الأكبر من هذه الفائدة ، لأنها كانت مركزاً لتجمع الحجاج ، كما رأينا. وهذا الأمر يقوم بتحريك وتنشيط الوضع الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والديني[٤].

وقد طرأ العديد من التغيرات التي أثّرت على قافلة الحج الشامي ، كظهور الدعوة الوهابية ، وبسط سيطرتها على مكة والمدينة المنورة .

فبدءاً من عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ، فرض الوهابيون شروطاً على قافلة الحج التي عادت في هذا العام ، دون أداء مناسك الحج. وكان عبد الله باشا العظم قائداً للقافلة [٥]. وقد توقفت قافلة الحج إلى سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م حتى قامت الدولة العثمانية بتكليف محمد علي والي مصر ، بالقضاء على الدعوة الوهابية

---

[١] العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ١٦٣.

[٢] نعيسه ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج٢،ص٦٧٦-٦٧٧.

[٣] جب هاملتون ، وبوون هارولد : المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة، أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، مجلدان ، ج١، مصر ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، ص١٠٠.

[٤] الورثيلاني ، حسين بن محمد : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ (الرحلة الورثيلانية)، دار الكتاب العربي، ط٢، لبنان، بيروت، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص٤١٩. أيضاً ، الحسن ، علي عبد العزيز: تاريخ سورية الاقتصادي ، مطبعة بدائع الفنون ، دمشق ، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م ، ص٤١ و٤٢ .

[٥] كان عبدالله باشا آخر ولاة دمشق من آل العظم . تقلد ولايته الأولى عام ١٧٩٥م ، وكانت ولايته الثانية عام ١٨٠٥م . وكان ذلك آخر عهد آل العظم بالحكم ، إذ تم عزله حينما قصر في بلوغ مكة بقافلة الحج في عام ١٨٠٧م . وكانت هذه الهزيمة من تدبير آل سعود أتباع المذهب الوهابي . انظر ، شيلشر ، لندا : دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ترجمة ، عمرو ودينا الملاح ، دار الجمهورية ، ط١، دمشق ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص ٤٣ . أيضاً ، نعيسه ، يوسف : مجمع مدينة دمشق ج٢ ، ص٦٦٧. أيضاً ، مجلة الفكر العربي ، العدد الحادي والخمسون ، حزيران، ص١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٢٧هـ/ ١٨١٣م[١]. ومن هذه المتغيرات أيضاً ، فتح قناة السويس ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ؛ فقد تحول العديد من الحجاج لركوب الباخرة عن طريق قناة السويس، ممّا أثّر على طريق السفر وعدد الحجاج ووضع بعض المدن[٢]. ومن التغيرات الهامة التي أثرت تأثيراً كبيراً على سير القافلة ، أنشاء سكة حديد الحجاز ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م[٣]. وسيتم الحديث عن هذه المتغيرات بالتفصيل في فصل قادم.

مما تقدم نجد أن الخلفاء و السلاطين قد اهتموا بقوافل الحج ، و جعلوا من أولويات مسؤولياتهم ، الحفاظَ على قافلة الحج ، والاستمرار في إرسالها إلى الأماكن المقدسة سالمة. وكذلك اهتموا بإرسال المحمل الذي أصبح رمزاً لقوافل الحج في مسيرها وفي تحركها. والحفاظ عليه وحمايته كانا من الأشياء المهمة التي قاموا بها. وقد اقترن كل محمل بقوة الحكومة التي كانت ترسله ؛ ففي العهد العباسي كان للمحمل العراقي ، شأنه الكبير وأبهته الخاصة . وفي العهد المملوكي، كان للمحمل المصري ، أهميته الخاصة واستقباله الخاص في مكة والمدينة. أما في العهد العثماني ، فقد أولت الحكومة العثمانية اهتمامها الكبير بالمحمل الشامي الذي كان يجهز ويرسل من دمشق . وبالإضافة لهذه المكانة الهامة للمحمل ، فقد كان لمصر شرف التفرُّد في إرسال كسوة الكعبة مع المحمل في كل عام . أما المحمل الشامي ، فكان يُرسل معه ماء الورد ، لتضميخ الحرم النبوي الشريف ، وكذلك الشموع والزيت ، لإضاءة الحرمين الشريفين .

---

(١) نعيسه ، يوسف : مرجع السابق ، ج٢، ص٦٦٩.

(٢) كواترت ، دونالد : الدولة العثمانية ١٧٠٠- ١٩٢٢م تعريب ، أيمن الأرمنازي ، مكتبة العبيكان ، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ٢٢٣ – ٢٢٤.

(٣) بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة ، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين، ط٥ ، لبنان بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ٥٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ تمـــويل قـــافلة الحج (الدورة).

كان أمراء المماليك يتسابقون في الحصول على هذه الوظيفة ، لما كانـــت تـــدره عليهم من أموال[١].

أما في العهد العثماني ، فكان أمير الحج يخرج قبل خروج قافلة الحج بأشـــهر ، لمـــا يسمّى بالدورة[٢]، وهي جولة تفتيشية ، الهدف منها جمع الضـــرائب وإظهـــار ســـطوة الدولة في المناطق التي ستمر بالقرب منها القافلة[٣].ومن الموارد المالية التي رصـــدت لقافلة الحج (مال البدل) ، أي المال الذي يدفعه أصحاب الإقطاعات من الجنود السباهية (الفرسان) لقاء إعفائهم من تأدية الخدمة العسكرية . وقد حدث ذلك بعد أن تضـــاءل شأن الجنود السباهية ، بالمقارنة مع الإنكشارية ، أصحاب النفوذ المتزايد. وقد استخدم أمير الحج هذه الموارد ، للإنفاق على احتياجات القافلة ، وما يلزم لتجهيزها[٤].حيـــث نجد في عام ١٢٣٠هـــ / ١٨١٨م أنه تم جمع الأموال من إيرادات ضريبة البدل التـــي بلغت ٣٩٧٢٦,٥ قرشاً . وكان نصارى دمشق في بعض الأحيان يشتركون في أعـــداد القافلة. فمثلاً في عام ١٢٤١هـــ/ ١٨٢٦م ، فرض والي دمشق ولي الدين باشا[٥] على مسيحيي المدينة أن يشاركوا بـ ١٠٠٠٠٠ قرش ، كما فرض على أعيان دمشـــق بـــأن يشاركوا بـ ٢٠٠٠٠٠ قرش [٦]، وفي عام ١٨٣١م ، السنة التي دخـــل فيهـــا الجـــيش المصري بلاد الشام ، فرضت الضرائب على النصارى الموجودين في دمشق ، وقـــد دفعوا خمسة وعشرين ألف قرشٍ ، وكان الوضع مابين خروج الحج أو عدم خروجـــه [٧]. وقد فرضت الدولة العثمانية الأموال على المقاطعات التابعة لها ، حيـــث فُـــرِضَ بموجب الأمر السلطاني ، مبلغ قدره ٥٢٦٨٠ قرشاً في عـــام ١٢٥٥ هـــ / ١٨٣٩ م

---

(١) العلبي ، أكرم حسن : مرجع سابق ، ص١٤٩ .

(٢) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٧. أيضاً ، الموسوعة الفلســـطينية ، ٦مجلـــدات ، المجلـــد ٢ ، ط ١، بيروت ، ١٤١١ هـــ / ١٩٩٠م ، ص٧٠٧ .

(٣) عبد الغني ، عماد : السلطة في بلاد الشام ، دار النفائس، ط١، بيروت ، لبنان ،١٤١٤ هـــ/ ١٩٩٣م ، ص٦٥.

(٤) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص١١.

(٥) حكم دمشق سنة ١٤٣١هـــ ، لمدة سنتين بدءاً٠ من هذا التاريخ .انظر ، سالنامه در العثمانية ، ص ٣٧.

(6) Koury , George . province of Damascus PH . D. disirtation the University of Michigan . 1978. p. 180.

(٧) مجهول المؤلف : مذكرات تاريخية ، مطبعة القديس بولس ، بيروت ، د.ت ، ص ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مقاطعات إيالة صيدا ووادي التيم وجبال نابلس ، لحساب تمويل الحج الشـامي[١]. وفي عام ١٢٣٠ هـ/ ١٨١٨م جُمعَ ، من إيرادات ضريبة البـدل مبلـغ ٣٩٧٢٦,٥ قرشاً ، وذلك من رسم دخان الشام. كما أضيف إلى هذه المبالغ ١٠٠٠٠ عشـرة آلاف قرشٍ من إيرادات مالية رسوم الجمرك بحلب ، و ٢٠٠٠٠ عشرون ألف قـرشٍ مـن إيرادات رسوم متفرقة[٢]. وفي بعض الأحيان ، نجد بعض حكام المناطق يمتنعون عن دفع ما وجب عليهم ، حيث ثار في عام ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣م أبو عـودة الجيوشـي ، شيخُ ناحية بني صعب في منطقة نابلس ،وتحصن في قلعة صوفين ، ورفض دفع مـال الدورة ، فاستعان والي الشام بوالي صيدا سليمان باشا ، الـذي أخضـع آل الجيوشـي وأرغمهم على دفع ما وجب عليهم[٣].

ـ مـوكـب الـزيت والـشموع

يقام هذا الموكب في السابع من شوال من كل عام[٤]. وكان هذا الاحتفال خاصاً بموكب الزيت والشموع التي سترسل من دمشق إلى الحـرم النبـوي الشـريف مـع القافلة[٥]. وكان يجري بنقل هذا الزيت من قرية كفرسوسية ، ضمن ضروف موضوعة داخل صناديق خشب محمولة على ظهور الإبل [٦] بصورة مزخرفـة ، تمشـي فـي مقدمتها المدافع والطبول[٧]. وكان يشارك في هذا الموكب ، عدد من أهالي كفرسوسية بألعابهم[٨] ، فمنهم من يلعب بالسيف ومنهم من يلعب بالعصا ، فيدخلون بها مـن بـاب

---

(١) محافظة الأبحاث رقم ٨٢ المحفظة رقم ٢٥٨ عابدين، تلخيص الوثيقة التركية رقم ٢٨/٩٤.تاريخ ١٦ رجب سنة ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م.من كتاب ، نعيسة، يوسف : المرجع في وثائق تاريخية عن بلاد الشام في عهد محمد علي باشا ١٢٤٧-١٢٥٦هـ/ ١٨٣١-١٨٤٠م ، منشورات جامعة دمشق ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٤٢. أيضاً، Koury. province of Damascus . p. 188 .

(٢) الأوامر السلطانية لولاية حلب : سجل رقم ٣٦، رقم الوثيقة ١٥ تاريخ جمادى الأخر ١٢٢٩ هـ/ ١٨١٣م.

(٣) الموسوعة الفلسطينية : مرجع سابق ، ص٨٥٥ .

(٤) الغنيمي، مازن يوسف : رسالة ماجستيرفي قسم تاريخ جامعة دمشق ، بعنوان تحقيق مخطوط " النفح الفرجي من الفتح الجتةجي " لمؤلفه جعفر بن حسن البر زنجي ، عام ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٠٧.

(٥) نعيسة ، يوسف :مجتمع مدينة دمشق ، ص٦٦٦.

(٦) الشهابي ، قتيبة : مرجع سابق ، ص٢٣٣.

(٧) زكريا ، أحمد وصفي: الريف السوري، المطبعة العمومية، دمشق ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م،جزءان،الجزء الثاني ص٢٢٣

(٨) نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق: ج٢، ص٦٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السريجة بالقرب من ضريح الصحابي الجليل زيد بن ثابت[1]، ويمرون من سوق بـــاب الجابية إلى سوق الدرويشية ، إلى دائرة المشيرية ودائرة الحكومة السنية ، حتى يـــأتوا بها إلى مركز الكلار في منطقة السنجق دار . حيث يوضع الزيت إلـــى جانـــب أدوات الحج الأخرى[2]،وكان هذا الزيت يرسل إلى الحرمين مع قافلة الحج . ومثال على ذلك: في عام ١٢٤٩ هـــ / ١٨٣٢م كان وزن الزيت المرسل ٣٤٩٤ رطلاً، وكـــان ثمنـــه ٢٢٢٠٩قروش. وإن أجرة مشال الزيت من الشام إلى المدينة المنـــورة ١٦٣٨٠+٥٠٠ إلى عكام باشيه ، لأجل إدارة الزيت بالطريق المعبّأ بالقُرَب (الضروف) والأحمال ٤٢ حملاً [3] ، وأجرة المشال كانت على الشكل التالي : ١٥ قرشاً للمرفعجية الذين مشـــوا أمام الزيت من المصبنة إلى قوناق البلته جيه ، و ٢٥ قرشاً إلى أحمد الخـــرّاز لأجـــل تصليح الضروف يوم يعبّأ الزيت بالمصبنة و ١٢ قرشاً إلى قباني المصبنة لأجل قبونة الزيت يوم تحميله ، و ١٢ قرشاً إلى صناعيي المصبنة الذين سحبوا الزيت من البير،و ١٢ قرشاً إلى كاتب المصبنة عن معتاد كتايب الزيت دخـــول وخـــروج ، و٣ قـــروش لحمالي السحاحير إلى المصبنة ، وقرشين لشراء حلّة يوم تعبئة الزيت . و إضافة إلـــى ذلك ١٧٠٠ قرش ثمن لباد صوف ،عدد القطع ١٧٠ ثمن الواحدة ١٠ قـــروش ، و١١٧٠ ثمن ضروف ماعز و عددها ٢٣٤ قطعة ثمن الواحدة ٥ قروش ، و ١٠٨٨ ثمن حبال عددها ١٤٠ قطعة و ثمن الواحدة ١٠ قروش، و ٤٢٠ قرشاً ثمن حور ، وعددها ٨٤ ثمن الواحدة ٥ قروش ، و ٤٢٠ ثمن سحاحير ، عددها ٤٢ ، وثمن الواحدة ١٠ قروش ، والمجموع كـــاملاً يكـــون ٤٣٩٧٨

---

[1] زيد بن ثابت . صحابي جليل أنصاري خزرجي ، كان عمره حين قدوم النبي (ص) المدينة أحدى عشرة سنة، تعلم القراءة والكتابة من أسرى بدر ، أمره الرسول بتعلم كتاب اليهود ، كان يكتب الوحي لرسول الله ، منعه رسول الله من المشاركة بغزوتي بدر وأحد لصغر سنه ، أمره أبو بكر بجمع القرآن ، استخلفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على المدينة حين ذهابه للحج ، وهو ممن أمرهم الخليفة عثمان بجمع القرآن ونسخه ، وكان كذلك من قضاته. وحين توفي سنة ٤٥هـــ قال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة . انظر ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق ، عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ١١جزءاً ، ج٢، ص ٤٠٣و ٤٨٢و ٥٥٥.

[2] الحسيني، محمد عز الدين بن حسين عربي كاتبي الصيادي: الروضة البهية في فضائل دمشـــق، دار الفـــارابي الطبعة الأولى، دمشق ١٤٢١هـــ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٠.

[3] الحمل : المقصود بالحمل هو حمل بعير . وكان حمل البعير في العراق ٢٤٣,٧٥ كغ ، أما في شرقي الأناضول فيقدر متوسط حمل البعير بـ ٢٣٠ كغ ، وقد اختلف وزن الحمل بين منطقة وأخرى فحمل البعير في المناطق الجبلية يختلف عن حمله في المناطق السهلية . انظر ، عامر ، محمود علي : المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني ، دراسة وثائقية ، مطبعة ابن حيان ، دمشق ، ١٤١٨هـــ/ ١٩٩٧م ، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرشاً [١]. و ذلك تكلفة الزيت المرسل من الشام إلى المدينة المنورة ، من اجل تنوير الروضة المطهرة و المسجد النبوي .

أما بالنسبة للشمع الذي يرسل إلى الحرم النبوي من الشام ، ففي كل عام يسكب في دار أحد الذوات بقصد التبرك[٢]، وكانت تلك الشموع تصنع بمقاييس مختلفة ،وعند انتهاء صناعتها يؤتى بها في موكب خاص[٣] . وتحمل على أعناق الرجال ، ملفوفة بشال الكشمير الفاخر ، وموسيقى الجيش تصدح في مقدمة الحاملين ، ووراءها مؤذنو جامع بني أمية ، يقودهم شيخ عليه عباءة بنية ، وعلى رأسه قلنسوة سوداء ، ويتبع المؤذنين سبعة رجال يحملون مباخر . وكانت هذه المباخر واحدة فضية والأخريات فضيّات مطليّات بالذهب ، ويتبع هؤلاء عدد غفير من الأعيان والعامة[٤]، إلى أن يصل الموكب إلى الكلار ، حيث توضع تلك الشموع في أكياس خاصة بها . وكان هذان الموكبان يسبقان ما عداهما من مواكب الحج ، كالمحمل والصنجق والقافلة نفسها[٥].

ـ موكب المحمل والسنجق

كان ينطلق إلى مكة المكرمة و المدينة المنورة ، عبر التاريخ الإسلامي ، عدة محامل منها العراقي[٦] ، (اقترن هذا المحمل بقافلة الحج العراقي في بغداد التي كانت عاصمة العالم الإسلامي في العهد العباسي) ومنها المحمل اليمني[٧] ،

---

[١] محافظة الأبحاث رقم ٧٤ محفظة رقم ٢٤٨، عابدين، الوثيقة العربية رقم٢١٤ ، شوال ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م. من كتاب ، نعيسه ، يوسف : المرجع في وثائق تاريخيه عن الشام ، ص ٣٧١- ٣٧٢ .

[٢] الحسيني ، محمد عز الدين : الروضة البهية، ص٣٠.

[٣] نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق: ج٢، ص٦٦٦.

[٤] وصفي زكريا ،أحمد : الريف السوري، ج٢،ص١٦٧.أيضاً،
Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland – Londres . 1884. p 47.

[٥] نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق، ج٢، ص٦٦٧.

[٦] ارتبط ازدهار درب الحج العراقي بظهور الدولة العباسية ، وكان المحمل العراقي أجل المحامل في وقته ، لأن الخلافة الإسلامية كانت في مدينة بغداد عاصمة العراق. ولقد اعتنى الخلفاء العباسيون عنايةً تامةً بالمحمل فزيّنوه بالحرير ورصعوه بالذهب واللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر الأخرى . وقد بلغت قيمة تكاليف الزينة في أحد المواسم ٢٥٠٠٠٠ دينار من الذهب ولما تقلص ظل الخلافة عن العراق ، ضعف شأن المحمل العراقي ، فكان يتعرض للاعتداء من قبل العربان . ففي سنة ٦٣١هـ/ ، ١٢٣٣م رجع الحج العراقي بسبب ردم عرب الأجاودة الآبار واختلاف الحجاج مع البدو حتى ضاق الوقت ، فرجعوا من حيث أتوا. وفي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، »»»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمصري[1] ، والشامي ، وحج في بعض السنين الحلبيون بمحمل[2]. وكانت هذه المحامل ، كما هو معتاد ، وقبل خروجها ، تقوم بدورة أو دورتين ، وكما يبدو فإن الغرض من دوران المحمل ، هو إثارة الرغبة في نفوس الناس ، لأداء فريضة الحج .

»»» لم يحج العراقيون لدخول التتر بغداد، ثم صار المحمل العراقي يأتي مرة وينقطع أخرى حتى القرن التاسع الهجري. أنظر، بكر ، سيد عبد المجيد: مرجع سابق ، ص ١٦. أيضاً، رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج١، ص ٣٠٤.أيضاً ، بروكلمان ، كارل : مرجع سابق ، ص ١٤٧ــ ١٥٤. أيضاً . العلبي ، أكرم حسن : خطط الشام ، دار الطباع ، ط ١ ، دمشق ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص ٤٧٧.

[2] كان أهل اليمن يحجُّون عن طريق البحر وقلة منهم من سلكت طريق البر. لأن البدو كانوا يعتدون عليهم ويفرضون على كل جمل مائة درهم سواء أكان صاحبه حاجاً أم تاجراً ، إلا من شحّت يده وخشي ركوب البحر. وبقي الأمر كذلك إلى زمن مصطفى باشا المعروف بالنشّار ، (اشتهر بالنشار لأنه كان ينشر اللصوص و قطاع الطرق الذين يقبض عليهم إثناء إمارته لقافلة الحج ، إلى نصفين ، عقابا لهم) ، ففي سنة ، ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م مهّد السبيل البري لحجاج اليمن وضرب على أيدي البدو وجعل يرافق ، الحجاج أميراً. وظل الأمر على ذلك إلى سنة ٩٦٣هـ/ ١٢٦٤م التي عرض فيها مصطفى باشا والي اليمن على السلطان أن يحدث محملاً يمنياً ، فأذن له واستمر مجيئه إلى سنة ١٠٤٩هـ / ١٤٣٩م ثم انقطع لما جدّ من الفتن. انظر ، سالم ، مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، المطبعة العالمية ، القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، ص ١٥٧. أيضاً، رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٣٠٥.

[1] كان يرسل مع المحمل المصري كسوة الكعبة ، وكان يحتفل بالمحمل قبل خروجه من القاهرة إلى مكة المكرمة، وذلك بدورتين بمدينة القاهرة في السنة . المرة الأولى في شهر رجب، ففي النصف الأخير منه يحمل المحمل ويُنادى لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه ، بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس. والمرة الثانية في الحادي والعشرين من شهر شوال ، ويسمّى هذا اليوم يوم خروج المحمل الكبير. وفي صباح يوم الدوران ، يحمل المحمل ويُسار به إلى أسفل القلعة ، وتجتمع إليه الشخصيات البارزة وأصحاب المناصب الكبيرة ، ويسير أمامه الوزير ، والقضاة الأربعة ، والشهود والمحتسب وناظر الكسوة وغيرهم. ويتحول ركب دوران المحمل إلى ما يشبه المهرجان ، فيسير إلى الفسطاط ثم يعود إلى تحت القلعة. انظر، القلقشندي ، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية ، ط ١، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧، أربعة أجزاء ، ج ٤ ، ص٥٩. أيضاً ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة في محاسن دمشق ومصر والقاهرة ، تحقيق ، مصطفى السقا و كامل المهندس ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ١٩٩.

[2] رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج٢، ص ٣٠٤ .

أطلق اسم المحمل قديماً على الجمل الذي كان يحمل الهدايا الموسمية إلى الكعبة. وقد سيّر النبي (صلى الله عليه وسلم) محملاً إلى مكة بهداياه إلى البيت المعظم. انظر، شفيق غربال، محمد . الموسوعة العربية الميسرة ص١٦٦٣. ويقول السيوطي في كتابه الكنز المدفون ص١٠٠، إنّ أول من أحدث المحامل في طريق مكة شرفّها الله وعظّمها الحجاج بن يوسف الثقفي". انظر، محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة، ص١٦٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ موكـب المحمـل والصنـجق الشامـي

المحمل هو قبة رائعة الصنعة،على شكل خيمة بشكل مخروطيّ مـتقن وشـبابيك ملونة بأنواع الأصباغ ، وعليها كسوة من رفيع الديباج[١]، وقد غُطي بقمـاش مخملـي أخضر كتب عليه بالقصب ، آيات من القرآن الكريم ، يحمله جمل مزركش[٢] بـأنواع الأقمشة والجلود ، وخيطت عليها الأصداف الصغيرة والمرايا[٣].(انظر الشكل رقم٢، ص٣٦) والمحمل في الأصل ، هو الهودج الذي تركبه نساء العرب ، أيام الأفراح والحروب[٤]، يحثثنَ الرجال للدفاع عن الدين والعرض[٥]. وأول من فكرّ بإرسال المحمـل ، الملـك الظاهر بيبرس[٦]. وقد استعملته شجرة الدر[٧] عند ارتقائها أريكة الملك ، وزخرفته بما يليق بشأن السلطنة. ثم اتخذه ملوك مصر والشام ، واسطة لترغيب الناس بأداء فريضة الحج. وأقره السلاطين العثمانيون وأبقوه على ما كان عليه ، يروح ويغدو مـع ركـب الحج في كل عام. ومن الأسر الدمشقية التي اهتمت بتلبيس كسوة المحمل الشامي في

---

(١) الورثيلاني ، الحسين بن محمد : مصدر سابق ، ص٢٦٣.

(٢) سوفاجيه ، جان: دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتـداب، ترجمـة فـؤاد أفـرام البستاني، تحقيق، أكرم حسن العلبي، ط١ ،١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، ص١٠٠.

(٣) ابن كنان ، محمد بن عيسى : المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت اسـما عيـل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ،جزءان ج٢ ،ص٢٤٥.

(٤) العظمة عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٩٣.

(٥) أيبش ، أحمد : مرجع سابق ، ص٢٠٠.

(٦) هو الرابع لملوك المماليك وأولادهم بالديار المصرية، وكان أصله تركياً أُخذ من بلاده وهو صغير ، وقد اعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعله من جملة المماليك البحرية. أخذ المملكة بعد قتل الملك المظفـر قطـز. تسلطن يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م ولقب نفسه بالملك القاهر ، بعدها غيره إلى الظاهر . كان بيبرس قائداً عسكرياً فذاً قام بمحاربة الصليبيين في الشام ولم تمضِ سنة من سنوات حكمـه إلا أرسل فيها حملة صغيرة أو كبيرة ضدهم . وفي كل مرة كان يحرز نصراً عليهم وتـوج هـذه الانتصـارات باستيلائه على أنطاكية سنة ١٢٦٨م . وكذلك حارب مغول فارس ودفع شرهم عن بلاد الشام . انظـر، ابـن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص ٣٠٨ . أيضاً ، زيتـون ، عـادل : تـاريخ المماليـك ، منشورات جامعة دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٦١هـ/ ١٩٩٦م ، ص ٢٧ – ٣٧ .

(٧) شجرة الدر ، زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كانت تاسع من تولّى السلطنة بمصر من جماعـة بنـي أيوب، وذلك سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م . وقد خلعت نفسها من السلطنة برضاها ، فكانت مدة سلطنتها بمصـر ثلاثة أشهر إلا أياماً . انظر ، ابن اياس : بدائع الزهور ج١ ، ص٢٨٦-٢٨٧. أيضاً، زيتون ، عادل : مرجع سابق ، ص ٨ – ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

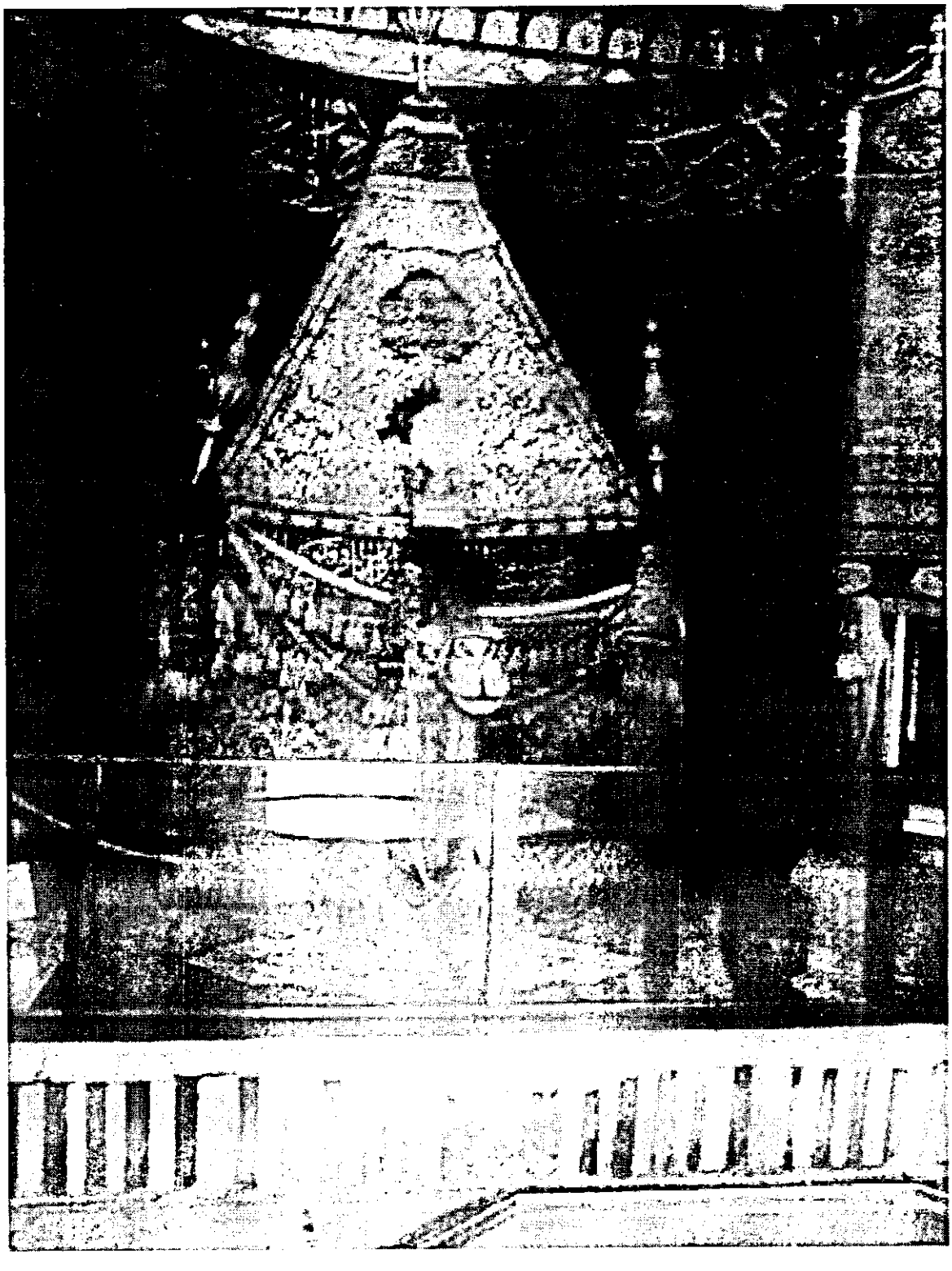

الشكل رقم (٢): محمل الحج الموجود في متحف التقاليد الشعبية، دمشق (تصوير الباحث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل سنة ، من قبل الدولة العثمانية ، أسرة بني المحملجي ، وهي من أسر صالحية دمشق المشهورة[١].

أما الصنجق ، فهو علم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، (انظر الشكل رقم٣،ص٣٨) وكان يحمله خلف جمل المحمل ، جمل آخر و يمسك بكل جمل ، موظف خاص يلبس هنداماً خاصاً ومزركشاً، وكانت الجماهير تحيط بهذين الجملين ، وكان البعض يعتقد أن لمس أحدهما يجلب البركة والربح الكبير[٢].

والاحتفال بموكب المحمل والصنجق كان يبدأ في دمشق في الثامن من شوال. أما طريقة الاحتفال بهما ، فكانت تتم بوضع المحمل على جمل مخصص له ، ويرفع الصنجق على سارية خاصة به ، وبعد إخراجهما معاً من الكلارخانة الموجودة بالقرب من جامع السنجقدار[٣] ، يسيران بموكب حافل بالموسيقى العسكرية[٤]، ويتقدمهما الأمراء الملكية والعسكرية وأصحاب الرتب من الأهالي ،(انظر الشكل رقم ٤، ص٣٩) وجميعهم بالألبسة الرسمية المطرزة بالذهب. ويحيط بالمحمل بعض أصحاب الطرق الصوفية، ومجموعة من المؤذنين ، يذكرون الله تعالى ، ويحملون المباخر في أيديهم[٥]، وخلفها ألوف من جنود المشاة، والفرسان، والدرك، وهجانة العكيل النجديين المكلفين بمواكبة الركب[٦]. ويسير في هذا الموكب ، قاضي المحمل، وباش دفتر دار، وآغا القابي قول ، وكاتب الينكجرية، وأمير الحج، ثم يأتي عامة الحج الشريف أجواقاً أجواقاً. وعندما يبدأ الموكب بالمسير ، تطلق المدفعية نيرانها ابتهاجاً بهذه المناسبة[٧]. ويتحرك الموكب من السنجقدار إلى السنانية ، فمرقص السودان، فطريق الشاغور، إلى باب كيسان ، فباب شرقي، ثم إلى سيدنا بلال، ثم إلى برج الروس، ثم السادات، فالعمارة، ويمرون عبر

---

(١) الحصني ، محمد أديب آل تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشق ، دار الأفاق ، بيروت ١٩٧٩م ، ثلاثة أجزاء، ج ٢ ، ص ٨٩٨.

(٢) العبد ، حسن آغا : مصدر سابق ، ص١٣١. أيضاً ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٤٥.

(٣) نعيسة ، يوسف : مرجع السابق ، ص٦٦٦ و ٦٦٧.

(٤) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص٥٦.

(٥) ابن عربي : مصدر سابق ، ص٣٢. أيضاً ، نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ،ج٢، ص٦٦٨.

(٦) وصفي ، زكريا : الريف السوري ، ص١٦٧.

(٧) نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص٦٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

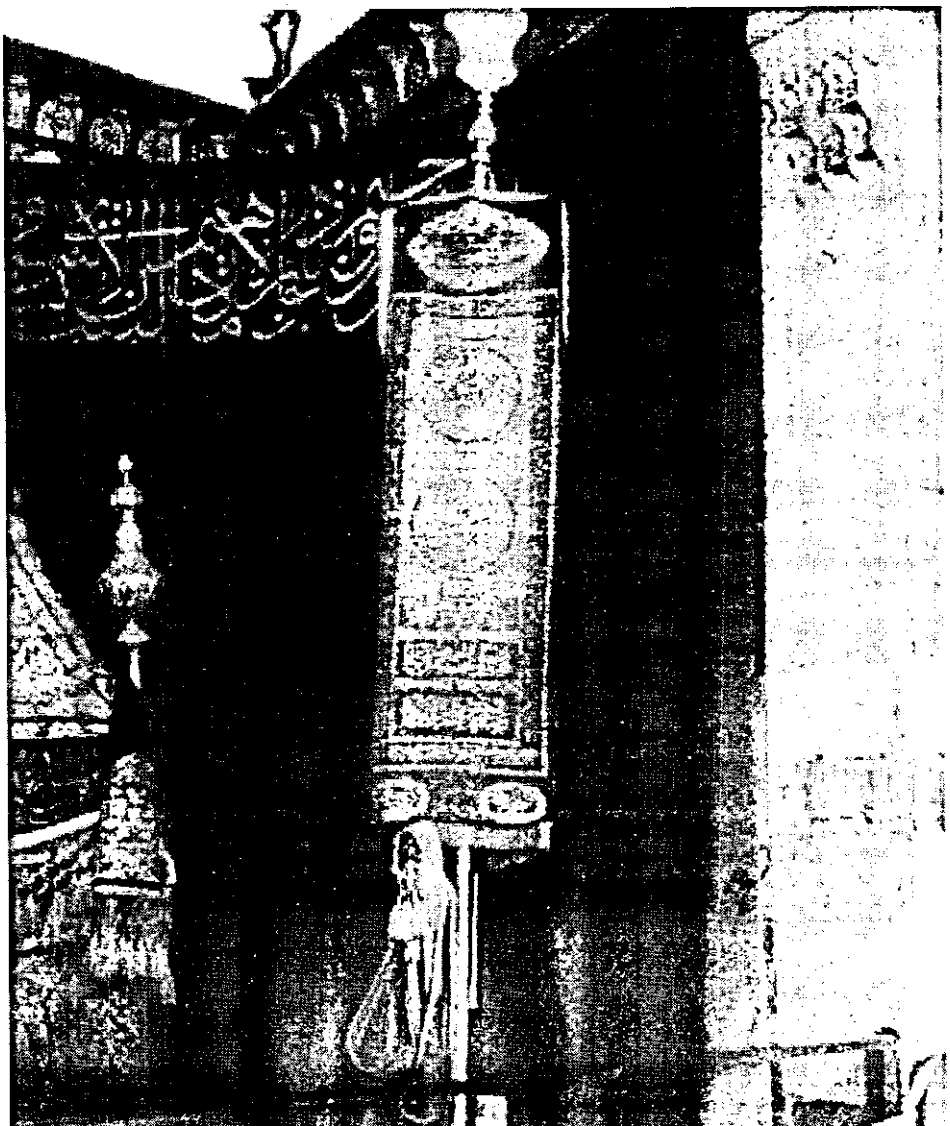

الشكل رقم (٣): الصنجق الموجود في متحف التقاليد الشعبية، دمشق (تصوير الباحث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (٤): احتفال المحمل عام ١٨٩٤

المصدر: دمشق بين الماضي والحاضر، محمد بسام العش

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السروجية إلى أمام السرايا[١]، وكانت الشوارع والأسطح تغص بالمتفرجين من الجنسين بالأعمار المختلفة، وكانت النساء يشاهدن هذا الموكب ، من خلال شبابيك بيوتهن المطلّة على هذه الشوارع التي يمر فيها [٢]. وفي نهاية هذا الاحتفال ، يوضع المحمل والصنجق مع زينته في صناديق مختومة في السرايا حتى موعد خروج القافلة[٣]. وفي السرايا تقدم الضيافة التي تتكون من سائر الألوان والأشكال من الشراب والطعام وبعد ذلك ينفض الموكب[٤].

وقد وصف موكب محمل الحجّ الشامي بهذه الأبيات من الشعر :

للمحمل الشّاميّ أيّ محاسن ... لا يمتري في فَضْلِهنّ عنيد

إن سار فهو منتظم أو حلّ في ... أرضٍ فعنهُ الأمن ليس يحيد

في الحالتين له أمير حازم ... يرعاه وهو ببأسه صنديد

فالراكبون جميعهم من شُكرهِ ... كل بإكثار الثناء يُجيد[٥]

وقد استمر خروج المحمل الشامي إلى الأراضي المقدسة ، حتى قيام الحرب العالمية الأولى[٦]. بعد ذلك ، تم حفظ المحمل الشامي في متحف التقاليد الشعبية[٧] كذكرى

---

(١) الغنيمي ، مازن يوسف : مرجع سابق ، ص١١٠.

(٢) نعيسة ، يوسف :مجتمع مدينة دمشق، ج٢،ص٦٦٨.

(٣) ابن طولون ، محمد : إعلامُ الورى بمن ولّي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق ، محمد أحمد دهمان، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم ، دمشق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ، ص٢٩٩.

(٤) نعيسة ، يوسف: مجتمع مدينة دمشق ، ج٢ ، ص٦٦٨ .

(٥) السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، تحقيق، علي الشنوفي ، ثلاثة أجزاء ، ج٢ ، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م ، ص ٢٣٢.

(٦) بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص١٨٠ . أيضا ، العلبي، أكرم : مرجع سابق ، ص١٤٨.

(٧) وهو قصر أسعد باشا العظم الذي حكم دمشق أربعة عشر عاماً متوالية بدءاً من سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م ، وعرف عنه حبه للعمران فبنى هذا القصر ويقع شمال سوق البزورية ، بجانب المدرسة الجوزية الحنبلية . وفيما بعد أصبح متحفاً للتقاليد الشعبية .انظر ، العلبي ، أكرم : خطط دمشق ، ص ٤٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للماضي.(انظر السكل رقم ٥،ص٤٢) ومن الأسباب التي أدت إلى منع دخول المحامل ، ومـا رافقها من موسيقى
ومدافع و جميع طقوس الاحتفالات ، ظهور الدعوة الوهابية و انتشارها فـي الحجـاز حيث اعتبروا ذلك بدعة . ففي سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م رجع المحمل الشامي من هديـة من غير حج ، لأنه لم يقبل شروط ابن سعود[١] الذي أحرق المحمل المصري في مكـة . وأمر بألا يأتي في العام القادم. لذلك نجد انقطاع المحملين عن الذهاب إلى مكة، فـي هذه الفترة[٢].

ـ أميـر قـافـلـة الحـج ومهامه[٣].

كان لابد من أن يكون لهذا التجمع الكبير الذي يسير ضمن قافلـة واحـدة ، مـن ضابط لتحركاتها واستراحاته ، وكذلك ، كان لابد من سلطة مركزية بقيادة أمير ، كـي يدرأ عنه المخاطر التي يتعرض لها في طريقه الطويل إلى مكة .
وفي قوله تعالى مايحث على طاعة أولي الأمر:
«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . فإن تنازعتم فـي شيءٍ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خيرٌ وأحسـن تأويلاً[٤]».
أما منصب أمير قافلة الحج: فهو منصب مسؤول وله مكانة. ولم يكن يعين فيـه زمـن الحكم المملوكي ، سوى الأمراء الذين يحملون رتبة أمير مائة، وهو أعلى منصب في

---

(١) هو سعود بن عبد العزيز الذي امتد حكمه من عام ١٨٠٣ – ١٨١٤ م وعرف باسم سعود الكبير وقد واصل عمل أسلافه في تثبيت دعائم الملك السعودي . انظر ، الشيخ ، رأفت : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ ، ص ١١٩ .

(٢) التبنوني، محمد لبيب : الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، القاهرة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م، ص١٤٨.

(٣) لقب وظيفي مؤلف من كلمتين أمير بمعنى رئيس، أو قائد أو آل. حاج وهو قاصد مكة للنسك، وجمعها حجـاج وحجيج وحج ، وقد كان أبو بكر الصديق أول من ولي هذه الوظيفة في عام ٩ هـ/ ٦٣٠م . انظر ، بركات، مصطفى : الألفاظ والوظائف ، ص١١٢. الشناوي ، أحمد : دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٢ ، ص ٦٤٩. أيضاً، السباعي، أحمد : تاريخ مكة ، ج١ ، ص٧٤.

(٤) القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

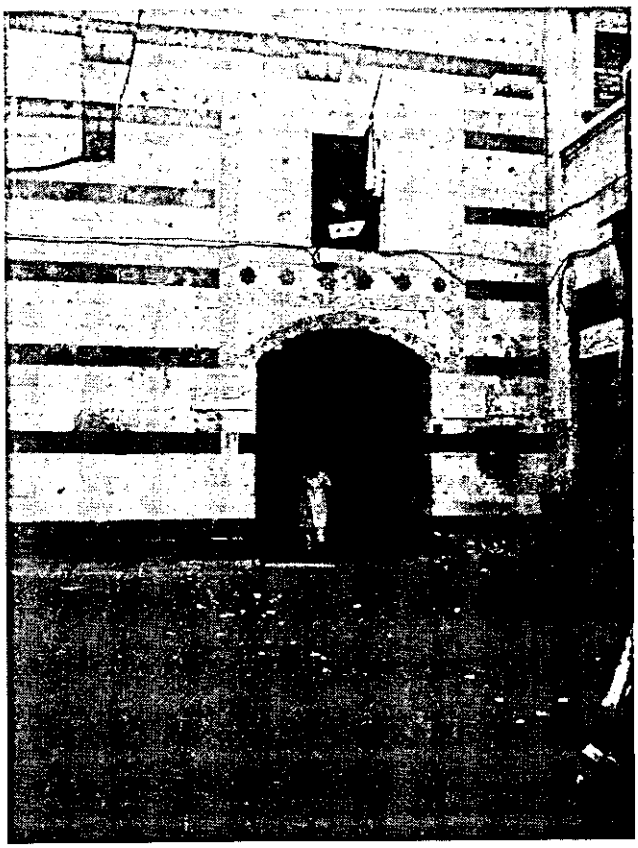

الواجهة الخارجية لمتحف التقاليد الشعبية، دمشق (تصوير الباحث)

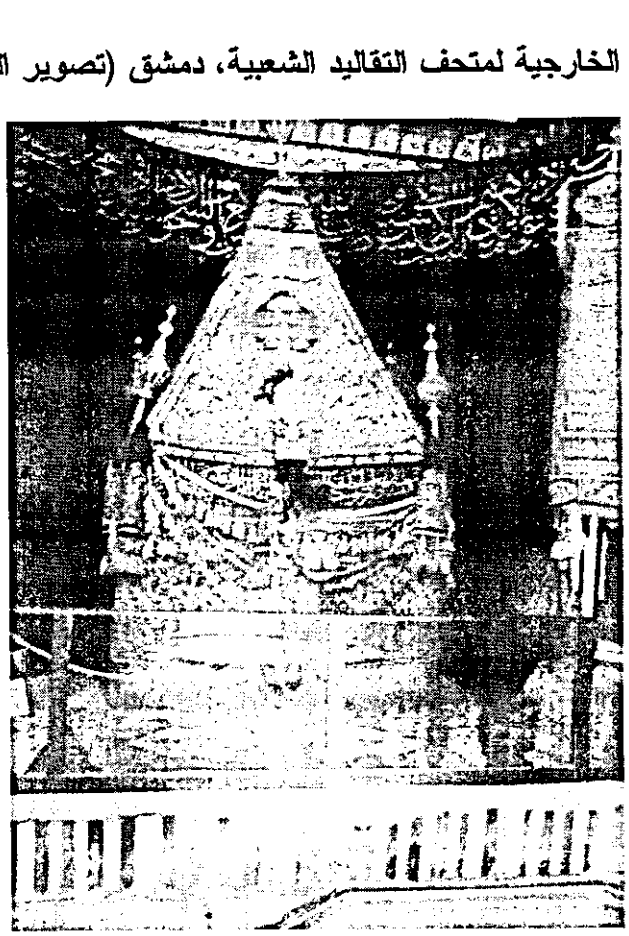

الشكل رقم (٥): محمل الحج الموجود في متحف التقاليد الشعبية، دمشق (تصوير الباحث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جيش المماليك[١]. أما في العهد العثماني ، فقد اهتمت الدولة العثمانية اهتماماً واضحاً بإمارة الحج ، إذ حرصت على تعيين أمير للحج كل عام ، يخرج على رأس القافلة [٢]. علماً أنّ قافلة الحج الشامي لم تخرج إلى الأماكن المقدسة ، في السنتين اللتين أعقبتا الفتح العثماني لبلاد الشام ، في عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ؛ بسبب التبدل في السلطة الحاكمة ، واضطراب الأمن في الأرياف وتحرك القبائل البدويّة. وبعدما قضى العثمانيون على ثورة جان برد الغزالي[٣]والي دمشق المملوكي الأصل في عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، استبعد المماليك نهائياً عن إمارة الحج الشامي ، في حين أنهم تسلموا قيادة قافلة الحج المصري ، طوال وجودهم في مصر ، في العهد العثماني. وعمد العثمانيون في بلاد الشام ، إلى تعيين أحد الأمراء المحليين من حكام صناجق غزة عجلون، أو اللجون، أو نابُلس، أو صفد، أو القدس، التي كانت تتبع ولاية الشام، أميراً على الحج[٤]. أما في القرن السابع عشر ، فقد تم تعيين أمراء القافلة من أبناء الأسر النبيلة ، أو من ضباط الانكشاريّة ، لملء الفراغ الذي خلّفه ضعف القوى المحلية[٥]. وكان أمراؤها في هذه الفترة ، حكاماً على صنجق أو أكثر من صناجق الشام . وذلك ليتمكنوا من جمع الضرائب ، لتغطية نفقات القافلة[٦]. ولم يكن للموظفين العثمانيين الذين عيّنوا أمراء للحج ، مصالح محلية على غرار حكام الصناجق المحليين، ليحرصوا ، عليها بل كان همهم الإثراء من منصبهم ، بعد أن اشتروه بالمال.

---

(١) التبنوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، ص٥٣.

(٢) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ٧.

(٣) بعد معركة مرج دابق ، هـ٩٢٢/١٥١٦م ، التي انتصر العثمانيون فيها على المماليك ، كان وقتها جان بردي الغزالي والي حماه ، وقد اتهم بتواطئه مع العثمانيين الذين كافؤوه بإعطائه حكم ولاية الشام حيث ازداد نفوذه ، وقد استغل وفاة السلطان سليم ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م لإعلان ثورته عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م ، ولقب نفسه بسلطان الحرمين الشريفين ولقب ، بالملك الأشرف . وقد قامت الدولة العثمانية بالقضاء على ثورته وقتله في ٢٦ صفر ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م . انظر ، رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت /١٥١٦/ ١٧٩٨، ص ١٢٠ ــ ١٢٣ . رافق ، عبد الكريم : العرب والعثمانيون من ٩٢٢-١٣٣٥هـ/ ١٥١٦ ــ ١٩١٦، ص ٨٣ ــ ٨٥.

(٤) رافق، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ٧. أيضاً ، الموسوعة الفلسطينية ، ص ٨٥٦.

(٥) حنا ،عبد الله فايز : ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، د . ت، ودون مكان الطباعة والنشر ، ص ٢٦.

(٦) الغنيمي ، مازن : مرجع سابق ، ص ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذا عمدوا إلى الامتناع عن دفع ما اعتادت الدولة دفعه من أُعطيات للقبائل المتحكمة بطريق الحج ، لشراء طاعتها ، وحمايتها للقافلة[١]. وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر ، بدأ والي الشام يتولى إمارة الحج،[٢] واستمر ذلك إلى القرن التاسع عشر.

ومن التطورات الهامة التي ترتبت على تعيين والي دمشق أميراً للحج ، استمراره في منصبه طالما أنه يؤمن سلامة القافلة. وذلك يرضي السلطان والرأي العام الديني. ولهذا شهدت دمشق منذ عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م استمرار ولاتها في الحكم ، سنوات عديدة، خلافاً لما كان عليه الأمر في القرن السابع عشر. وقد أدى ذلك إلى إطالة حكم الولاة من آل العظم[٣] الذين أمّنوا سلامة القافلة، وحكموا دمشق حوالي ستين سنة ، بشكل متقطع ، في القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر[٤]. وفي بعض الأحيان ، حين يكون قائد القافلة قد قصر أو بدر منه أي خلل في تجهيز القافلة ، فإن ذلك يعود على الحجاج بالسوء ، كما حصل في عام١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م ، حيث مات عدد كبير من الحجاج ، وهم في طريق عودتهم من مكة ، بسبب إهمال أمير القافلة ، مما اضطر الحكومة إلى عزله والقيام بمصادرة ممتلكاته[٥] . وكان لأمير الحج ، واجبات ومهام، عليه القيام بها من أجل تأمين سلامة هذه القافلة ، ووصولها إلى الأماكن المقدسة ، ذهاباً وإياباً. ومن هذه المهام:

---

(١) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ٨ .

(٢) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٥ .

(٣) اختلف الباحثون في أصلهم، فمنهم من قال إنهم أتراك من قونية، ومنهم من قال إنهم عرب من معرة النعمان (قرب حلب) والتابعة حالياً لمحافظة أدلب ، وقد أقام أكثرهم في بلاد الشام، واستخدمتهم الدولة في الولايات السورية حتى جاء وقت كان يشغل منصب الباشوية في دمشق وحلب وطرابلس وصيدا في القرن الثامن عشر ، باشوات منهم . كما استخدمتهم في بعض الولايات العربية الأخرى كمصر والموصل، ثم خشيت أن يؤدي طول مقامهم في الولايات السورية ، إلى استقرارهم فيها وتأليفهم قوة يخشى جانبها ونشوء أطماع انفصالية لهم ، فعصفت بهم وشتتتهم عن سورية ، وكان جزاء أكثرهم من الدولة القتل والمصادرة وأول من عرف منهم إبراهيم العظم .

انظر ، البديري ، أحمد : مصدر سابق، ص ٤٣. أيضاً ، عمر ، عبد العزيز عمر: مرجع سابق ، ص ١٦٠ – ١٦٢.

(٤) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٠٠.

(5) Koury. province of Damascus . p. 180 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامة وأمن الحجاج[١].

ـ جمع الناس في سيرهم ونزولهم حتى لا يتفرقوا.

ـ ترتيبهم في المسير والنزول ، بإعطاء كل طائفة منهم ، مقاداً حتى يعرف كل منهم مقاده إذا سار ، ويألف مكانه إذا نزل ، فلا يتنازعون فيه ولا يضلون عنه[٢].

ـ كان على أمير الحج ، قيادة القافلة بحكم وظيفته كقائد أعلى لها. إضافة إلى ترتيب عمليات شراء ونقل المؤن المرسلة مع القافلة أو التي ترسل قبل رحيل القافلة ، إلى الحصون والقلاع الواقعة على طريق الحج ، والإشراف على توزيعها أثناء الرحلة[٣].

ـ كما كان عليه صيانة الآبار، ومنازل الحج وحراستها[٤] ، ومراعاة الوقت المناسب للسفر والوصول إلى مكة في الوقت المناسب[٥].

ـ كما كان عليه تسلم ونقل الإعانات النقدية والعينية المرسلة سنوياً لأهالي الحرمين الشريفين، وترتيبها وتوزيعها أثناء إقامة القافلة ، في مكّة والمدينة. وكان عليه أيضاً توزيع الأتاوات النقدية والعينية ، على شيوخ وأمراء البدو القاطنين على طول طريق الحج ، لتأمين الحماية للقافلة[٦].

ـ وكان عليه أن يصلح بين المتشاجرين ، ويتوسط بين المتنازعين ، ويفصل بينهم ، ويؤدب مخالفهم[٧].

ـ وكذلك النظر في أمر الفقراء في القافلة خصوصاً المشاة والمرضى وتفقد أحوالهم[٨]. وأن يسلك بهم أوضح الطرق وأقصرها ، وتجنب أجدبها وأوعرها .

---

(١) كواترت، دونالد : مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(٢) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٢٩٨.

(٣) عمر ، سميرة فهمي : مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٤) بركات، مصطفى : الألقاب والوظائف العثمانية (١٥١٧هـ / م١٩٢٤)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ١٤ .

(٥) الرشيدي، أحمد : حُسن الصفا والابتهاج ، ص ٧٤ .أيضاً ، بركات مصطفى : الألقاب والوظائف العثمانية، ص ١١٤ .

(6)see, Shaw, s.j., the financial and administrative organization and Devolopmend of ottoman Egypt 1517 – 1798, princeneton N.J. 1964 . p331.

(٧) بركات ، مصطفى: مرجع سابق ، ص ١١٤.

(٨) عمر ، سميرة فهمي ، مرجع سابق ، ص ١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ وأن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعي إذا قلت[١] .

هذه المهام كانت واجباً على أمير الحج. وقد استمر ولاة دمشق يُعينون أمـراء للحـج حتى عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. عندما رأت الدولة أن غياب الوالي عن مقـر ولايتـه، مصحوباً بعدد كبير من جند الولاية بضعة أشهر من كل عام ، يؤدي إلـى اضـطراب الأمن في المدينة ، قررت الفصل بين منصبي والي الشام وأمير الحج[٢]. وحين فصـل المنصبان ، عهد بالأمارة إلى قائد قوات (الباش بوزوق) الذي أصبح يعـرف بمحـافظ الحج. وفي الفترة مابين ١٢٨٣ـ١٣٣٥هـ/١٨٦٦ـ١٩١٦م، تم اختيار أميـر القافلـة من أغوات الأكراد في دمشق، من أسر أجليقين وبوظو وشمدين، واليوسف[٣].

وهكذا نرى أن تبدل أمير الحج الشامي خلال أربعة قرون من الحكم العثمـاني ، قـد فرضته التطورات السياسية في بلاد الشام، وتبدّل الأوضاع العامة في الدولة العثمانية.

ـ القـوات والموظفـون المرافقـون لقافلة الحج الشامي

ذكرنا كيف كان يخرج الحج من دمشق، مؤلّفاً من المحمل ، والصنجق ، وذلك عقب عيد الفطر. ويجب أن نشير هنا، إلى أن الحجاج كانوا يسيرون براً ، قبل فتح قناة السويس ، وإنشاء سكة حديد دمشق ـ الحجاز على شكل قوافل ، فيها مختلـف أنـواع الدواب ، من جمال وحمير وبغال وخيول ،ومنهم من كان يقطعها سيراً على الأقـدام. وبما أن طريق البر شحيحة بالمياه ، كان لا بد من الاستعداد لنقل الماء للناس ولدوابهم. وبما أنهم يسيرون ليلاً ، كان لابد لهم من الأضواء والمشـاعل. ولأن المسـافة إلـى الحجاز طويلة ، كانوا يجعلونها على مراحل للراحة وتقديم العلف للدواب. ولابد للقافلة من سوّاس يتفقدونها ويقدمون لها حوائجها، من أعلاف وعناية . وكان لا بد من خـيم ينزل فيها الحجاج ويأوون إليها ليلاً أو نهاراً ، اتقاء للبرد أو حرارة الشمس ، والرمال السافية ، وكان يلزمهم أناس يرافقون الركب ليقدموا الخدمات المطلوبة .

---

(١) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج٢، ص ١٩٨ .

(٢) البدري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٧٦ .

(٣) من أشهر من انتخب لأمارة الحج من أسرة أجلقين من قبل الدولة العثمانية ، كان محمود باشا ، ومن أسرة بوظو كذلك محمود باشا بوظو . انظر ، الحصني ، محمد أديب : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٨٩٧ . أيضاً ، see, R. Tresse , Le pelerinage syrien aux villes saintes de Islam , paris 1937 . p.85,88

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما لابد للقافلة من حامية ترافقها طول الطريق ، وأخرى مستقرة في قلاع الحـــج[١].
وهؤلاء المرافقون هم :

١- السقاة: ويختصون بملء القرب من المناهل القريبة ، لإرواء الحجاج و رواحلهم ، ويرأسهم رئيس يسمى(سقا باشي)[٢].فمثلا في عام ١٢٤٩هـــ/ ١٨٣٣م ، تعرضـــت القافلة ، حين عودتها ، لنقص في المياه ، لذلك رافق قافلة الجردة التي ستقابل الحجاج ما بين مائتي قربة ، إلى ثلاثمائة قربة تسلم ، لكبير السقائين. وضوعف عـــدد القـــرب إلى خمسمائة قربة ، وذلك لاشتداد الحر على الحجاج ، و لقلة المياه[٣].

٢- المشاعليّة: كان السير يتم أحياناً في الليل ، اتقاءً للحر القاسي الـــذي كـــان يهـــدد الإنسان والحيوان بالهلاك[٤]. والمشاعلية هم الذين يضيئون الطريق أثناء الســـفر فـــي الليالي المظلمة ، بإشعالهم الخشب والزيت في مشاعل يحملونها أمام الركب ، وعلـــى جانبيه[٥].

٣- المقوّمون: وهم رجال يملكون عدداً وافراً من الإبل الصالحة بأدواتها وخيامها[٦]. ويقومون بتقديم الجمال وغيرها من المطايا اللازمة للراكبين ، في الـــذهاب والإيـــاب، بحيث إذا هلك إحداها في الطريق ، يقومون بتقديم غيرها في الحال ، وذلك لقاء أجـــرة مقطوعة تعيّنها الحكومة وتعلنها على الملأ ،وتأخذ على المقوّم كفلاء، كي لا يقصر في عمله. وهو بدوره ، يتعهد بمشال الركب الحجازي ، حين قصده السفرَ لجهة الحـــرمين الشريفين ، ويكون عنده عدد من الخيم ومعداتها ، والتخوت والمحـــاير والشـــباري[٧]، وغيرها ، للركوب بها ، مع وجود أنواع الخدمة مـــن عكامـــة[٨]وغلمـــان وطبـــاخين

---

(١) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ٦٠ .

(٢) نعيسة ، يوسف : وثائق تاريخية ، ص ٥٠٧. أيضاً ، عمر ، سميرة فهمي : مرجع سابق ، ص ١٨٧.

(٣) الوثيقة التركية رقم ٢٥٢، تاريخ ١٦ ذي القعدة سنة ١٢٤٩هـــ ١٨٣٣م.من كتاب، نعيسة ، وثائق ، ص ٢١٢.

(٤) العظم ، خالد : مذكرات خالد العظم ،ص ١٣ .أيضاً بيرين، جاكلين : اكتشاف جزيرة العـــرب، دار الكتـــاب العربي، بيروت، د . ت ص ٩٦.

(٥) رفعت ، إبراهيم : مرآة الحرمين، ج٢، ص ١٥٤ . أيضاً، ،عمر ، سميرة فهمي ، مرجع سابق ، ص ١٨٩.

(٦) السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٧) أيبش ، أحمد : مرجع سابق ، ص ١٩٩.

(٨) العكام : هو رجل من أهل الجاه والقدرة على المشي في القفار والأوعار ، يقوم المقوم باستئجاره وقت الحـــج بأجرة معلومة ، ويسلّمه جملاً وعليه المحارة يركبها شخصان ، ويسحب الجمل بهما فـــي الطريـــق، ويتـــولى»»»»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهاترة[1]وسقاة. وقد التمس هؤلاء المقومون في سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣١م ، إنصافهم برفع الأجور، حيث إنّ العادة جرت بأن يكون وقت تحديد الأسعار ، بحضور قاضي الشام وأمين الصرّة الهمايوني، ورؤساء السقائين وغيرهم ممن يلزم حضورهم. فقد طرح موضوع رفع الأجور، ورؤي بالإجماع، أن تكون أجرة التختروان٥٥٠٠ قرش هذه السنة، وكانت /٤٠٠٠ قرش/ في السنة الماضية ، وأن تكون أجرة المحفة/٣٠٠٠/ قرش، وكانت /٢٠٠٠ قرش/ ، وأن تكون أجرة (قاز قملة) /١٠٠٠ قرش/ وكانت /٧٢٥/ قرشاً ، ورتبت الأجور على هذا الشكل[2].

٤- العكّامة: هم الذين كانوا يرافقون الجمال ، ويعنون بخدمة من كان يركب ، وكانوا يسبقون الركب إلى المحطة ، فيصلون قبله بساعة أو ساعتين ، ويهرعون إلى نصب الخيام وإشعال النار وتحضير كل ما يحتاج إليه الحجيج من استراحة وقوت وطعام[3].

٥- الكاتب المرافق لقافلة الحجّ: وذلك من أجل كتابة العقود أو صياغة المستندات للحجاجّ فيما بينهم[4].

٦- القاضي المرافق لقافلة الحج: فمن الملاحظ أنه يتوجب على قافلة الحج الشامي، أن تضم قاضياً ينظم ويوثّق الصكوك والمستندات، من ديون، وبيع، وشراء. وكذلك فإن حوادث كثيرة وعديدة قد تحدث أثناء الحج[5]. ومن القضاة الذين رافقوا قافلة الحج الشامي ، خليل الفتال ومصطفى بن محمد الشهير بأبي الذهب الدمشقي [6].

»»»خدمتهما وكل ما يلزم الراكبين من طبخ وغيره في أثناء سفرهما . وإن كان الحاجان اللذان معه من الأغنياء ، كان ينال منهما الإكرام. انظر ، القاسمي ، جمال الدين ، والعظم ، خليل : قاموس الصناعات الشامية ، دار طلاس ، ط١ ، دمشق ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، جزءان ، ج٢ ، ص ٣١٨ و٣١٩.

(١) المهتار: حرفة متعلقة بالمقوم ، ووظيفته القيام على خيم الحجّاج الموجودين عند المقوم ، من أمر نصبها عند نزول الحجّاج إلى الراحة ، وفكّها عند سير الركب ، وهو يسبق ركب الحج . وعند نهاية المرحلة ينصب الخيام للحجّاج. وهذه وظيفته في الذهاب والإياب. انظر ، القاسمي ، جمال: مصدر سابق ، ج٢، ص٣١٨ و ٤٧٤ .

(٢) الوثيقة التركية رقم / ٣٣٣ / محفظة عابدين ، تاريخ ٢٣ رمضان ١٢٥٠هـ، ١٨٣١م.

(٣) العظم ، خالد : مذكرات خالد العظم، مجلد أول ، ص ١٣. قاسمية ، خيرية : حياة دمشق الاجتماعية كما صورها المعاصرون أواخر العهد العثماني ، مطبعة الداودي ، دمشق ،١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٩٧ .

(٤) الأنصاري ، شرف الدين موسى بن يوسف : نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق عدنان محمد إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة، سورية ، دمشق ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، جزءان ، ج١ ، ص ١٩٠.

(٥) غرايبه ، عبد الكريم: سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ ــ ١٩٧٦م ، دار الجيل للطباعة ، مصر، ١٣٨هـ/ ١٩٦١م ، ص ٥٣ . أيضاً ، الأنصاري ، شرف الدين موسى : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٥٩. ««««

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- الميقاتي: هو الذي كان يختص بالإعلام بالوقت الذي مضى والذي بقي للقافلة ، أثناء سيرها في الطريق ، ويبيّن اختلاف جهة القبلة في بعض المراحل ، ويضبط مسير الركب وإقامته في المحطات. وكان يشترط فيه أن يكون من ذوي المعرفة ، ومن أهل المقدرة على السهر ، للإحاطة بعلم ما مضى وما بقي من الليل.

٨- المؤذن: وظيفته الدعوة بالأذان للصلوات على طول طريق الحجّ. و كان يقوم بهذا العمل نفسه ، على جبل عرفات[١].

٩- البيطار: وهو الذي يعتني بحيوانات القافلة ، فيما إذا مرضت أو أصابها أي مكروه. ومرافقته للقافلة شيء ضروري ، لأن وسيلة السفر الوحيدة ، كانت الحيوانات التي كان لابد لها من شخص يقوم بمداواتها ، إذا ما تعرضت لمكروه في الطريق .

١٠- القسام : كانت مهمته حصر إرث المتوفى ، وكان يرافق قافلة الحج ، لأنه إذا ما توفي شخص على طريق الحج ، فإن عليه ، تسجيل ممتلكاته وحفظها. وبالنسبة إلى الحجاج الأغراب الذين كانوا يرافقون قافلة الحج ، وكان لهم وارثون في أماكن أقامتهم البعيدة ، فإن الثروة التي بحوزة المتوفّى منهم ، وغالباً ما تكون نقوداً وحاجيات وسلعاً، ، تُسلّم إلى وصي من بلدته ، يكون المتوفى قد عينه سلفاً عنه ، كتدبير احتياطي لينقل ذلك إلى وارثيه[٢].

١١- ومن أغرب الموظفين الذي كانوا يخرجون مع ركب الحجّ ، أبو القطط . وكان مختصاً بتقديم الغذاء للقطط التي كانت تتبع ركب الحجّ[٣] والتي كانت تقوم بقتل الفئران

»»[٦] الحصني ، محمد تقي : مصدر سابق ، ج٢، ص ٧٩٠. أيضاً ، المرادي ، محمد خليل : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، مطبعة بولاق الأميرية ، مصر ، ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣ م ، ثلاثة أجزاء ، ج٢، ص٩٩.

[١] عمر ، سميرة فهمي : مرجع سابق ، ص ١٩٤.

[٢] عني بسجلات المخلفات ، نوعان من القضاة ، عرف كل منهما بلقب قسام ، وأشير إلى الأول بلقب القسام العربي أو البلدي ، و الآخر بلقب القسام العسكري . والقسام العربي ، هو القاضي الذي قام بحصر وتسعير أو بيع مخلفات المتوفى ، واقتطاع ماكان بذمته من التزامات وديون ، وما ترتب على حصر التركة من نفقات ، ثم توزيع مابقي من الثروة بين الورثة . وعالج هذا القسام بخاصة ، أمور الأوصياء والقاصرين وثرواتهم ونفقات معيشتهم . انظر ، مجلة دراسات تاريخيه ، العدد الخامس عشر والسادس عشر ، بحث ، رافق ، عبد الكريم : بعنوان مظاهر سكانية من دمشق في العهد العثماني ، دمشق ، كانون الثاني – أيار ، ١٩٨٤ ، ص ٨ و٩ .

[٣] الرشيدي ، أحمد: حسن الصفا والابتهاج ، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقلية أو الأفاعي ، في مناطق نزول الحج ، لمنع أذيتها عن الحجاج .

١٢- أمين الصرّة: وهو الذي يوصل صدقات السلطان والأمراء إلى فقراء الحرمين[١] الشريفين، والأعيان، والشرفاء، والعلماء، ومن إليهم وكان يسمى « الصـــرة أميـــي». وكذلك ، كان يدفع الصرّة إلى أمراء البدو. وتقدّر صرّة كل أمير ببضعة أكياس تزيد أو تنقص بحسب قوته[١].

١٣- الجوخى دار أو الجوقدار: وهو الذي يتقدّم الحج بمسيرة ثلاث أو أربع مراحـــل، يبشّر بسلامة الحجّ[٣]ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب[٤]. حيث كان يتقاضـــى على بشارته مالاً كثيراً يُجبى له عنوة[٥]. ويصل الجوقدار إلى دمشق في العادة ، فـــي أواخر شهر محرّم . وخلال أسبوع من وصول الجوقدار ، يصل دمشقَ كاتبُ الحـــج، حاملاً رسائل الحجاج إلى ذويهم[٦].

كما كان يخرج مع الركب ، بعضُ الأطباء ، وبعـــض النجـــارين ومغسّـــلي المـــوتى والحلاقين[٧].

١٤- موظف البريد: ومهمته إيصال أخبار قافلة الحج ، بعد وصولها سالمة إلى الديار المقدسة. وكان يحمل معه جرعة من ماء زمزم وقليلاً من تمر المدينة ، ويتجـــه إلـــى اسطنبول ، ليقدمها هدية للسلطان ، العثماني مع رسالة من أمير القافلة بأخبار الحـــج. وكذلك فإنه عند عودة القافلة إلى دمشق ، يسبقها إلى العاصمة ، ليبشر بوصول القافلة، سالمة [٨].

١٥- العساكر المرافقة لقافلة الحج: كانت حماية قافلة الحج من الأولويات الأساسية

---

(١) المنير ، محمد عارف بن أحمد : السعادة السامية الأبدية في السكة الحديدية الحجازية الشامية ، صورة مخطوط رقم ١٠٧٦٨ ، مكتبة الأسد ، دمشق ، ص ٢.

(٢) الصالحي ، محمد بن كنان : يوميات شامية من ١١١١هـ حتى ١١٥٣هـ / ١٦٩٩م حتـــى ١٧٤٠م ، تحقيـــق أكرم حسن العلبي ، دار الطباع والنشر، دمشق، د . ت .ص ٢٣.

(٣) العلبي ، أكرم :مرجع سابق ، ص ١٥٤ . أيضاً ، ابن كنان : يوميات شامية ، ص ٢٤.

(٤) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ١٦٣.

(٥) العلبي ، أكرم : مرجع سابق ، ص ١٥٤.

(٦) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٨.

(٧) الرشيدي ، أحمد : حسن الصفا والابتهاج ، ص ٣٦.

(8) Browne , W. G . travels in Africa , Egypt and Syria , from the year , 1792-1798, p 404.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي وضعها العثمانيون نصب أعينهم منذ حكمهم لبلاد الشام[١]. وقد اهتم سلاطينهم ببناء سلسلة من القلاع ، على طول درب الحجّ ، ابتداءً من المزيريب ، جنوب دمشق، حتى المدينة المنّورة. وكانت مهمة الجنود حماية القلاع وبرك المياه التي كانت منتشرة على طول درب الحجّ،[٢]ومساعدة أمير الحج الشاميّ في جميع المحطات والمنازل التي يستريحون فيها. وكان هؤلاء الجنود على أنواع ، ومنهم:

ـ **الجند المرتزقة:** تألفت مجموعات هؤلاء من تجنيد الفلاحين والقبائل البدوية وأفراد العصابات التي تهتم بالسلب والنهب[٣]. وقام رؤساء هؤلاء الجند بعرض خدماتهم على ولاة دمشق وغيرهم من أصحاب الصناجق ، وأصبحوا يتقاضون رواتب منهم. وقد ازداد الاهتمام بهم في ولاية دمشق ، في الربع الأول من القرن الثامن عشر. وكان منهم السكبان، الدالاتية ، اللاوند ، المغاربة والتفتنكجية والأكراد والتركمان[٤]. وكانوا عنصر فوضى وإرباك في دمشق[٥].

وكان من مهامهم حماية مصادر المياه ، وكذلك تقديم كافة التسهيلات التي تتطلبها قوافل الحج[٦].

- **اللاوند:** اشتهر اللاوند في الأناضول منذ عهد السلطان بيازيد الثاني[٧](٨٨٦-٩١٧هـ/١٤٨١-١٥١١م) وكانت هذه التسمية في الأصل للبحارة ، وهي مشتقة من كلمة ليفانتينو (Levantino) اشتقاقاً من كلمة الليفانت أي الشرق ، التي أطلقها سكان

---

(١) الحمود، نوفان رجا : العسكر في بلاد الشام ، دار الآفاق الجديدة ، طبعة أولى ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ١٠١.

(٢) عماد ، عبد الغني : مرجع سابق ص ١٠٩.

(٣) عبيد، غسان : مرجع سابق ، ص ٥٨.

(٤) حنا، عبد الله : حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دار ابن خلدون، ط١، بيروت ١٤٠هـ / ١٩٨٥م، ص ١٣٤ - ١٣٥. أيضاً ، رافق ، بلاد الشام ومصر ١٥١٦ ـ ١٧٩٨، ص ٧٩.

(٥) نعيسة ، يوسف: مجتمع مدينة دمشق، ج١، ص ٢٤٤.

(٦) رجا الحمود، نوفان: مرجع سابق ، ص ١٠١.

(٧) السلطان بايزيد الثاني : ابن السلطان محمد الفاتح ، استطاع التغلب على أخيه جم واستلم الحكم سنة ١٤٨١م. كان ميالاً للسلم محباً للعلوم الأدبية . اضطر لخوض بعض الحروب الداخلية والخارجية ، وأعلن الحرب على المماليك في مصر لعصيانهم ، وجرى اشتباك بحري بينه وبين الأسبان . ابتدأت العلاقات في عهده مع دول أوربا ، وصل في عهده أول سفير روسي إلى القسطنطينية . اعتزل الحكم لولده سليم .انظر، أرسلان ، شكيب : »»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البندقية على البحارة الذين خدموا في أسطولهم ، وكانوا من أصل شرقي [١].

- **الجند المغاربة:** كان هؤلاء الجند من أقطار ومدن مغربية عدة ، فمنهم الفاسيون، و الجزائريون والمراكشيون والتونسيون والسوسيون والطرابلسيون.

وقد أقام المغاربة في دمشق ، منذ عهود قديمة . وكان لكل طائفة منهم ، شيخ ويرأس هؤلاء شيخ المشايخ[٢]. وقد برز من هؤلاء ، طائفة عسكرية في القرن الثامن عشر، وذلك بسبب كثرة اعتماد الولاة على الجند المرتزقة ، وعدم وجود عمل لهم، حيث عمل أكثرهم في مراقبة البساتين والحقول. ومع كثرة تدفقهم إلى دمشق ، شكل هؤلاء فرقة عسكرية اعتمد عليها الولاة ، فقدموا لهم خدماتهم مقابل المال. وكانت نفقات أكلهم على عاتق الوالي، ويقودهم آغا. وكان لهم خان في دمشق ، يدعى خان المغاربة وزاوية بالقرب منه. وقد أشركهم الوالي في حملاته، وفي حماية قافلة الحج[٣].

- **التفنكجية:** كلمة مشتقة من (تفنك) أي البارودة، وتعني الجند، حملة البنادق. وهؤلاء من المشاة ، يرأسهم التفنكجي باشي. وكانت مهمتهم حفظ الأمن داخل المدينة. وكلفوا في بعض الأحيان ، بمرافقة قافلة الحج وببعض المهمات الخارجية. وتعود أصول أكثرهم إلى بغداد والموصل وكركوك وغيرها[٤].

- **الدالاتية:** مفردها دالاتي وهي مشتقة من الكلمة التركية (Deli)، التي تعني الأهوج أو الطائش. وقد أطلق هذا الاسم على هذه القوات لاندفاعها وتهورها[٥]. وكانت تعود في أصولها إلى بلاد الأناضول والكرواتيين والبوسنيين والصرب. وقد استخدمت أولَ الأمر من قبل والي روم إيلي ، في مطلع القرن العاشر الهجري ، أي السادس عشر الميلادي وعرف قائدهم بلقب دلي باش[٦].

»»»تاريخ الدولة العثمانية ،جمع أصوله وحققه ، حسن السماحي سويدان ، دار ابن كثير ، ط ١، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ ، ص ١١٥ -١١٧.

[١] نعيسه ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج١، ص ٢٤٦.

[٢] رجا الحمود ، نوفان : العسكر في بلاد الشام ، ص ٦٣ و٦٤.

[٣] نعيسه ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج١، ص ٢٥٠.

[٤] آغا العبد ، حسن : مصدر سابق ، حاشية ، ص ١٠٧.

[٥] رجا الحمود ، نوفان : مرجع سابق ، ص ٦٢.

[٦] نعيسه ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج١، ص ٢٤٧ و ٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت هذه القوات تبحث عمن يستخدمها مقابل المال. ولهم في دمشق خان خاص بهم يعرف باسمهم. وقد اعتمد عليهم ولاة الشام في حملاتهم ، وفي مرافقة قافلة الحج وحماية الحجاج ، وكذلك استخدموهم ضد اليرلية. ولكن هؤلاء الجنود ، كثيراً ما عاثوا فساداً وتسببوا في اضطراب حبل الأمن في دمشق[١].

وكانت قافلة الحج ، وبسبب حجمها الكبير ، فإن ذلك يحتاج إلى كثير من الجنود لتأمين الحماية لها. لذلك أصدرت الحكومة العثمانية أوامرها إلى كل والٍ من ولاتها، بحماية القافلة أثناء مرورها في حدود منطقته،أو مرافقتها حتى مكة المكرمة ، إذا أقتضى الأمر، فكان على والي أذنه (أضنه) ، تأمين سلامة الحجاج حتى نهاية حدود ولايته ، و كذلك والي حلب . فمثلاً ، في عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م ، وبأمر سلطاني ، تم تكليف ثلاثمائة عسكري من حلب ، لمرافقة القافلة أثناء ذهابها وإيابها. وإذا ظهر أيّ إهمال من قبل هؤلاء الجنود ، نال المخالف عقوبته[٢].

كما نُظّمت أعداد" من فئات عساكر « باش بوزوق » أي عساكر غير نظاميّين، ليقوموا بحفظ النظام بين الحدود وإيصال الحجاج حين عودتهم إلى دورهم بطمأنينة و سلام[٣].

و كان على الدولة تأمين المؤن اللازمة للجنود المرافقين للمحمل الشريف والحجّاج من دمشق الى الحجاز وكذلك لخيولهم وجمالهم. فمثلا في عام ١٢٥٠هـ /١٨٣٤م تم استهلاك ٢٥٨٠٠ أوقية بقسماط و ١٥٠٠ أردب شعير، و٢٧٠ أردب فول مجروش في المدينة المنورة. و١٨٠٠٠ أوقية بقسماط و ١٢٥٠ أردب شعير و ١٨٧,٥ أردب فول مجروش في مكة المكرمة [٤].

ـ **السباهية:** وهم الفرسان أو قوات الإقطاع ، وقد مُنح هؤلاء أقطاعات من الدولة مقابل خدمتهم أي أن أغلب الأقطاعات كانت تمنح على أساس أنها راتب يرتزق منها

---

(١) مجلة دراسات تاريخية ، بحث لـ رافق ، عبد الكريم : بعنوان ، مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام ، العدد الأول، آذار، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ص ٧٧.

(٢) الأوامر السلطانية، لولاية حلب ، السجل رقم ٤٤ ، رقم الوثيقة ٨٦ ، تاريخ ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م ، ص ٥٦.

(٣) الأوامر السلطانية، لولاية حلب : السجل رقم ٤٤ ، رقم الوثيقة ٧٨ ، ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م ص ٤٩.

(٤) محفظة عابدين المحفظة رقم ٢٥٠ ، الوثيقة التركية رقم ٣١٤ تاريخ ٦ رمضان١٢٥٢٠هـ / ١٨٣٤م وذلك نقلاً عن ، نعيسة ، يوسف: وثائق عن الشام في أثناء حملة محمد علي باشا ، ص ٣٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السباهية (السباهي)[١]، وهذه الاقطاعات كانت من الأراضي الأميرية التي تصرف بها العثمانيون بعد فتحهم لبلاد الشام.[٢]وقد عُهد إلى تلك القوات المحافظةُ على القلاع في طريق الحج[٣].

ـ الصـــرَّة والهـــدايا .

حرصت الدولة العثمانية على أن توفر نوعاً من الامتياز لساكني الحجاز. لـذلك لم يعامل الحجازيون معاملة غيرهم من أبناء الأقاليم ، فلم يطبق عليهم نظام الالتـزام، وكذلك أعفي ساكنو المدينتين المقدستين من الضرائب فضلاً عن ذلك ، حرصت الدولة على أن تظهر بمظهر الغنية القادرة على إرسال الهبات والعطايا حتـى فـي أوقـات الشدة[٤]. وكانت سياسة الدولة العثمانية تجاه المدن التي حكمتها ، تقضي بعدم التـدخل في تركيبتها الاجتماعية والدينية وحتى الاقتصادية. وكان البدو من ضمن تلك الفئـات التي لم يتدخل العثمانيون في شؤونها ، وتركوا لها الحرية في تقرير نمـط حياتهـا[٥]. لكن هؤلاء البدو أخذوا يهاجمون قافلة الحج ، وكان هذا الأمـر يـؤثر علـى سـمعة الدولة[٦]ويثير الأهالي عليها ، ولا سيمّا أن هؤلاء البدو كانوا أحياناً يسـيئون إسـاءات بالغة للحجاج ، بتسميمهم برك الماء التي على طريق الحج، ناهيك عن سلبهم ونهـبهم وقتل بعض أفرادهم. وقد اتبعت الدولة العثمانية ، منذ سيطرتها علـى بـلاد الشـام ،

---

(١) عبيد، محمد غسان : مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) رافق ، عبد الكريم : بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص ٧١.

(٣) مجلة دراسات تاريخية ، العدد الأول ، ص ٧٣.

(٤) التميمي، عبد الجليل : الحياة الاقتصادية للولايات العربية ، مصادر وثائقها في العهد العثماني منشورات مركـز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، تـونس ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، جزءان ، ج٢ ، ص ٥٨٦ .

ومن الفئات التي كانت تُرسل لهم ، الهدايا الأشراف الذين كانوا موضع التبجيل ، ليس فقط لأنهم حكموا مكّة قبـل التوسع العثماني ، دهراً طويلاً بل أيضاً لأنهم من نسل النبي.لهذا كانت الهدايا ترسل إليهم وتسلم لهـم مـع ركـب الحج. انظر ، جب هاملتون ، بودن هارولد : مرجع سابق ، ص ٣٩. أيضاً .هريدي ، محمد عبد اللطيف : شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ، دار الزهـراء للنشـر، ط١، القـاهرة ، ١٤١٠ / ١٩٨٩م، ص ٣٤ .

(٥) الصباغ ، العكاوي : تاريخ ظاهر العمر ، ص ٧٥.

(٦) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج١ ، ص ٦٣ و ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسة متنوّعة الاتجاهات نحوهم ، وإن كان الأساس فيها مهادنتهم واسترضاءهم. لذلك كانت ترسل لهم الصرّة [١] ، وهي الأموال التي كانت تبعثُها العاصمة لتوزيعها على العشائر ، على طريق القافلة ، وسائر سكان الحجاز[٢]. وإضافة إلى تلك الأموال ، كانت ترسل كذلك ، الزيوت والشموع والمياه العطرية، كماء الورد، وماء الزهر ، إلى الحرمين الشريفين ، لغسل الكعبة المعظمّة والحجرة النبوية[٣]. وكذلك ، كانت الصرّة تحتوي على مختلف المتاع من أحذية ومحارم وعسل وعباءات[٤] وسراويل وجوارب[٥]. وفي عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م أصبح يرسل مع الصرة السجاد الدمشقي، ليمد في جوامع مكة والمدينة[٦]. وقد ذكرت الأميرة عائشة عثمان أوغلي ، في كتابها "والدي السلطان عبد الحميد " (إنه في النصف من شعبان ، يتم الاحتفال بدخول المحمل الشريف ، ثم في اليوم التالي يكون موكب الصرّة. فكان لكل سيّدة أو أميرة في السرايا، صديق ، (معتمد) في مكة المكرمة ، ترسل إليه النقود والهدايا في كيس من الجلد، بواسطة هؤلاء الأصدقاء كانت ترسل النقود أيضاً إلى كثير من الطالبين المتوسلين. ويتم ربط هذه الأكياس برباط ثم تختم بأختام كتب عليها: " تذهب وتأتي بالسلامة" [٧].

---

(١) كان أول من أرسل الصرّ الرومي للحرمين من آل عثمان ، السلطان يلد ريم بايزيد ، ثم ابنه مراد فكان يرسل للحرمين في كل سنة ٣٥٠٠ ، دينار ولأشراف مكة مثل ذلك ، ثم السلطان بايزيد والد سليم فكان يرسل للحرمين الصرة في كل عام وكانت تحوي أربعة عشر دينار ، ثم إن السلطان سليم ضاعف جميع ذلك ورتب للحرمين في كل عام سبعة آلاف أردب حنطة ، وجاء السلطان سليمان الذي ضاعف جميع ذلك من نقود ومواد . انظر، المقدسي، مرعي بن الأمام يوسف : قلائد العقبان وفضائل آل عثمان ، صورة مخطوط بمكتبة الأسد ، رقم ص .م ٢٧٤ ، الورقة رقم ٢٩.

(٢) الأوامر السلطانية لولاية دمشق، السجل رقم /٢/ الوثيقة رقم ١٦٩ ١٣ رمضان ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م . أيضاً ،الوثيقة رقم ١٧١، ١٥ شعبان ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م .أيضاً ، الأوامر السلطانية لولاية حلب، السجل رقم ٣٨ ، الوثيقة رقم ٤٠٦، ٢٦ جماد الآخر ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م + الوثيقة رقم ٤٠٧، تاريخ ٢٣ جمادى الأول ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

(٣) العظمة ، عبدالعزيز : مصدر سابق، ص ١٩٢.

(٤) القاسمي ، جمال الدين : مصدر سابق ، ج٢، ص ٣١٦.

(٥) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ١٦٢.

(6) Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland , p51.

(٧) أوغلي، عائشة عثمان : مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة صال سعدادي صالح، دار البشير، الأردن، عمان، ط١ ،١٤١١هـ/ ١٩٩١م ص١٣٥و١٣٦. كان صديق (معتمد) الأميرة عائشة، في مكة المكرمة رجل يدعى سيد عبد القادر بن شعيبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيراً ما امتنع أمراء الحج عن دفع النصف الثاني من الصرّة ، أثناء العودة. وهذا ما يفسر كثرة اعتداء البدو على القافلة ، أثناء عودتها. ومما شجع البدو على القيام بـذلك، طمعهم بالبضائع التي كانت تحملها القافلة في طريق العودة.[١] وبقيت الحكومة العثمانية مصرة على إرسال الصر لساكني الحرمين وبشكل سنوي ، حتى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥ م . وكانت في كل ، عام ترسل العديد من الفرمانات والأوامر التي تؤكد فيها على جمع أموال الصرة وتوزيعها على مستحقيها[٢].

وكانت الصرّة ترسل من بلاد المغرب العربي[٣]، و من مصر و السودان[٤]. وكان الهدف من الصرّة ، تأمين سلامة الحجاج وضمان عدم هجوم البدو ، عليهم ومساعدتهم وتأمين سلامتهم[٥]. والجدير بالملاحظة ، بالنسبة لاعتداءات البدو على قافلة الحج ، أنها في أكثر المرات التي وقعت فيها ، لم تكن تقع على القافلة إلا في طريق العودة، أي بعد أن يؤدي الحجاج الفريضة. وكأن هؤلاء البدو لا يريدون أن ينسب إليهم أنهم كانوا السبب في منع المسلمين من أداء فريضة الحج ، أو يقال عنهم قطاع طرق .

وهذا أمر يبدو عجيباً إلى حد كبير ، فكيف يكونون لصوصا ، بالرغم من أنهم أصحاب مبادئ [٦].

---

(١) ابن طولون ، شمس الدين محمد : حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام ٩٢٦- ٩٥١هـ ، صفحات مفقودة تنشر للمرة الأولى من كتاب ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق، أحمد أيبش، الأوائل للنشر ، ط١، دمشق ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٥ . أيضاً ، الرشيدي ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٥٢.

(٢) الأوامر السلطانية لولاية حلب سجل رقم /٣٥/ رقم الوثيقة ١٠٧ و ١٠٨ و١١٠و١١٣ ، تاريخ ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م. أيضاً السجل رقم ٣٦ رقم الوثيقة ١٧و١٨و١٢٢و١٢٣و ١٢٥ تاريخ ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥م، أيضاً، السجل رقم ٣٩ رقم الوثيقة /٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨/ تاريخ ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤م. أيضاً ، القطوري ، أحمد المرسي: مرجع سابق ،ص ١٤٥.

(٣) ابن الخوجة ، محمد : صفحات من تاريخ تونس ــ تقديم وتحقيق ، حمادة الساجلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٩٥.

(٤) التونسي ، محمد عمر : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٤٠٦.

(٥) ابن كنان : المواكب الإسلامية، ج١، ص ٦٤.

(٦) الرشيدي ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٤٥ . أيضاً ، ابن طولون : حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام ، ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ قافلة الجـــردة .

إلى جانب أمير الحج وجد أمير الجردة الذي عرف أيضاً بلقب باشـــة الجـــردة وجردجي وأمير الملاقاة[١] والجردة، هي القافلة التي تحمل المؤن إلى قافلـــة الحـــج ، وهي في طريق عودتها من الحجاز[٢].وهذه المؤن مثـــل البقســـماط (خبـــز مجفـــف)، والزيت والتين، والحلويات والأرز، والشعير، والعلف، والحبـــال، والملابـــس، تُعـــدُّ لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى الشام ، خشية أن يكون ما عندهم قد نَفَد[٣]. وتغادر قافلة الجردة دمشق عادة ، في شهر ذي القعدة أو ذي الحجة[٤]. ولم تكن قيادتها حكراً على باشوية معينة ، فقد أصاب هذا المنصب ما أصاب منصب قيادة الحج مـــن تبدل وتغيير. وحين أصبح ولاة الشام أمراء للحج ،عُهد بإمـــارة الجـــردة إلـــى والـــي طرابلس. وفي حالات نادرة ، إلى والي حلب. وعمد والي دمشق (أمير الحـــج) إلـــى الطلب من السلطان ، أن يعين أميناً له أو قريباً والياً على صيدا أو طرابلس أو كليهما، ليضمن ولاء أمير الجردة وتأمينها ، وحرصه على الذهاب إلى أبعد مسافة في ملاقـــاة الحج. وكمثال على ذلك ، نجد حكم الولاة من آل العظم على هذه الولايات ؛ ففي عـــام ١١٣٧هـــ/ ١٧٢٥م عُيّن إسماعيل باشا العظم على الشام ، وعُيّن سليمان باشـــا علـــى طرابلس ، ونقل في عام ١١٤٠هـــ/ ١٧٢٨م ، وعين على صيدا ، وهكـــذا حكـــم آل العظم ولايات الشام وطرابلس وصيدا في آن واحد. وأبعد نقطة وصل إليه أمير الجردة لملاقاة قافلة الحج ، كانت هدية[٥]. وكان يصحب الجردة طوائف من الجند ، لحراستها والاشتراك مع الجنود المرافقين لأمير الحج ، في حراسة قافلة الحجاج فـــي طريـــق العودة[٦]. وقد اعتمد أمير الجردة في تمويل قافلته على عدة مصادر كميناء اللاذقية

---

(١) الأنصاري : نزهة الخاطر وبهجة الناظر، ج١، ص ٦٦ . رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٠.

(٢) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، حاشية ، ص ٦٥.

(٣) الصايغ ، فتح الله بن أنطون :المقترب في حوادث الحضر والعرب ، صورة عنه في مكتبة د . يوسف نعيسه ، ص ٣٤ آ . أيضاً ، البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص٧٠.

(٤) العظمة، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٩٦. خيرية ، قاسميه : مرجع سابق ، ص ٩٧ .

(٥) رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص ٣١٨. أيضاً ، رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٠.

(٦) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي ألحقته الدولة بباشوية طرابلس[١] ليستعين بإيراده على تمويل الجردة. بالإضافة إلى الضرائب التي كان يفرضها على الأهالي والتجار العرب والأجانب[٢]. وكثيراً ما سببت هذه الضرائب العصيان والمشاكل في الولاية التي كانت تُفرض عليها[٣].

وكانت قافلة الجردة تخرج من دمشق في ١٤ ذي الحجة ، وتقابل قافلة الحج في طريق عودتها في هدية[٤]على بعد ٢٢يوماً من دمشق ، وثلاثة أيام من المدينة المنورة[٥].وفي يومي إقامة الحجاج والجردة في هدية ، يكون الحجاج ضيوفاً على قافلة الجردة[٦] ثم تعود القافلتان معاً إلى دمشق ، على أن تسبق قافلة الجردة قافلة الحج ، ببضعة أيام وتستغرق قافلة الجردة في الذهاب والإياب حوالي خمسين يوماً[٧].

وإذا تعرضت قافلة الجردة وهي في هذه المهمة إلى اعتداء عليها ، وجب اعداد جردة أخرى. وألقيت مسؤولية ذلك في الغالب على أهالي دمشق[٨]، كما حصل في عام ١١٧١هـ/١٧٥٧م ؛ فعند وصول قافلة الجردة إلى منزلة القطرانة ، هاجمها بدو بني صخر ونهبوا كل مافيها. لذلك اضطرت دمشق إلى جمع الأموال من الأهالي ، و إرسال جردة أُخرى[٩].

---

(١) كان مبلغ ١٩٧٤ قرشاً من مال إيالة طرابلس قد خصص لنفقات استقبال الحجاج في طريق الحج . وقد صرف هذا المبلغ في سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م بمعرفة الوزير المكرم الحاج محمد علي باشا والي الشام للغرض المذكور . انظر الوثيقة التركية رقم ٩٥ /٢٨، محفظة عابدين تاريخ ١٦ رجب سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م . انظر ، نعيسه ، يوسف : وثائق عن بلاد الشام ص ٣٤٢.

(٢) العبد ، حسن آغا : مصدر سابق ، ص ٨٤.

(٣) الغنيمي، مازن يوسف : مرجع سابق ، ص ١٠٥.

(٤) يقول محمد السنوسي في كتابه " الرحلة الحجازية " : عند وصولنا إلى قلعة المدائن ، وجدنا وفد الشام المسمى بالجردة نازلاً هناك . وهو عبارة عن معسكر تحت أمرة قائمقام وهو شاكر أفندي ومعه بريد ومكاتيب الحجاج وهدايا أهلهم وكثير من باعة المأكولات واللباس ، إعانة للوافدين. وربما حضر بعض أقرباء الحجاج وأحبته إلى ذلك المحل . انظر ، السنوسي ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٣٤.

(٥) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج١، ص ٦٥.

(٦) عبد الغني ، عماد : مرجع سابق ، ص ٦٥.

(٧) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج١، حاشية ، ص ٦٥.

(٨) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٠.

(٩) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ وسيلة السفر (المطايا).

كل قارئ لسير قافلة الحج ، ولهذه الأعداد الكبيرة التي تتحرك مع بعضها البعض، يتساءل عن الطريقة التي كانت تتحرك بها. وكما ذكرت العديد من المصادر ، فأن عدد الحجاج كان يتراوح ما بين /١٥/ إلى /٣٠/ ألفاً ، زيادة أو نقصاناً. وبسبب اختلاف الوضع المادي والاجتماعي لكل واحد من هؤلاء الحجاج ، كان كلٌ واحد منهم يختار لنفسه وسيلة سفره وتنقله. فمنهم من كان يختار السَّير على الأقدام (وهؤلاء هم الفقراء)، ومنهم من ينتقل على الخيول وعلى الجمال[١] والبغال والرهوانات. وكانت توضع على هذه الحيوانات ، وخاصة الجمال ، مطايا وهي على أنواع (تخت روان، محاير، ، شباري، شقدوحات ، سلال)[٢] وكان الحيوان الرئيسي المستخدم في عملية التنقل ، وهو الجمل. وكانت قرى حوران هي التي تقدم آلاف الجمال إلى القائمين على شؤون قافلة الحج. وكذلك كانت عشائر البدو تقوم بتقديم الجمال لقافلة الحج ، مقابل مبلغ معين من المال ، وخاصة قبائل بني علي ، وقبائل بني صخر وصقر[٣].

وكانت توضع على هذه الجمال ، عدة مطايا لإراحة المسافر وهي:

ـ **التخت روان:** وهي عبارة عن محفة (خيمة تحمل على قطعتين من الخشب متوازيتين بمسافة معينة وبطول معين ، بحيث يسمح بوضع حيوانين (بغلان أو حماران أو جملان) أحدهما في الأمام ، والآخر من خلفه ، وما بينهما تلك الخيمة، وبها فرش لإراحة الراكب (المسافر)[٤]). وغالباً ما كان يستخدم التخت روان في نقل الخاصة من الحجيج وأصحاب السلطة لأنه يوفر الراحة النسبية أكثر من امتطاء صهوات الجياد أو الجمال. وكانت بعض النسوة يركبن فيه ، فيحجبهنّ عن أعين الناس ويقيهنّ حر النهار

---

(١) الجمل سفينة الأسفار في القفار وله قدرة على احتمال مشقات الحياة الصحراوية ، وهو مقوس الظهر لاحتمال الأثقال ، وجعل خفه واسعاً مدوراً طرياً حتى لا ينزلق على الأحجار ولا يغوص في الرمال ، ويحتمل العطش والجوع أياماً ، انظر ، البتنوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ٢٦٨ .

(٢) أبيش ، أحمد : مرجع سابق ، ص ١٩٩.

(٣) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج، ص ١٣.

(٤) نعيسه ، يوسف : المرجع في وثائق تاريخية عن الشام، ص ٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صيفاً وبرد الشتاء إلى حد ما[١]. وكانت أجرة التخت روان مابين دمشق ومكة المكرمة في عام ١٨٧١م بمعدل ٥٠٠٠٠ قرش[٢].

المحاير: وهي من الخشب على صفة السرير. تعمل محامل للحجاج حين سفرهم للحجاز. وتسمى الواحدة محارة ، وهي شقتان ، تحمل على ظهر الجمل ، كل شقة بطرف تُحزم بقشط غليظة، وتُغطى بقطعة من قماش. وتسع الشقة من المحارة فراش شخص واحد مع ما يلزمه من الثياب ومطرة للماء وغيره[٣]. واستخدم اسم آخر للمحاره ، وهو الشقدوحه[٤].

الشباري: وهي مثل الصندوق ، ومفردها الشبريّة. والراكب فيها لا يرى الشخص الثاني الذي يركب معه. وكان يرغبها الفقراء من الحجاج لرخص أجرتها إذا ما قيست بباقي أدوات السفر[٥].

هذه هي وسائل السفر التي كانت مستخدمة في طريق البر أما فيما بعد فنجد أن هناك تغيرات قد حصلت في مجال نقل الحجاج والتجار حيث بدأ التحول إلى استخدام البحر الأحمر ، وخاصة عندما بدأ استخدام السفن البخارية محل السفن الشراعية في نقل الحجاج بين السويس وجدة ، وذلك عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م[٦]. وقد زاد ذلك كذلك حين افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م[٧]. وكان أعظم تغير في طرق سفر الحجاج ، هو إنشاء سكة حديد الحجاز في سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. وقد أثر ذلك تأثيراً كبيراً على سير وحجم قوافل الحج[٨].

---

(١) بلنت ، آن : رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية ، ترجمة وتعليق ، أحمد أيبش ، دار المدى الثقافة والنشر ، ط١، دمشق ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٣١٨.

(6) Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland , p52.

(٢) القاسمي ، جمال الدين : مصدر سابق ، ج٢، ص ٣١٨.

(٤) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٤.

(٥) القاسمي ، جمال الدين : مصدر سابق ، ج٢، ص ٤٢٠.

(٦) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٧٥.

(٧) النتشه ، رفيق شاكر : السلطان عبد الحميد وفلسطين ، مكتبة موبولي ، ط٥ ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ص ٨٧.

(٨) حرب ، محمد : السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، دار القلم، ط ١، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٢١٧ . أيضاً ، الهلالي ، محمد مصطفى : السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود ، دار الفكر ، ط١، دمشق ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما تقدم ، نجد أنّ وسيلة السفر قد اختلفت مابين حاج وآخر ؛ وذلك حسب وضعه المادي، وحسب تحديد أجور السفر. إلا أنها اختلفت في بعض الأحيان ، مابين سنة وأخرى. ولم يكن غلاءُ أجور السفر وحده ، ما يمنع الناس من الحج ، إذ إنّنا نلاحظ أن قسماً من الأثرياء كان يرفض الذهاب للحج ، وذلك خوفاً منه على حياته وأمواله ، وأيضاً لعدم قدرته على تحمل مشقة السفر لأن الشخص الغني في أكثر الأحيان ، يكون أقل جلداً وصبراً على تحمل المصاعب من الشخص الفقير. وقد اهتمت الحكومة العثمانية في الحفاظ على هيبتها الدينية ، لذلك استمرت في إرسال الأموال والمعونة إلى ساكني الحرمين ، شعوراً منها بالوضع المادي الصعب الذي كان يعيشه الناس في الأماكن المقدسة ، إذ لم يكن هناك مورد أساسي يستفيدون منه في الدرجة الأولى ، إلا قوافل الحج التي كانت تصل إليهم في كل عام. لذلك حافظت على هذا الاستمرار في إرسال الصر ، حتى نشوب الحرب العالمية ، وانفصال هذه المناطق عن سيطرتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الفصل الثاني))

أولاً: الأثر الاقتصادي لقافلة الحج الشامي .

أ- أثر قافلة الحج اقتصاديا على دمشق .

ب- الحِرف التي تنشط في دمشق وقت الحج .

ج- أثر قافلة الحج على الأماكن المقدسة .

د- أهم السلع التي تمّ التبادل والمتاجرة بها مع قافلة الحج.

هـ- الأسواق الموسمية التي كانت تعقد وتنشط على طول طريق الحج .

ثانياً: الأثر الاجتماعي لقافلة الحج الشامي .

١- أثر قافلة الحج اجتماعياً على دمشق .

٢- أثر قافلة الحج اجتماعياً على الأماكن المقدسة .

ثالثاً : الأثر الصحي لقافلة الحج الشامي .

رابعاً : الأثر الثقافي لقافلة الحج الشامي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: الأثر الاقتصادي لقافلة الحج الشامي .

أ ــ أثر قافلة الحج اقتصادياً على دمشق:

رأينا كيف كانت دمشق مركزاً لتجمع الحجاج القادمين إليها من جميع أطراف بلاد الشام والأناضول وبلاد فارس وغيرها من البلدان[١]. وباعتبار أن الطريق إلى الأماكن المقدسة براً ، يتطلب مشقة كبيرة فقد كان على السلاطين العثمانيين ، الاهتمام بتنظيم أمور الحج. وبحكم موقع دمشق الجغرافي ، فقد جعلها العثمانيون مكاناً لاجتماع الحجاج ، وأطلقوا عليها أسم (شام شريف) . وكان والي دمشق كما رأينا ، هو أمير الحج ، ومهمته قيادة هذه القافلة والحفاظ على أمنها وسلامتها حتى الحرمين الشريفين ، ذهاباً وإياباً[٢]. وهذا التجمع الهائل[٣]من الحجاج ومن قوميات مختلفة ، أدى إلى تحريك الوضع الاقتصادي في مدينة دمشق [٤]،حيث تزداد الحركة ويكثر فيها البيع والشراء . وعلى حد تعبير البديري (جبر خاطر لعموم الناس في البيع والشراء)[٥]. وهؤلاء الحجاج الغرباء القادمون الى دمشق(كان موعد وصولهم إلى دمشق

---

(١) الأنصاري ، شرف الدين : مصدر سابق ، ص ٦٥.

(٢) الكواكبي ، نزيه : دمشق دراسات تاريخيه وأثريه ، مطبوعات المديرية العامه للآثار والمتاحف ، ط ١، دمشق ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، ص ١٩٠.

(٣) تراوحت تقديرات المشاركين في الحج الشامي،إبان القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، ما بين خمسة عشر ألفا ومئة ألف حاج، وقدر فولني عددهم ، في نهاية ذلك القرن،ما بين ثلاثين إلى خمسين ألف حاج. وفي عام١٢١٧هـ/ ١٨٣١ قدر م. ميشو عددهم بـ (عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين ألفاً). وفي عام ١٨٥٤ شهد لاروتي – حاجي عودة إحدى قوافل الحج ، وقدر عدد أفرادها بـ ٤٥ ألفاً .
وقد طرأ على هذا العدد ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، انخفاض ملموس ،بسبب افتتاح قناة السويس عام١٨٦٩م. وكذلك فإن حجاجاً قادمين من فارس سافروا عام١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م على ظهر البواخر، متوجهين إلى جدة .انظر ، بريجيت ، مارينو : حي الميدان في العصر العثماني ، ترجمة ، ماهر الشريف ، دار المدى ، للثقافة والنشر ، ط ١، دمشق، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ١٠٥.

(٤) أحتلت التجارة في قافلة الحج مكاناً كبيراً . ولقد كان الهدف من القافلة دينياً في الأصل ثم أخذ عبر القرون ، طابعاً تجارياً. فالقافلة ذات اتجاه ديني ولكنها وسيلة مؤكدة لممارسة واستغلال كل أنواع التجارة الآسيوية والأفريقية .انظر ، ديجورج ، جيرار : دمشق من الأمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر، ترجمة ، محمد رفعت عواد ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٦١.

(٥) البديري ، أحمد : مصدر سابق ،ص ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مابين رجب من كل عام ، إلى منتصف شوال [١]) يحضرون معهم منتجات بلادهم، حيث يقومون ببيعها أو مقايضتها على منتجات في دمشق ، ليستعينوا بثمنها على نفقات الحج [٢]. وقد اعتبرت القافلة بمثابة بازار دائم . وكان أكثر الحجاج الواصلين والذين يمتطون الجياد يبيعونها في دمشق ، ويشترون عوضاً ، عنها جمالاً من أجل السير في الصحراء ولهذا نرى الجياد رخيصة، بسبب الإقبال على شراء الجمال إذ يقصد دمشق في هذا الوقت من يريد شراء الجياد لرخصها ولتنوعها[٣]. وفي هذه الفترة يقوم الواصلون بزيارة الأماكن الأثرية والأضرحة ،وكانوا يملؤون الشوارع والفنادق والبيوت ، الأمر الذي يعود على دمشق بالربح[٤]. ومن دمشق يأخذون احتياجاتهم ، لأن الطريق طويل ، وكذلك صحراوي فتراهم يستأجرون الدواب أو يشترونها أو يقايضونها ، ويأخذون ما يلزمهم من طعام وشراب[٥]. وكان كل حاج يسعى لأن تكون مقايضته مربحة. وهذا لا يعتبر لديهم مخالفاً للدين. فقد كان الحجاج يجلبون معهم السجاد الفاخر والمطرزات الجميلة والشالات الثمينة والحجارة الكريمة ، من أجل مبادلتها بحرائر وقطنيات مصانع دمشق[٦].

وقد تم إنشاء العديد من الخانات والمستودعات والفنادق التي تقوم على استيعاب الوافدين. وكانت قافلة الحج الشامي تُعتبر مورد دمشق الأعظم حتى آخر القرن التاسع عشر[٧]. وفي وقت الحج ، كانت الحوانيت والمخازن على جانبي الطرق ، مليئة بالبضائع الأجنبية ، مثل العطور ، والقطن من

---

(١) العظمه ، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص١٨٦ .

(٢) ابن كنان :المواكب الأسلاميه ،ج ١، ٧٨.

(3) Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland , p46.

(٤) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ،ص ١٨٦.

(٥) سوفاجيه ، جان : مرجع سابق ، ص ١٠١.

(6) Porter . J. L . five years in Damascus . of the History tepographe including on account of the travels and Researchres and Antiquities of that city the Palmyra – Lebanon and Houran . London , 1855, p 147 .

(٧) الأسطواني، محمد سعيد : مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر ، تحقيق ، أسعد الأسطواني ، دار الجمهورية ، ط ١، دمشق ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م . ص ٣٥. أيضا ، غرايبه ، عبد الكريم : مرجع سابق ،ص ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مانشستر، والمناشف السويسرية والسجاد العجمي وغيرها من البضائع المختلفة [١].

ولم يكن هدف قافلة الحج دينياً فحسب بل كانت ترافق هذه القافلة فعاليات اقتصاديه ، وكانت دمشق مكاناً لمزاولة صنوف أنواع التجارة القادمة من آسيا وأفريقيا ، على اختلاف أنواعها [٢]. وقد أسهمت قافلة الحج في تطوير أعمال وخدمات كثيرة متعلقة بخدمة الحجاج ، حيث كانوا يتزودون بكل مايلزمهم من مؤونت (حصائر وبسط وخيم وقرب جلدية وحبوب وطعام وغير ذلك)[٣]. ونظراً للأمن الذي كان متوفراً في القافلة ، في ذهابها وإيابها ، فقد كان يرافقها الكثير من التجار[٤]. وقد استفاد البدو في موسم الحج حيث نجد أمير قافلة الحج يتفق معهم على أمن وسلامة القافلة ، فيدفع لهم مبلغاً معيناً. ومنهم من يتفق مع أمير القافلة ، على تقديم الجمال ، من أجل الذهاب والإياب. وكان ذلك يعود على هؤلاء البدو ، بالربح الوفير ، حتى طائفة اليهود في دمشق ، استفاد أبناؤها من هذا الموسم ، حيث كانوا مسؤولين عن الحسابات المتعلقة بقافلة الحج. وبحكم وضعهم المادي الجيد ، فقد كان الصيارفة منهم ، يقدمون المال للفلاحين ، كدين ، حتى الموسم بصورة ربا. كما تمكنوا من جمع الأموال عن طريق رفع أسعار النقود ، قبل موسم الحج، وتخفيضها بعد سفر الحجاج . وبذلك استطاعوا الحصول على الربح ، أثناء ارتفاع سعر العملة وفي أثناء انخفاضها[٥]. ونتيجة للوضع الاقتصادي ودخول عدد كبير من الغرباء ، وخاصة في موسم الحج فقد أُنشئت العديد من المنشآت الاقتصادية ، كالخانات والأسواق والقيساريات. وقد ساعد على ذلك ، موقع دمشق الجغرافي المتميز ، على طريق القوافل التجارية وقوافل الحجاج .

---

(1) Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland , p56.
(2) Laorty – Hadji R . , Lasyrie , LapLestineet La Judee, p.152 .

[٣] مارينو، بريجيت : حي الميدان ، ص ١٠٧.

[٤] رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٣.

[٥] حنا ، عبد الله : مرجع سابق ، ص ٢٧. أيضاً ، مجلة دراسات تاريخية ، بحث ، نعيسة ، يوسف: بعنوان ، ملكية الأرض والعلاقات الزراعية في بلاد الشام في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، العددان ٣٥ و ٣٦ ، آذار- حزيران ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠، ص ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت هذه الخانات معدة للتجارة الداخلية والخارجية ، وكذلك كانت ، مـأوى للحجاج والتجار الغرباء ، ومكاناً لوضع بضائعهم،وملتقـى لأبنـاء الأقطـار المختلفة ، وبعض أصناف الجند. وكلُّ هذا جعل من مدينة دمشق مركزاً هاماً لحركة التجارة بشكل واسع. ومن أشهر الخانات التي كانت فيهـا ومازالـت قائمة حتى الآن ، خان الجمرك وخان الحرير وخان التتن وخان الصد رانيـة وخان الزيت وخان أسعد باشا العظم وخان سليمان باشا وخان جقمق ،إلى غير ذلك من الخانات [١].

وقد أنشئت هذه الخانات داخل المدينة وخارجها ، وعلى الطرقات العامة. وقد ازدادت أهميتها ، نظراً لفقدان الأمن على تلك الطرقـات. وكانـت المـأوى للقوافل والمسافرين ، ولوضع المؤن وما تحتاجه قافلة الحج . وكان يحـرس هذه الخانات ، قوات عسكرية يتم تعيينها من قبل الحكومة . و كل خان يبعـد عن الآخر ، مابين العشرين إلى الأربعين كيلو متراً [٢].

أما مدينة دمشق ، فقد أخذت الربح الأكبر ، وقد نشط فيها ، تجارياً ، عدد من الأحياء والأسواق التي كانت واقعة على طريق الحج [٣]، حيث ظهر خـارج الباب الغربي لمدينة دمشق ، مجموعة من الأسـواق ، يجـد فيهـا المسـافر وأصحاب القوافل كل مايحتاجونه[٤]. وقـد تمركـزت فـي هـذه المنطقـة، مستودعات الحبوب التي كان يتزود منها الحجاج بما يحتاجونه(انظر الشكل رقم ٦، ص٦٧). وأخذ حي الميدان بالتوسع على جانبي الطريق المؤدي الى حـوران ، ومنها إلى الحجاز. وقد سميت الجهة الجنوبية من حي الميدان بـ (بوابـة الله ، أي باب الله)، وهو المكان الذي يترك فيه الحجاج مدينة دمشـق ، ميممـين شطر البيت الحرام [٥]. وعلى مقربة من حي الميدان الواقع على طريق الحج ، كان هناك سوق يخدم الحجاج ويقدم لهم ما يلزمهم من جمـالٍ يشـترونها

---

[١] عبيد، محمد غسان : مرجع سابق ، ٥٠٦.

[٢] نعيسه، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج ١، ص ١٧٤.

[٣] غرايبه ،عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ١٤٢.

[٤] الكواكبي، نزيه : مرجع سابق ، ص ١٩٠.

[٥] الأسطواني، محمد سعيد : مرجع سابق ، ص ٣٥ـ ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

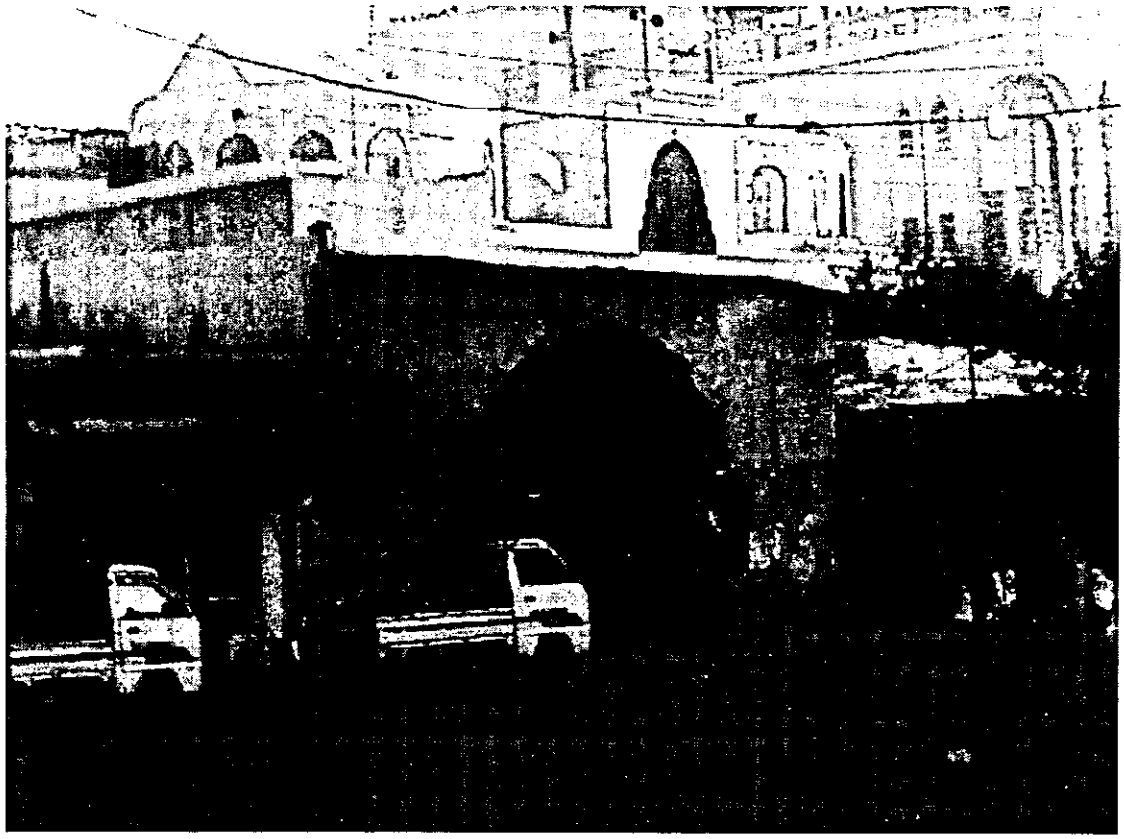

احد المستودعات الموجودة على امتداد حي الميدان ومازال يعمل بها في تجارة الحبوب

(تصوير الباحث)

الشكل رقم (٦): امتداد حي الميدان دمشق (تصوير الباحث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعدّونها للسفر ، الأمر الذي يعود بالفائدة الكبيرة ، على سكان حي الميدان ، بشكل خاص ، وعلى دمشق بشكل عام [١]. ومن الأسر الدمشقية التي اشتهرت بالتجارة ، وكان لها النصيب الأكبر والأوفر في الربح ، بنو العظمة الذين امتدوا في تجارتهم ، إلى الأستانة ومكة المكرمة ، وأيضاً آل اليوسف[٢].

وكذلك كان أهالي قرى حوران ، وبدو قرية السخنة القريبة من تدمر أحياناً، يزودون قافلة الحج بآلاف من الجمال ، لنقل الحجاج [٣].

وبعد مغادرة الحجاج دمشق ، يتجهون إلى منزلة المزيريب ، حيث تتوقف فيها قافلة الحج لعدة أيام. وكان يرافقها إلى هذا المكان ، عدد كبير من التجار، ويأتي إليها عدد كبير من البدو وأهالي القرى المجاورة فيكون هناك سوق كبير، يتم فيه تبادل وبيع كل مايلزم الحجاج [٤]. حتى إنّ عدداً من أمراء قافلة الحج ، وإضافة إلى عملهم ، كانوا يحملون ، في الذهاب والإياب ، بعض الأغراض التجارية الخاصة بهم ، بالإضافة إلى أغراض الحجاج ، طلباً للربح من خلال ذلك[٥].

ب- الحِرف التي تنشط في دمشق وقت الحج .

١) **القربي** : وهو صانع القرب التي يصنعها من جلود الغنم والماعز وتُستعمل لحفظ الماء . وتروج هذه الحرفة بشكل كبير ، في وقت سفر الحجاج

---

(١) الكواكبي ، نزيه : مرجع سابق ، ص ١٩١. أيضاً ، بريجي ، مارينو : حي الميدان ، ص ١٠٧.

(٢) كان من أكبر رجال آل اليوسف مالاً وجاهاً ، محمد بن يوسف من قبيلة الزركلية ومن أعيان أكراد ديار بكر . أحب تجارة الغنم واختار دمشق مكاناً لتجارته فاتسعت ثروته .توفي سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، وخلفه ولده أحمد الذي سلك مسلك أبيه في التجارة ، وقد قلدته الدولة العثمانية وظيفة أمين الكلار ومحافظ ركب الحج الشامي وأنعمت عليه برتبة ميرميران مع لقب باشا مات سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م . انظر ، الحصني ، محمد آل تقي الدين : مصدر سابق ، ج ٢، ص ٨٤٩ و ٨٥٢.

(3) Rafig . A.K , NEW Light on the transportation of the Damascene pilgrimage ,p 130.

(٤) البدبري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٩.

(٥) سجلات الوثائق التاريخية بدمشق ، المجلد رقم ٢ ، الوثيقة رقم ، ١٦٧ ، سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، ص ١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين يشترون منها كميات كبيرة . ويصنع القربي أيضاً المطرات التي لايستغني عنها الحجاج في سفرهم [١].

٢) **الشماع** : وهو صانع الشمع، حيث يُضطر الحجاج لاستعمالها في الليل المظلم على ، الطريق .(ورأينا كيف كانت ترسل الشموع من دمشق إلى الحرمين الشريفين) ،وتنشط حركة بيعها في وقت الحج [٢].

٣) **الجمّال** : وهو من يربي الجمال ومن يتاجر بها. وفي وقت الحج ينشط بيع الجمال وتأجيرها للحجاج ، لذلك يحصد صاحب الجمال ربحاً كبيراً في هذا الوقت وقد برز العديد من الدمشقيين الذين كانوا يتاجرون بالجمال [٣].

٤) **الخيمي** : وهو صانع الخيم ، وتنشط هذه الحرفة أيضاً في وقت الحج، لأن الحجاج يستعملونها في طول الطريق ، إن كان صيفاً ، لمنع حر الشمس، وإن كان شتاءً ، لمنع المطر والبرد. وهم يقبلون على شرائها لأهميتها في ترحالهم وتنقلهم على طول الطريق[٤].

٥) الشيال : *تطلق* هذه الحرفة على من يملك حيوانات الركوب ويؤجرها في وقت الحج ، بعد الاتفاق على أجر معين ، بين صاحب الحيوانات والشخص الذاهب للحج. وعلى حد تعبير القاسمي (تروج هذه الحرفة في موسم الحج رواجاً زائداً)[٥].

٦) **الجراد** : وهو الذي يتاجر بما يحتاجه البدو ، من قمصان وعبي وَصَدَارٍ وثياب وفروات و عكل. وهؤلاء التجار يذهبون في موسم الحج ، إلى مزيريب حيث يجتمع هناك الحجاج والبدو ، وتتم المبادلة والبيع . وبذلك تزدهر هذه الحرفة في وقت الحج. وكان الجراد يرافق قافلة الجردة ، لبيع الحجاج ما يحتاجونه[٦].

---

(١) نعيسه ، يوسف : وثائق تاريخية عن الشام ، ص ٥٠٧.

(٢) القاسمي ، جمال الدين : مصدر سابق ، ج ٢، ص ٢٥٨.

(٣) مارينو ، بريجيت : حي الميدان ، ١٠٧.

(٤) القاسمي ، محمد سعيد : مصدر سابق ، ج ١، ص ١٢٩.

(٥) القاسمي ، جمال الدين : مصدر سابق : ج ٢،ص ٢٦٣.

(٦) القاسمي ، محمد سعيد : مصدر سابق ،ج١، ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧) **البكسمادية (البقسماطية):** وهم من يقومون بصنع البكسماد. وهو على شكل قوالب تصنع من طحين خاص، ويكون يابساً ، ظاهره كباطنه ، لكي يتحمل المسافة الطويلة ، وعند أكله يُبلُّ بالماء. وقد استعمله الحجاج وتزودوا بكميات كبيرة منه عندما كانوا يسافرون إلى الأماكن المقدسة ، إذ لم يكن يحتاج إلى طبخ أو تحضير ؛ فكان باستطاعة الحاج ، تناوله ، وهو على ظهر الجمل [١].

٨) **النخاس :** وهو تاجر الرقيق. وقد كانت حرفته رائجة بدمشق إذ يقوم بتأجير أو بيع هؤلاء العبيد لمن يذهب إلى الحجاز في موسم الحج، وكان زبائنه في الغالب من أغنياء الحجاج[٢].

٩) **المحايري :** هو من يصنع المحاير التي كانت إحدى وسائل السفر الهامة، والتي يستخدمها الحجاج. وتنشط هذه الحرفة في وقت الحج ، لحاجة الحجاج إليها. وسنرى أنّ هذه الحرفة قد تأثرت كثيراً وتوقف صانعوها عن العمل بشكل كامل ، بسبب إنشاء سكة حديد الحجاز عام ١٩٠٨م [٣].

١٠) المقّوم : هو من يقوم على راحة الحجاج ، وينقلهم حين يسافرون ، إلى الأماكن المقدسة ويكون لديه. عدد من الجمال وما يلزمها من أمور التحميل من محاير وشباري وخيم وغيرها من عكامة وغلمان وطباخين ومهاترة وسقاية. وكان يوفر للحجاج ما يلزمهم من ذلك ، فينشط عمله هذه في أيام سفر الناس إلى الحج[٤].

١١) **المهتار:** هو من يقوم بتجهيز الخيم للحجاج المسافرين إلى الحجاز، من تركيب وتجميع. و يعيش من هذه الحرفة عدد كبير من الناس في موسم الحج[٥].

١٢) **الرميحاتي :** وهو صانع الرماح . وهذه الصنعة رائجة في الشام . وكان

---

(١) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٩.

(٢) القاسمي ، جمال الدين : مصدر سابق ، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٣) القاسمي ، جمال الدين : المصدر السابق ،ج ٢، ص ٤٢٠.

(٤) القاسمي ، جمال الدين : المصدر السابق ،ج ٢، ص ٤٦٥.

(٥) القاسمي ، جمال الدين : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صناعها يذهبون إلى مزيريب في وقت ، الحج لبيعها هناك[١].

١٣) صناع العباءة: لقد اشتهرت هذه الحرفة في مدينة دمشق إذ وُجد فيها العديد من الأنوال المُعدة لصناعته ، وكذلك في حمص وحلب وقرى القلمون ، وبسبب توفّر المواد الأولية ، ولأنها لبس عامة الفلاحين. ويزداد الطلب على العباءة في موسم الحج ، ويكثر شراؤها لحسن صناعتها [٢].

ومن خلال نشاط هذه الحرف ، نرى كيف كانت قافلة الحج تسهم بتنشيط الحركة التجارية في دمشق ، وتعود بالفائدة على عدد كبير من سكان المدينة . وقد نشطت الحركة التجارية في غزة أيضاً ، حيث نجد ، في القرن التاسع عشر ، أن الكمية الكبرى من الحبوب المخصصة لتمويل قافلة الحج ، تأتي من هذه المدينة ففي عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م ، نقل من غزة إلى معان مايزيد عن ٤٠٠ طن من الشعير. وكذلك نقل إلى المنزلة نفسها في عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م مايقرب من ٣٠٠ طن من القمح ، وما ينوف عن ٥٠٠ طن من الشعير[٣] ، وكذلك كانت قافلة الحج ، في طريق عودتها أحياناً ، تسلك الطريق عبر غزة ، وتكون محملة بالبضائع من الحجاز. لذلك كان يتم فيها بيع وشراء ، الأمر الذي كان يؤدي إلى نشاط الحركة الاقتصادية فيها ، وكان يؤم غزة عدد من الحجاج ، قاصدين العقبة للالتحاق بقافلة الحج المصري[٤].

ج ـ أثر قافلة الحج اقتصادياً على الأماكن المقدسة .

لقد كانت قافلة الحج تعود على المدينتين المقدستين ، مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بالربح الوفير ، حيث نجد استعداد سكان المدينتين في وقت مبكر ، لاستقبال قوافل الحجاج الوافدة إليها ، ولِما يلزم من خدمات لها ، إذ يقومون بتأمين السكن لهؤلاء الحجاج القادمين من مختلف أقطار العالم

---

(١) القاسمي ، محمد سعيد : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٥٩.

(٢) كرد علي ، محمد : خطط الشام ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت ، ستة أجزاء ، ج ٥، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ،ص ٢٠٤.

(٣) مارينو ، برجيت : مرجع سابق ، ص ١٠٨.

(٤) رافق ، عبد الكريم : بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، دمشق ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامي [١]. وتنشط الحركة التجارية ، وتباع أصناف البضائع المختلفة، وينشأ سوق تجاري كبير من مختلف الأصناف ، وتزداد حركة الأسواق وصنوف التجارة ، ويزدحم الناس على الشراء ، رجاءً لبركة هذا الموسم. وعلى حد قول الورثيلاني (إن أكثر التجار كانوا يقولون: من اشترى شيئاً من منى وجعله في تجارته ، وجد بركته وظهر له ثمرته)[٢]. وحتى المزوّرون والأشقياء كانوا يغتنمون موسم الحج ، ويقومون بالتلاعب على بعض الحجاج، من أجل الحصول على المال والمثال على ذلك ، وقوف بعض هؤلاء على حافة الطريق ، يبسطون منديلا مستطيلاً على مكان مرتفع من الأرض، ويقولون للمارة من الحجاج: أعطوا الزيارة لصاحب هذا القبر. وكانوا يقوموا أيضاً بالحيلة على أحد الحجاج ، وذلك بأخذه لزيارة قبر أحد الصالحين ، فيذهب معهم. وما إن يغيبوا عن الأنظار ، حتى يأخذوا منه ما يحمل من أموال ويهربوا ، وإلى غير ذلك من الحيل[٣].

وكان لقوافل الحج ، دور كبير في تحريك وتنشيط الوضع الاقتصادي في الأماكن المقدسة ، إذ يُعدَّ الحجُّ مورداً أساسياً لها ولهذا استاء سكان المدينتين المقدستين ، من محمد عبد الوهاب ، مؤسس الحركة الوهابية ، عندما منع قوافل الحج من دخول مكة والمدينة المنورة ، الأمر الذي أدى إلى ضيق أهل الحجاز ، نتيجة حرمانهم موارد رزقهم في موسم الحج[٤].

وقد ابتهج سكان الحرمين بعد القضاء على الدعوة الوهابية ، من قبل محمد علي باشا والى مصر[٥] ، بعودة قوافل الحج إلى الديار المقدسة ، وعودة

---

(١) العكبان ، طرفة عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٧٥.

(٢) الورثيلاني ، حسين بن محمد : مصدر سابق ، ص ٤١٩.

(٣) السنوسي، محمد : مصدر سابق ، ص ١٦١.

(٤) مجهول المؤلف: بالوشي والطراز في فتح الحجاز أو تاريخ محمد علي باشا،صورة مخطوط، في مكتبة الأسد، رقم ١٧٥ ، الورقة رقم ١٤. أيضاً ، إسماعيل، حلمي محروس : تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ص ٧.

(٥) بوركهارت : مواد لتاريخ الوهابيين ، ص ١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرباح التي كانوا محرومين منها ، بشكل جزئي في عهد الوهابيين ، وعودة أموال الصرة التي كانت توزع على مستحقيها من سكان الحرمين ، والتي حرموا منها في هذه الفترة .

د ــ السلع التي كان يتم التبادل بها في وقت الحج

كان سير القافلة مناسبة لانتقال البضائع ا لتي كان يحملها الحجاج أنفسهم أو تلك التي يحملها التجار[١]. وقد حرص التجار على مرافقة قافلة الحج ، بسبب الحماية العسكرية التي كانت توليها الدولة للقافلة. وكان التجار الحجاج يبدؤون ببضائع بلادهم ، ويبيعون معظمها أثناء الرحلة[٢].

وقد استفادت حلب و دمشق وحوران بصورة خاصة ، من تقديم الخدمات للقافلة ؛ فكل مدينة من هذه المدن ، كان لها دورها الخاص في تقديم ما تحتاجه القافلة من أشياء وحاجات يكون الحجاج بحاجة إليها ، وهم في طريقهم إلى الحج [٣]. وكان يصل ، مع الحجاج القادمين إلى دمشق ، ربيات ذهب ولؤلؤ صغير وكبير وأحجار ومعادن وشال[٤]، حيث نجد أن قسماً من هذه المواد لم يكن يصل كاملاً ، وذلك يعود إلى عدة أسباب ، فقد يُباع جزء منه أثناء الطريق ، وبعضها يتعرّض للخسارة بسبب الكوارث الطبيعية ، وفي بعض الأحيان تتعرض القافلة إلى هجوم من قبل البدو ، فتخسر قسماً من بضائعها .

ولعب البدو دوراً كبيراً في عملية التبادل التجاري المحلي ، وذلك بما يحملونه الى الأسواق ، من منتجات ضرورية للحجّاج ، من غذاء ولباس كالصوف والجلود والسمن وغيرها من المنتجات التي يقايضونها بمنتجات أخرى من المدينة.[٥] وكان القمح من المواد التي يحملها التجار الحجاج معهم

---

(١) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج الشامي ، ص ٦٤.

(٢) فهمي، سميرة: مرجع سابق ، ص ٦٠.

(٣) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٩.

(٤) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ، ٦٣.

(٥) الصباغ ، ليلى : المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى الأماكن المقدسة. وقد لعب حي الميدان دوراً بارزاً في تجارته إذ أُنشئت بوائك لبيعه ؛ على طول امتداد هذا الحي [١].

وكذلك نقل الحجاج معهم ، المنسوجات والأقمشة والألبسة الحريرية الدمشقية، ومصنوعات خشبية وصدفية ونحاسية ، والصابون والفواكه وزيت الزيتون والمشمش المجفف والتين والتنباك و البكسماد الذي ينشط الطلب عليه ، في وقت الحج [٢].

وكان الحج يلعب دوراً هاماً في حياة دمشق التجارية ، إذ يستفيد منه الكثير من التجار ، حيث كانت قافلة الحج محمية كما رأينا ، وكذلك معفية من الضرائب التي لاوجود لها ، وقد كان الحجاج التجار يحملون معهم ، الى جانب مؤنهم الغذائية ، بضائع لا حصر لها ، ينقلونها من دمشق الى الحجاز. وكانت هذه البضائع معفية من رسم الصادر ، عند خروجها من دمشق ، ومعفية من رسم الوارد ، عند العودة ، وكان الحجاج معفيين من تفتيش ما يحملون [٣].

أما السلع التي يعود بها الحجاج من الأماكن المقدسة ، فهي مختلفة الأنواع، باختلاف البلدان القادمة منها ، لأن مكة كانت مركز تجمع لجميع الحجاج المسلمين ، من شتى أصقاع البلاد ، وكل حاج يحمل ماتشتهر به بلاده.

وقد حملت قافلة الحج الشامي ، حين عودتها ، عدداً من السلع ، وكان منها السنا[٤] ، والأحجار الثمينة المستوردة من الهند ، والمسابح التي كان يوزعها الحجاج على المستقبلين والمهنئين ، كهدية وتذكار ، وأيضاً التوابل والأقمشة والعطور والحناء [٥]. وكذلك كانت تحمل حين عودتها إلى دمشق ، بعض سلع مصر وبلاد أفريقيا التي يأتي بها تجارها وحجاجها إلى مكة ، ومنها الرز والقمح والعدس والجلود والتنباك والعبيد والفول السوداني ، وإلى غير ذلك من

---

(١) مارينو ، برجيت : حي الميدان ، ١٠٩.

(٢) عبيد ، محمد غسان : مرجع سابق ، ص ٣٤٣ و ٣٤٤.

(٣) الصباغ ، ليلى : مرجع ، سابق ، ص ٨٩.

(٤) السنا : هو نبات ملين اشتهرت به منطقة الحجاز وأفضله المكي، (السنا مكي). انظر ، الجوزية، ابن قيم : الطب النبوي ، دار الخياط ، ط ١، دمشق ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٥١ و٥٢.

(٥) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج الشامي ، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصناف البضائع والحاجات التي تشتهر بها تلك البلاد [١]. ومن أهم السلع التي كان يحملها الحجاج معهم ، بكميات كبيرة البن[٢]. وهناك العديد من الوثائق التي تذكر نقل عدد كبير من الحجاج والتجار ، للبن والمتاجرة به. وقد عرف عن الدمشقيين ، حبهم لشرب القهوة ، لذلك كان التجار الحجاج يحضرون معهم الكثير من القهوة ، لبيعها في دمشق ، والحصول على الربح الوفير من جراء ذلك[٣].

ومن البضائع التي يتم جلبها كذلك ، من المدينة المنورة ومكة المكرمة الأطلس الإفرنجي والقصب الأستنبولي والجوخ الانكليزي والفرنسي ، وكذلك الجواري. وكانت هذه الأشياء تصل من بلدان مختلفة ، كل واحدة منها حسب مركزها [٤].

وكان سكان منطقة الجوف في نجد ، الذين اشتهروا بصنع العباءات(مشلح)، يأخذون سِلعهم هذه ، في موسم الحج ، إلى مكة ، لبيعها هناك [٥].

من خلال ، ذلك نرى مدى تأثير قافلة الحج الشامي على الوضع الاقتصادي الذي يعود على دمشق والأماكن المقدسة ، بالفائدة بشكل عام ؛ فحتّى صغار الباعة الذين يتجولون في شوارع دمشق ، كان موسم الحج بالنسبة إليهم ، موسم خير ووفرة في البيع . ومن هؤلاء الباعة بائعوا الحلوى وحبوب البقول

---

(١) جب و باوون : مرجع سابق ، ص ٣٣٥.

(٢) البن : يزرع في بلاد اليمن ، ولكن مكة نالت الحظ الأوفر في بيعه والمتاجرة به في أيام الحج. وتعتبر القهوة شراب الدمشقيين المفضل . انظر ، نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج ١، ص ١٧٧و ٢٧١.

(٣) سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ٥٦، الوثيقة رقم ٣٤ ، تاريخها ١١٣٨هـ /١٧٢٥م .
سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ٥٩، الوثيقة رقم ٣٧٠، تاريخها ١١٤١هـ / ١٧٢٨ م .
سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ٩٤، الوثيقة رقم ١٩٨،٢٠٢ تاريخها ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م.
سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ٦١ ، الوثيقة رقم ٢٥، تاريخها ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.
سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ١١٥ ، الوثيقة رقم ١٠، تاريخها ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م.
سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ٦٣، الوثيقة رقم ٤٢٢، تاريخها ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.

(٤) سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ٥١، الوثيقة رقم ١٨٣، تاريخها ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م.

(٥) البادي ، عوض : الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية ، الدار العربية للموسوعات، ط ٢ ، بيروت ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلوقة وكذلك بائعوا السوس وغيرهم . وكان لكل واحد من هؤلاء ، نداء خاص على سلعته ، لجلب الأنظار والترغيب بها[١].

ولكن هذه الأهمية الاقتصادية أخذت تفقد بعضاً من أهميتها ، إذ بدأت تنقص كمية الصادرات والبضائع التي كانت ترافق القافلة. وذلك يعود لاستخدام الحجاج الروم للطريق البحري إلى الحجاز ، وخاصة بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٢٨٦هـ /١٨٦٩م. وقد أثر ذلك على أعداد الحجاج ، لأسباب أمنية واقتصادية ، إذ إنّ السفر عن طريق البحر ، أسهلُ ويستغرق وقتاً أقصر ، ولا يتعرض مسافروه إلى أهوال ومصاعب الطريق البري الطويل الذي كانوا يسلكونه. أما اقتصادياً فقد ساعد الطريقُ البحريُ على ازدياد كمية البضائع التي كان يحملها التجار والحجاج معهم وبتكلفة أقل[٢] . وكان أكبر تأثير على الوضع الاقتصادي ، وعلى أعداد الحجاج هو ما تركه إنشاء سكة حديد الحجاز[٣] ، الذي أثر ، بشكل سلبي ، على النشاط الاقتصادي للمدن والقرى والمنازل التي كانت تمر فيها قافلة الحج ، فيما مضى[٤].

هـ - الأسواق الموسمية التي كانت تعقد وتنشط على طول طريق الحج .

كان لموسم الحج ومرور قوافله ، عبر بلاد الشام ، إلى مكة المكرمة، أثره المهم في قيام العديد من الأسواق الموسمية التي خصصت لتلك المناسبة ، ولاسيما أثناء استراحة الحجاج في بعض المنازل التي يقيمون فيها ، يومين أو أكثر. وقد شارك في عقد تلك الأسواق ، أهالي القرى القريبة من تلك المنازل، بالإضافة إلى قدوم البدو الذين بادلوا بضائعهم بما يلزمهم من تلك السلع التجارية[٥]. وقد مثلت دمشق أولى المحطات التي يجتمع فيها الحجاج، فاستفادت دينياً وثقافياً واقتصادياً وعمرانياً ، حيث كانت أسواقها عامرة تعج

---

(1)See , Burton , Isabel . the Inner of Syria Palestine, p 52

(٢) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ٢٠.

(٣) البد يري ، أحمد : مصر سابق ، ص ٧٥.

(٤) مار ينو، برجيت : مرجع سابق ، ص ١٠٥.

(٥) انظر مركز حمد الجاسر ، بحث صدر على شبكة الإنترنت بعنوان .
www. hamad al jasser . com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بخليط عجيب من الناس ، إضافة إلى الإبل والخيل ، وتـروج فيهـا حركـة تجارية. وشكل موسم الحج بالنسبة إليها ، مورداً مالياً كبيراً جعل ، تجارتهـا تزدهر ، حيث يصل الاقتصاد الدمشقي إلى أعلى مستويات الانتعاش[١]. ومن المنازل التي تلي دمشق بالأهمية والتي يعقد فيهـا سـوق موسـمي ، هـي مزيريب. وكان يشترك في إقامة هذا السوق ، التجار الذين يرافقون القافلة من دمشق والمناطق المجاورة[٢]. كما كان البدو يفدون إلى هذا السوق ليشـاركوا في عملية البيع والشراء. وكانت تتم تلك الطريقة بواسطة المقايضة في بعض الأحيان ، فيبيعون ما لديهم من الغلال والأجبان والبسط والماشية ، ويشـترون ما يلزمهم من السلع المختلفة[٣]. ومن تلك الأماكن التي كانت تعقـد وتنشـط وتزدهر الحركة فيها ، السوق الذي يعقد في منزلة معان التي كـان الحجـاج يتوقفون فيها مابين ثلاثة إلى أربعة أيام. فقد كان أهالي وسكان هـذه المنزلـة يتجهزون ويعملون طوال أيام السنة في سبيل هذه الأيام الأربعة التي يطلقـون عليها اسم (الموسم) فيخزّنون متنوعات العلف والمؤن التـي يحتـاج إليهـا الحجاج ، لمبادلتها بسلع وبضائع أخرى ، ويحققون بعض المكاسب من عملية المقايضة ولقد كانت معان سوقاً رائجاً للحجاج في الذهاب والإياب [٤].

وبعد هذه المنزلة ، يتجه الركب ماراً في العديد من المواقـع ، للتـزود بمـا يحتاجه ، حتى يصل إلى المدينة المنورة التي تكون قد امتلأت بالناس ، مـن مختلف البلدان الإسلامية ، حيث تنشط فيها حركة تجاريـة ودينيـة وثقافيـة، تختلف عن باقي أيام السنة التي تعود بالفائدة ، على ساكني المدينـة المنـورة والقرى والبدو المجاورين لها الذين يفدون إليها لبيع منتجاتهم . بعد ذلك يتابع ركب الحج سيره ليصل إلى مكة المكرمة التي ترى فيها القاصي والداني مـن كل فج عميق ، وترى أسواقها تعج بالناس وبمختلـف الأصـناف والبضـائع

---

(1) j. suvajet,Esquisse d, une Histoire de la ville de damas , Revue des Damas Etudes,islamiques;Es,1934,p436.

(2)N.A. Ziadeh ,Ziadeh, Nigolah:1970, Urban Life in early Mamluks, Greenwoodpress,Westport,connectiut,p.134.

(٣) العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص ٨ حاشية .

(٤) فالين ، جورج أوغست : مصدر سابق ، ص ٢٣. أيضاً ، بكر ، سيد: مرجع سابق، ص ١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمواد الهندّية والمصرية والمغربية واليمنية والشامية ، فتصبح مركزاً تجارياً لسلع هذه البلاد [1].

وكان لمدينة غزة ، نصيب كبير من الاستفادة التجارية ، وخاصة عندما تضطر قافلة الحج إلى تغيير طريقها ، لأسباب أمنية تتعلق بسلامة القافلة ، فتنشط فيها ، نتيجة ذلك ، حركة الأسواق ، وتعقد أسواق أضافية حتى تستطيع تأمين مايلزم الحجاج من جميع مايحتاجونه [2].

يتضح مما سبق ، أن الأسواق التي كانت تنصب وتعقد للحجاج ، لم تكن تُقام إلا في المواضع التي يقيم فيها الركب يومين أو أكثر ، حيث يفد إليها عدد كبير من الناس ، وتعمها البضائع بمختلف الأشكال والألوان. ولم يكن نزول الحجاج بهذه المنازل، عشوائياً ، بل كان يُقام بعد التخطيط المدروس والمعد له مسبقاً. فمثلاً هذه المنازل التي تم اختيارها لهذه الأسواق ، تفي بحاجة الحجاج أكثر من غيرها ، فهي قريبة من القرى أو المدن التي كانت تزود الحجاج بما يلزمهم من الزاد والماء والدواء ، لذا كان نزول الحجاج في هذه المنازل ، أمراً ضرورياً ، بعد قطع تلك المسافة الطويلة. أما موضع السوق فقد كان يُختار له مكان مناسب ، فسيح ، ذو أرض مستوية ، سهل على الحجاج النزول به والرحيل عنه ، ويسهّلُ على التجار عرضَ بضائعهم. وخلاصة الأمر أن أقامة الأسواق التجارية على درب الحج الشامي ، ارتبطت بذهاب الناس للحج وتوقفت بانقطاع الحج .

ثانياً : الأثر الاجتماعي لقافلة الحج الشامي.

أ- أثر قافلة الحج اجتماعيا على دمشق .

ائتلف المجتمع العربي مع الدولة المسيطرة التي حكمته (الإمبراطورية العثمانية). وكان القاسم المشترك فيما بينهما هو (الإسلام). وكان المذهب الذي اعتنقته الدولة العثمانية هو المذهب الحنفي ، ولكنها اعترفت ببقية المذاهب السنية (الشافعي والمالكي والحنبلي) . وقد احتفظت الدولة العثمانية

---

(1) الورثيلاني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٤١٩.

(2) رافق ، عبد الكريم : بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسيادة أسرة عربية عريقة واحدة في إقليمها ذاته،وذلك نظراً للمكانة الدينية التي تتمتع بها تلك الأسرة من قداسة ، ووظيفتها الخاصة كسدنة للبيت الحرام. وهذه الأسرة هي الأسرة الهاشمية في مكة[1] ، حيث نظر إليها السلاطين العثمانيون نظرة احترام وتقديس ، لنسبها السلالي المتأصل بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وقد اهتموا بإقامة الفرائض وأولوا الركن الخامس من أركان الإسلام ، ألا وهو الحج ، أهمية خاصة. وقد اعتبروا ذلك من أولوياتهم؛ فكان لقافلة الحج نتيجة ذلك ، أثرها الكبير على مدينة دمشق.

لا ريب أن الأعداد الكبيرة من الناس متنوّعي الأعراف والقوميات ، التي كانت تجتمع في دمشق وقت الحج ، قد أسهمت ، وبشكل كبير ، في احتكاك الشعوب والثقافات والعادات والتقاليد. وقد ساعد في اندماج هذه القوميات المختلفة ، ما تميز به أهل دمشق من حسن طباع واستقبال ومرونة في الأخلاق التي تدعوهم للاختلاط بغيرهم ، وتقليده وتعلم لغته وعاداته وتقاليده[2].

ولم يكن الحج مجرد مناسبة لأداء فرض ديني فحسب ، بل فرصة للتعارف والالتقاء بين القوميات والعناصر الإسلامية المختلفة التي كانت تصل إلى دمشق ، وتأتي من أسيا والأناضول والبلقان. وبحكم إقامتها في هذه المدينة، فترة من الزمن ، كانت تنشأ علاقات اجتماعية عن طريق الزواج ، فيما بينها وإن كانت محددة ، لكنها تركت بصماتها ، فنقلت العديد من العادات الاجتماعية إلى دمشق ، وبالعكس. فمثلاً إذا تزوج أحد الحجاج الغرباء من فتاة من فتيات دمشق ، كانت تنقل عاداتها وتقاليدها إلى مكان إقامتها الجديد . وبذلك تكون القافلة وسيلة لنقل العادات والتقاليد بين مختلف الأجناس والأعراق الإسلامية المختلفة. وقد تعلق العديد من الحجاج الغرباء بمدينة

---

[1] بني هاني ، خالد : تاريخ مدينة دمشق وعلماؤها خلال الحكم المصري ، الأوائل للنشر ، ط ١، دمشق ،١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ،ص ٣٧.

[2] كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ص ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دمشق ، لأهميتها الاقتصادية والدينية ، حتى أصبح لها لون من القدسية أو الشرف ، فدعيت من قبل العثمانيين بشام شريف[١] .

وكان لمهرجان وصول الحجاج إلى دمشق ، مزية خاصة ، إذ يُرى هؤلاء بلباسهم القومي ، رجالاً ونساءً ، وأغلبهم من المسنين ، أملاً بأن يموتوا في الديار المقدسة ، أو على طريقها ، بنية زيارة بيت الله الحرام ليغفر الله لهم ذنوبهم ويلقوا ربهم بقلب سليم[٢].

ومن الآثار الاجتماعية لقافلة الحج الشامي ، انشغال أهالي دمشق بها ، وذلك لأهميتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية . فموسم الحج والاستعداد له ، وخروج موكب الحج مع المحمل ، باحتفال رسمي ، ومشاركة جميع الفئات والطبقات ، وكذلك خروج قافلة الجردة لملاقاة قافلة الحج حين العودة ، ومرافقتها وتمويلها، وانتقال أخبارها بين الناس... كل ذلك كون صورة اجتماعية رائعة بكل ماتحتويه من طقوس وعادات وتقاليد. ولم يكن الحج مجرد مناسبة لأداء فرض ديني فحسب بل أيضاً فرصة للتعارف والالتقاء بين مختلف الحجاج من علماء وزعماء وعامة من مختلف الجنسيات. وكان يلحظ وقتئذ في شوارع دمشق[٣]، الأزياء المختلفة للعالم الإسلامي. واختلافُ هذه الأجناس والأزياء ، وتعدّدُها في دمشق ، يجعلان لها مزية خاصة[٤].

وعلى أثر تجمع قافلة الحج في دمشق ، وخروجها إلى الأماكن المقدسة وعند عودتها ، ينضم إليها قسم من حجاج مصر والمغرب وغيرهم من الحجاج ، وذلك لزيارة الأماكن المقدسة في مدينة القدس. ومنهم من كان يرافق القافلة حتى دمشق ، وقسم منهم كان يبقى لطلب العلم وآخر لجني الربح عن طريق التجارة ، ومنهم من يطيب له الإقامة فيها ، فيبقى في ربوعها باحثاً عن أسباب الرزق ، وليعيش فيها بقية حياته. وبعضهم من تزوج وانتهى الأمر به إلى

---

(١) البد يري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٣.

(٢) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ١٦٨.

(٣) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج ١، ص ٦٥.

(٤) الدرويش ، عبد الله محمد : عالم التراث ، دار هشام للطباعة ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستقرار النهائي ، وبالتالي تأليف أسر وعائلات. وكان يحدث العكس بالنسبة إلى بعض الحجاج الشوام الذين رافقوا قافلة الحج المصري .

ومن أشهر العائلات الشامية التي كانت لها فروع في مصر (عائلة الطرابلسي ، المرادي ، النابلسي ، الدمشقي .... وغيرها .)

وهذه العائلات اندمجت مع المجتمع الذي استقرت فيه ، وربطتها معه روابط اجتماعية قوية ، وانصهرت فيما بينها ، عن طريق الزواج[١].

ونتيجة لإقامة هؤلاء الغرباء ، ولكثرة عددهم في دمشق ، فقد نشأت أحياء وخانات سميت بأسماء الوافدين إليها كخان المغاربة[٢]، وحي الأكراد قرب سفح جبل قاسيون[٣]،وزاوية الهنود نسبة الى الهنود الوافدين الى دمشق الذين يزداد عددهم في وقت موسم الحج [٤]. وكانت القافلة التي يستغرق مسيرها مابين دمشق ومكة المكرمة ، ثلاثة شهور أو أكثر ، في الذهاب والإياب[٥]، لذلك كانت تضطر للتوقف مرات عديدة للاستراحة وتناول الطعام والشراب وقضاء الحاجات وأداء الصلوات. وفي ذلك نرى نوعاً من العلاقات الاجتماعية تقوم بين الحجاج ، وقد وصف محمد البتوني ذلك بقوله : « ويكثر

---

(١) التميمي ، عبد الجليل : مرجع سابق ،ص ٤٠.

(٢) وجد في دمشق من المغاربة في القرن الثامن عشر سبع طوائف ، على رأس كل طائفة منها شيخ مسؤول أمام شيخ المشايخ ،وهو رئيس المغاربة الأعلى في دمشق. وأسماء هذه الطوائف ، الفاسية، الجزائرية ، السوسية ، التونسية ، الطرابلسية ، المراكشية. وقد عمل المغاربة المقيمون في بلاد الشام حراساً في الخانات والحارات والأسواق ، ومراقبين في البساتين والحقول المجاورة . وكذلك رافقوا قافلة الحج الشامي لحراستها ، ومنهم من أقام في بلاد الشام بغية المجاورة أو طلب العلم أو التجارة . انظر ، مجلة دراسات تاريخية ، مقالة للدكتور عبد الكريم رافق ، بعنوان : مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام ، العدد الأول ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٧٨.أيضاً ، المرجع السابق ، مقالة ، عبد الكريم رافق ، العدد الرابع ، نيسان ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ٤٣.

(٣) الدرويش ، عبد الله محمد : مرجع سابق ، ص ٩١.

(٤) ريمون ، أندريه : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة ، لطفي فرج ، باريس ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص ٧٧- ٧٨.

(٥) قدر أحد الحجاج ساعات السفر التي اقتضاها الوصول إلى مكة من دمشق بـ ٤٩٠ساعة . وقدر أخر ساعات العودة بـ ٤٥٠ساعة وهذا يعني ان القافلة كانت تسير بين ١٣- ١٤ ساعة في اليوم ، أنظر، البد يري ،أحمد : مصدر سابق ، ص ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهرج والمرج ، ويكثر الصياح ، فنرى أحدهم يقول هذا خرجي ، ويقول الآخر ملابسي ، وغيره يصيح لحافي. بل ترى الصراخ في أنحاء القافلة بتمامها فهذا يصيح ياحاج فلان ، وذلك ينادي ياحاجة فلانة ، وآخر يقول اندر، وغيره يوهم بأنه يشاهد الحرامي فيقول : شايفك ، وآخرون يشتغلون بنصب خيامهم ، فيدق هذا بمطرقة غيره ، وآخر يجلب الماء ، وآخر يحضر الحطب ، وترى الصياح صاعد في هذا الفضاء إلى عنان السماء »[1].

وما هذا إلا صورة اجتماعية متباينة ، يسودها التعاون والتراحم بين جميع الحجاج ، باختلاف أجناسهم.

ب- أثر قافلة الحج اجتماعياً على الأماكن المقدسة.

كان لقافلة الحج ، أثرها الاجتماعي الواضح في الأماكن المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، حيث يقصد مكة في وقت الحج ، أجناس مختلفة من العالم الإسلامي ؛ فترى الأزياء والسحن المختلفة. وكل قسم من هؤلاء الحجاج يأخذ مكاناً معيناً له في مكة ، حيث اعتاد الشوام والمغاربة سكن الجهة الشمالية من مكة ، والأفغان وأهالي قندهار في الجهة الشمالية الشرقية ، والهنود وجاوه في الجهة الشمالية الغربية ، وأهالي اليمن والتركستان والداغستان من جهة اليمن ، وما سوى ذلك في وسط المدينة .[2] وهناك عدد من الحجاج أو التجار المرافقين لقافلة الحج ، من طاب له المقام فأقام ، في مكة وكوّن أُسرة فيها. وتسعفنا المصادر بأسماء بعضها. فمن الهنود : بيت خوفير ، فتا ، الدهلوي ، حكيم ، الرذه ، الناقرو ، المرزار ، أحمدوه ، جان ، شلهوب ، الطيب ، دستانيه .

ومن الجاوه ، بيت البتاوي ، المنكابو ، أرشد ، الغلمباب ، قدس ، دوم .

ومن البخاريين ، بيت كشك ، باجنيد ، باناجا ، باحكيم ، باذرعة .

ومن الشوام ، بيت هاشم ، الجبري ، الخشيفاني.

ومن الترك بيت الدرابزنلي، القرملي.

---

(1) البتنوني، محمد : مرجع سابق ، ص ٢٧٨.

(2) البتنوني ، محمد : المرجع السابق ، ص ١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المصريين، بيت القطان، الزقزوق، الرشيدي ، الرواس ، القزاز.

ومن اختلاط هذه الأجناس بأهل مكة أو مع بعضهم البعض ، بالمصاهرة، صار سواء أهل مكة خليطاً في خلقهم وخُلقهم وأزيائهم. ففي موسم الحج كنت ترى في مكة خليطاً من الأزياء الوافدة إليها من العالم الإسلامي (العمامة الهندية ، والقفطان المصري ، والجبة الشامية.... الخ).

ولم يتوقف الاختلاط على المظهر فحسب ، بل دخل إلى اللغة فترى أناساً يتكلمون بلغة عربية ، دخل عليها العديد من الألفاظ غير العربية ، كالفارسية و التركية..... وغيرهما .

ومع ذلك ظلت طبقة الأشراف في مكة ، محافظة على عدم الاختلاط ، فبقيت شكلاً ومضموناً ، عربية صِرفاً[1].

وقد حُرّم على غير المسلمين ، دخول المدينتين المقدستين : مكة والمدينة ، إلا من تنكر بزي مسلم وخفي عن السلطات فيها . وقد أكدت آن بلنت ذلك،[2] بقولها : عندما كنت في أحدى رحلاتي مع أصدقائي ، وعلى مقربة من مكة ، نزل علينا أحد البدو ضيفاً ، وأخبرنا وحذرنا من عدم دخول مكة ، لأنه إذا دخلنا وكشف أمرنا ، ربما يكون مصيرنا القتل. أو إذا أردنا دخولها فعلينا دخول الإسلام [3]. وتردف قائلة :(إن الحجاج الأعاجم ، عند وصولهم إلى مكة ، يقومون بتعيين متعهد عربي ، يأخذ على عاتقه ، تزويدهم بوسيلة

---

(1) البتتوني، محمد : المرجع السابق ، ص ١٢١.

(2) الليدي آن بلنت ، ١٨٣٧ – ١٩١٧م ، هي رحالة بريطانية ، زوجها هو الشاعر الرحالة الإنكليزي (ولفرد سكون بلنت)الذي أمضى جزءاً من حياته في الشرق الأوسط ، دبلوماسياً ومبشراً ورحّالة مابين مصر والشام والجزيرة الفراتية وشمال نجد . قامت الليدي آن بلنت وزوجها بالترحال في الديار العربية بين عامي ١٢٩٦- ١٢٩٧هـ / ١٨٧٨- ١٨٧٩م ، في رحلتين متتاليتين .

الرحلة الأولى : في الشمال ضمن الجزيرة الفراتية وبادية الشام ، وقد دونت أحداثها في كتاب جميل بعنوان (قبائل بدو الفرات) .

أما الرحلة الثانية ، ففي الجنوب ، شمال نجد ومنطقة حائل كتبت أحداثها في كتاب آخر بعنوان (رحلة إلى نجد) .انظر ، حمود ، فاطمة : الرحلات والرحالة العرب قديماً وحديثاً ، المطبعة التعاونية ، ط١ ، دمشق ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ١٨١-١٨٢.

(3) آن بلنت : رحلة إلى نجد ، ص ٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الركوب لهم ولأمتعتهم ، ويرشدهم إلى أماكن الزيارات وإلى الطرق التي سوف يسلكونها، ويكون ذلك مقابل مبلغ من المال) [١].

وقد استُغِلَّ هذا التجمع الكبير للحجاج من مختلف العالم الإسلامي ، في دمشق ومن بعدها في مكة المكرمة والمدينة المنورة، للدعاية للجامعة الإسلامية؛ فحين أعتلى السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٩م) عرش الخلافة ، وجد في شعار الجامعة الإسلامية[٢] ، خير علاج لما تعانيه سلطنته من أمراض وأوجاع ، فتبنى هذه الفكرة وجند لها ماوسعه من طاقات وإمكانات ، حيث قام بتأسيس معهدٍ لتدريب الوعاظ المبشرين الذين كانوا يُرسلون ، فور تخرجهم، إلى أقصى بلاد الإسلام ، في جماعات كبيرة ، لينشروا الأنباء الحسنة عن الخليفة ، ويشيدوا بورعه وتقاه[٣].

وقد استمال إليه شريف مكة ، وحظي بتأييده الفعال فأخذ يحث الحجاج على الولاء له وينشر الدعوة فيما بينهم . وكان هؤلاء الحجاج ، حين يعودون إلى بلادهم ، ينشرون هذه الرسالة ، وأحياناً يستميلون إليهم جماعات أخرى من الناس يُعينونهم على نشرها في نطاق أوسع، حيث شكلوا في بعض الأحيان، زوايا خاصة تذاع منها هذه الدعوة[٤]، وقد استغل السلطان عبد الحميد تجمع

---

(١) آن بلنت : المصدرالسابق ، ص ٣٤٦.

(٢) ظهر تيار الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كرد فعل للغزو العسكري والثقافي الأوربي للعالم الإسلامي ولدعوات التغريب والإصلاح والدستور وغيرها من الشعارات المماثلة . وقد ضعف مركز الخلافة نتيجة لضعف سلاطين آل عثمان ، في تلك الفترة ، مما هدد الوحدة الإسلامية التي صمدت في وجوه الطامعين قروناً طويلة. وقد تبنى السلطان عبد الحميد هذه الفكرة أملاً في أعادة الوحدة الإسلامية . انظر ، بني المرجة ، موفق : صحوة الرجل المريض ، أو عصر السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، دار صقر ، الخليج للطباعة والنشر ، الكويت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م. ص ١٢٦.

(٣) حرب ، محمد : مرجع سابق ، ص١٩٦. أيضا ، عبد الرحيم ، مصطفى أحمد : في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، ط ١، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٤٨.

(٤) أنطنيوس ، جورج : يقظة العرب ، (تاريخ حركة العرب القومية) ، ترجمة ، الأسد ناصر الدين وإحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجاج ، في مكة وفي دمشق ، من أجل الدعوة للجامعة الإسلامية ، ونشرها بين المسلمين.

يقول محمد مهدي إستانبولي (إن موسم الحج ، لو عرف مفكرو المسلمين الاستفادة منه ، لاستطاعوا تحرير جميع البلدان الإسلامية الواقعة تحت الاستعمار والضغط الأجنبي. إن هذا الجمع من الحجيج الوافد إلى مكة المكرمة ، من جميع أطراف الدنيا ، إنما جاء لرفع كلمة الله ؛ فهو على استعداد للانطلاق إذا ما وجه إلى محاربة العدو بماله ونفسه)[1].

ثالثاً: الأثر الصحي لقافلة الحج الشامي .

كان لقافلة الحج أثرها الصحي على بلاد الشام والأماكن المقدسة حيث يكثر تفشي الأمراض في وقت الحج نظراً للأعداد الكبيرة القادمة من مختلف البلدان الإسلامية تحمل في بعض الأحيان معها الأمراض وهذا يؤثر وبشكل سلبي على الناس والحجاج وقد اهتمت الدولة العثمانية بإقامة العديد من المحاجر الصحية[2] اتقاءً لانتشار الأمراض ،ففي عامي ١٨١٣و ١٨١٤م ألقى الطاعون ثقله على مدينة دمشق ومات العديد من الحجاج أثناء العودة من مكة ، وكذلك في عام ١٨٢١م فقد مات عدد كبير من الحجاج بهذا الوباء[3]. وللمرة الأولى في سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ، قامت الحكومة العثمانية بوضع

---

(١) إستانبولي، محمد مهدي : من مذكراتي في الحج ، مطبعة الترقي دمشق ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ، ص ٢٦.

(٢) عرف هذا النظام باسم (الكورنتينات) ومعناه الحجر لمدة أربعين يوماً، ولقد طبقت البندقية (فينسيا) نظام الحجر الصحي سنة ،٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. فبثت ضباطاً كانوا يقومون بتفتيش السفن التي كانت تصل إلى البندقية من الخارج . وعمم هذا النظام في الثغور الهامة في البحر المتوسط ،حيث أقيم في جنوه محجر صحي سنة ، ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م ، وفي مرسيليا سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م ، وزادت العناية بالمحاجر الصحية أمام انتشار الطاعون في القرن السابع عشر . وعندما انتشر الوباء الأصفر في مقاطعة(قطا لونية) في أسبانيا ، استخدمت فرنسا نظام الكورنتينات سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م . وقد استخدم هذا النظام في مصر في عهد محمد علي . ولما ظهر وباء الكوليرا في مصر سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٣١م ، بُني أول محجر صحي بالإسكندرية سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٣٢م . انظر ، بكر ، سيد عبد المجيد: مرجع سابق ، ص ٢١٥.

(3) Koury. province of Damascus . p. 180 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قافلة الحج تحت الحجر الصحي ، في خان دنون والتي تبعد عن دمشق خمس ساعات[١].

ففي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، عاد الحجاج من الأماكن المقدسة ، وقد أخبروا الناس أنه مات في الحج ، بالهواء الأصفر ، نحو مئة ألف شخص ، وكان ابتداؤه يوم عيد الأضحى. وفي هذه السنة ، وصل هذا المرض إلى حلب ، وكان أكثر سطوةً في ربيع الأول.

وعلى حد قول كامل الغزي (فقد بلغت وفياته في اليوم ، ثلاثمائة شخص. وقد أصبت به ونجوت ، وأصيبت فيه والدتي وتوفيت على أثره. وكان الناس يدورون في الأزقة ليلاً ويستغيثون بالله ، ويخرج بعض القراء إلى المآذن ويقرؤون سورة الدخان)[٢].

أما بالنسبة للأماكن المقدسة ، فقد أقيم فيها العديد من المحاجر الصحية. ففي عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م ، وعند انتشار وباء الكوليرا في الحجاز ، أقامت الحكومة محجراً صحياً قرب بئر عنبر ، وسط المسافة بين قنا والقصير، وكذلك أقامت الحكومة المصرية في عجرود غرب السويس محجراً صحيًا ، وفي المدينة المنورة أقيم أول محجر صحي في الزاهر ، وذلك عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ، عندما انتشر فيها وباء الكوليرا.

كما أقيم محجر صحي في تبوك لحجاج الشام وتركيا ، وكان عبارة عن مجموعة من الخيام نصبت لذلك. وفي حيث قضت قوانين الدولة العلية بأن يؤخذ من كل حاج ، ثمانية قروش رسم الحجر الصحي[٣].

وفي مكة وفي وقت الحج ، ونتيجة كثرة القادمين اليها ، يفسد هواؤها ، ويقل الاعتناء بنظافتها، تكثر فيها شتاءً ، أمراض الصدر ، وفي الصيف تكثر

---

[١] البدري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٧٦.

[٢] البالي ، كامل (الغزي) : نهر الذهب في تاريخ حلب ، دار القلم العربي ، ط ٢، حلب ثلاثة أجزاء ، ج ٣ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، ص ٢٩٩و٣٠٠.

[٣] بكر، سيد : مرجع سابق ، ص ٢١٦.أيضاً ، رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج١، ص٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاحتقانات الدماغية وضربات الشمس وأمراض العين ، وتكثر كذلك الحميات وخاصة عند فساد مياه الشرب .

وقد انتشر فيها مرض الكوليرا ، وكان ذلك عن طريق حجاج الهند والجاوه . وفي السنوات(١٨٩٠، ١٨٩٢، ١٨٩٣، ١٨٩٥م) ، كانت تلك الأوبئة الكبيرة أكثر انتشاراً حلت بمكة المكرمة في زمن الحج وفتكت بالحجاج بشكل كبير[١].

رابعاً: الأثر الثقافي لقافلة الحج الشامي.

كانت قافلة الحج عبارة عن مدرسة أو جامعة متنقلة ، يشارك فيها، بالإضافة إلى الحجاج ، التجار والأئمة والقضاة والمفتون والعلماء .

ولم يقتصر دور قافلة الحج على أداء فريضة الحج أو تبادل السلع فقط ، بل تعدّاهُ إلى نقل الأفكار والعلم ، ونقل الكتب والمخطوطات ، وكذلك تبادل الآراء. وقد اغتنم عدد كبير من العلماء وطلاب العلم ، مرافقة قافلة الحج، بسبب الأمان الذي يرافقها،لنشر علمهم بين الحجيج، والاستفادة من المناظرات التي تتم خلال الطريق أو في الأماكن التي يتوقف فيها الحجاج ، وكان للعلماء دورهم الواضح في نشر العلوم الشرعية والفكرية[٢]. ففي دمشق كان للجامع الأموي دور كبير في ذلك ، فقد كانت تلقى الدروس فيه تحت قبة النسر[٣] ويجتمع فيه العلماء ، ويقصده المسلمون والزوار والحجاج الذين يصلون إلى دمشق في كل عام ، ويستفيدون من الدروس التي كانت تلقى هناك[٤]. وقد أغنيت الحياة الثقافية في دمشق ، بتوافد العلماء إليها ، بمناسبة الحج وإقامة

---

(١) البتوني، محمد : مرجع سابق ، ص ١٣٧.

(٢) عماد ، عبد الغني : مرجع سابق ، ص ٦٦.

(٣) ممن كان له دروس متواصلة تحت قبة النسر في الجامع الأموي ، ومن أعلام دمشق البارزين في ذلك العصر ، المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني المولود سنة١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م في دمشق . وكان ممن حضر دروسه ، مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت . وعرف عن الشيخ بدر علمه الواسع وجهورية صوته واجتماع الناس من حوله لتلقي العلوم الدينية. توفي في يوم الجمعة الموافق في ٢٨ حزيران١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م . انظر ، العش ، محمد بسام : دمشق بين الماضي والحاضر ، ط١، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٧١ و ٣٧٤.

(٤) العظمة، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضهم فيها. وكثيراً ماحدثت المناظرات بين العلماء الزائرين والعلماء المقيمين وبعض الحجاج من غير العرب، ممّن أقام في دمشق وتعلم اللغة العربية[1] فيها. وقد استغل العلماء المحليون وجود العلماء الأغراب في دمشق، وهم في طريقهم للحج ، فحصلوا منهم على الإجازات[2]فيما اختصوا به من علم.

إن قافلة الحج كانت فرصة هامة لتبادل الآراء بين العلماء الأغراب والمحليين ،وللتعليم والتعلم،[3] وقد ساعد ذلك على نشر التصوف والطرق الصوفية. ومثال ذلك ، نشر الطريقة النقشبندية[4]في دمشق على يد جد الأسرة المرادية ،

---

(1) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ٢١.

(2) كان المشتغلون بالعلم من رجال الدين في دمشق ، يحرصون على الحصول على مايمكن تسميته اليوم بالشهادات العلمية التي تثبت كفاءتهم . وهذه الشهادات على درجات وباختصاصات مختلفة ، فمنها السماعات وهي أبسط الشهادات ومنها الإجازات الخاصة ، كإجازة عرافة الكتب أو الخط الحسن ، وعندما يشعر الطالب أنه متمكن من نفسه من كتاب ما أو علم ما ، يقدم نفسه طواعية لشيخه أو شيخ آخر ويطلب منه إجراء الامتحان المقرر له في هذا الكتاب ، فيفتح الشيخ صفحاته في مواضع مختلفة ويستقرئه إياها ، فإن مضى بغير تلعثم ولا توقف استدل بحفظه لجميع الكتاب. وعندئذ يقوم الشيخ بكتابة إجازة له على ورقة صغيرة .

أما الإجازة العامة فتشمل جميع العلوم التي كانت سائدة آنئذ ، خاصة العلوم الدينية والعلوم المساعدة على فهم القرآن الكريم وكانت الإجازة تؤخذ بشكل شفهي أو كتابي أو بالمراسلة مع الشيخ المجيز المطلوب أخذ الإجازة منه . ومثال على ذلك ، الإجازة التي منحها شيخ الأزهر حسن بن محمد العطار لحسن البيطار سنة ١٢٢٧هـ / ١٨٠٢م ، انظر ، نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج ٢، ص ٣٩٥و٣٩٦. أيضاً ، مجلة التاريخ العربي ، مقالة للدكتور سعيد العلوي ، بعنوان ، أدب الحج في المغرب العربي ، العدد ٢١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص ٣٢٠.

(3) عماد، عبد الغني : مرجع سابق ، ص ٦٦.

(4) أصل تسميتها فارسي مشتق من كلمة النقاش . والمراد بذلك هو نقش صورة الكمال بقلب المريد ، ومؤسس هذه الطريقة هو بهاء الدين النقشبندي البخاري ، ٧١٧- ٧٩١هـ . انظر ، نعيسة ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج٢، ص ٤١٠.

كان من مظاهر الاتجاه الديني في سياسة الدولة العثمانية ، تشجيع التصوف بين مواطنيها. وقد تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع .

وقد انتشرت هذه الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً ، أول الأمر في أسيا الصغرى ، ثم أنتقلت إلى معظم أقاليم الدولة . وقيل في هذا الصدد ، إن حياة الجماهير الدينية قد خضعت لتأثير مشايخ الطرق الصوفية أكثر مما خضعت لتأثير رجال الدولة الرسميين . وقد مدت الدولة يد العون المالي إلى بعض ««««

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيد مراد المرادي الذي أم دمشق بمناسبة الحج ، فانصب اهتمامه على نشر هذه الطريقة فيها[١].

وقد أغنت قوافل الحج الحياة الثقافية في مدن بلاد الشام ، وخاصة دمشق. فقد توافد إليها العلماء وطلاب العلم المغاربة . وكان من الدوافع الملحة لانتقالهم مع قافلة الحج ، هو توقفهم في عواصم الثقافة ومراكز العلوم. ومن هذه العواصم ، القاهرة ، مكة ، دمشق ، فيتأثرون بما يجدونه في هذه العواصم من حضارة وعلوم. وربما يكون توقفهم لشهور أو سنوات أو بقية حياتهم، للتدريس وتلقي[٢] العلم والجهاد في سبيل تحصيله ، واغتنام ذلك في شراء الكتب والمخطوطات ، للاستفادة منها أو الاتجار بها وذلك فضلاً عن ربط الصداقات ، والاتصال المباشر بين مختلف العلماء أو مشايخ الطرق الصوفية والمريدين من الحجيج[٣].

وفي الحرم الشريف ، في مكة ، وقت الحج تزداد الدروس ويزداد الإقبال عليها للاستفادة ، منها وكذلك كانت مكة ملتقى لجميع العلماء وطلاب العلم القادمين من شتى دول العالم الإسلامي ، حيث يتم تبادل الآراء والأفكار والمناظرات في جميع العلوم ، وخاصة علوم الشريعة والدين[٤].

إنّ التحاق العديد من العلماء بقافلة الحج ، جعلهم يقومون بإلقاء الدروس والمواعظ ومنهم من قام بكتابة الأحداث التي جرت خلال الرحلة ، ورصد

»»»الطرق الصوفية أو على الأقل إلى الطرق الصوفية القويمة المذهب وفضلتها على غيرها. وكان من أهم الطرق الصوفية (النقشبندية ، المولوية ، والرفاعية أو الأحمدية ، والخلوتية ..) انظر ، الشناوي ، عبد العزيز : مرجع سابق ، ج١، ص ٥٩.

(١) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ٢٢.

(٢) أنيس ، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص ٢٦٤. أيضاً ، مجلة دراسات تاريخية ، مقالة للدكتور عبد الحميد حاجيات ، بعنوان ، مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، العدد السابع ، ربيع الأول ١٤٠٢هـ/ كانون الثاني _ يناير ١٩٨٢م ، ص ٣٥.

(٣) الأرقش ، دلندة : مرجع سابق ، ص ٢٩١.

(٤) السباعي ، أحمد : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٢. أيضاً ، البتوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخبار وتدوينها . ومن هؤلاء ، عبد الغني النابلسي الذي قام بتدوين رحلته إلى الحج ، في كتاب بعنوان (الحقيقة والمجاز في رحلة مصر والحجاز وبلاد الشام) ، ومحمد البتنوني ، وكتابه ، (الرحلة الحجازية).

وكذلك التحق عدد من الرحالة الأجانب بالقافلة ، وذلك بسبب توفر الأمن فيها، فقاموا بتدوين ما شاهدوه ، ورصد العديد من المواقف والأحداث. ومن هؤلاء الرحالة ، السيدة آن بلنت، والرحالة السويسري جوهان بوركهارت.[1]

مما تقدم نجد إن قافلة الحج كانت عبارة عن سوق متنقل يجوب منطقة واسعة من السهول والصحارى . وفي رأينا أنّ هدف هذه القافلة لم يكن دينياً بشكل كامل وإنما كان ثمة مجال لممارسة التجارة وتلقي العلوم والدروس التي لم تكن تتوقف على طول طريق القافلة ؛ إذ كانت تضم خليطاً من الأعراق والجنسيات واللغات المختلفة. ورغم هذا الاختلاف في العادات والتقاليد ، إلا أنه كان يجمعهم شيء واحد ألا وهو الدين الإسلامي. وكان مقصد الجميع واحداً في الوصول إلى غايتهم وهو إتمام الركن الخامس من أركان الإسلام .

---

(١) جوهان لودفيج بوركهارت ، ١٧٨٩- ١٨١٧م ، رحالة سويسري شهير. ومن أشهر كتبه :
- رحلات في الجزيرة العربية ، مطبوع في لندن عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م .
- ملاحظات عن البدو الوهابيين ، مطبوع في لندن عام ١٢١٧هـ / ١٨٣١م .
بعد أن سمح له بالحج إلى مكة ووصلها في ١٨ أيلول عام ١٨١٤م ، دون ملاحظاته عن الحجاز في مايقارب ٣٥٠ صفحة. انظر ، حمود ، فاطمة : مرجع سابق ، ص ١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الفصـــل الثـــالث))

أولاً-كيفية حماية طريق الحج .

ثانياً- الطرق والمنازل والمحطات التي تسلكها قافلة الحج الشامي .

أ- الطريق من دمشق إلى المدينة المنورة .

ب- الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة .

ثالثاً- طريق الإياب من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

أ- الدرب السلطاني .

ب- الدرب الفرعي .

ج- الدرب الغاير .

د- الدرب الشرقي .

هـ- الدرب الغزاوي .

رابعاً- القلاع ودورها في تأمين الحماية على طول طريق الحج .

خامساً – عادات أهل دمشق في استقبال الحجاج.

سادساً- البدو على طريق الحج الشامي .

١- البدو وعلاقة الحكومة العثمانية بهم .

٢- موقف البدو من قافلة الحج الشامي .

سابعاً- قبائل البدو على طريق الحج الشامي.

أولاً- قبائل جنوب الشام (قبائل بادية الشام)

أ- قبيلة الولد علي .

ب-قبيلة السردية.

ت-قبيلة السرحان.

ث- قبيلة السلوط.

ج- قبيلة بني صخر .

د- قبيلة بني عطية .

ثانياً- قبائل الحجاز .

أ- قبيلة بلي .

ب-قبيلة حرب .

ت- قبيلة مطير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً – كيفية حماية طريق الحج في الذهاب والإياب .

كان الحجاج المتوجهون إلى الأماكن المقدسة (مكة والمدينة) في القرن التاسع عشر وما قبل ، يواجهون صعوبات كثيرة وهم في طريقهم لأداء فريضة الحج .

وكان على ركب الحج الشامي المجتمع في دمشق ، أن يقطع عدداً كبيراً من المنازل ، فيستغرق ذلك وقتاً يقدر بخمسين يوماً للذهاب ، بالإضافة إلى وقت أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك الإياب الذي يستغرق وقتاً يقارب أربعة أشهر[١]. هذا بالإضافة إلى مايتكبده الحجاج من مشاق السفر والتعرض إلى الأخطار الطبيعية من الحرارة والبرودة والسيول الجارفة [٢]، والأوبئة والأمراض وغيرها من المصاعب. هذا بالنسبة للحج الشامي ، فكيف كان وضع الحجاج المغاربة أو الهنود أو التركستان .....الذين تفصلهم مسافة بعيدة عن الأماكن المقدسة [٣].

ولذلك ، اهتمت الدولة العثمانية واعتنت في كل أقاليمها ، بطرق الحج ، وشددت على حراستها ، وأقامت القلاع والحصون والخانات والبرك . وكذلك ، بنت الجسور ورممت القديمة منها لكيلا يقع أي سوء أو ضرر على الحجاج ، ولدرء خطر البدو وقطاع الطرق واللصوص والأشقياء الموجودين على الطرقات [٤]. وكذلك قامت بتكليف قوات عسكرية ونشرها على طول الطريق ، مابين اسطنبول والأماكن المقدسة و قامت أيضاً بإرسال الأوامر والفرمانات إلى كل والٍ وحاكم ،

---

[١] هريدي ، محمد عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص٤٢.

[٢] يذكر البد يري ، أحمد : أنه في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م غرق في منزلة الحسا قريباً من القطرانة عدد كبير من الحجاج مع رواحلهم. وفي عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م مات في منزلة آبار الغنم على حد قول البديري نتيجة الحر الشديد أكثر من ألف وسبع مئة نفس في يوم واحد . انظر ، البد يري ، أحمد : مصدر سابق، ص ١٠٩و ٢٣٦.

[٣] عابورة ، أحمد خير : مرجع سابق ، ص٢٦.

[٤] الأوامر السلطانية لولاية حلب ، سجل رقم /٤٩/ ، الوثيقة رقم ٩و١٠ و٨٢ و٨٣ ، تاريخ ١٢٥١٩هـ/ ١٨٣٥م . أيضاً ، السجل رقم /٤٥/ الوثيقة رقم /١٢٠/، تاريخ ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م . أيضاً ، السجل رقم /٣٨/ الوثيقة رقم ٤٦٥ تاريخ ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م . أيضاً ، السجل رقم/ ٤٤/ ، وثيقة رقم ٧٧ ، تاريخ ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتأمين الحماية للقافلة حين تمر في منطقة نفوذه ، وقامت باستمالة البدو وإرضائهم وشراء ولائهم.

ثانياً- الطرق والمنازل والمحطات[١]التي تسلكها قافلة الحج الشامي.

أ- الطريق من دمشق إلى المدينة المنورة.

بعد تجمع الحجاج القاصدين البلاد المقدسة ، برفقة قافلة الحج الشامي في دمشق ، ما بين الثاني عشر والعشرين من شهر شوال[٢] ، يكون قد سبق ذلك الانتهاءُ من مراسم دورة المحمل والصنجق والزيت والشموع وكل ماتحتاجه القافلة من مستلزمات الطريق البري الطويل[٣]، ويكون على الجمع المشكل للقافلة في الذهاب والإياب ، أن يسلك طرقاً شقتها أقدام الإبل والرواحل الأخرى ، عبر الزمن وهي.(انظر الشكل رقم ٧)

١- قرية القدم : وهي أول مكان تتوقف فيه القافلة بعد تركها مدينة دمشق ، بضعة أيام لأجراء الترتيبات النهائية[٤]. وفي نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، أصبحت مركزاً لتجمع قافلة الحج أثناء خروجها من دمشق[٥].

٢- خان دنون[٦] – الكسوة[٧] : تقع خان دنون جنوب بلدة الكسوة على بعد

---

(١) يختلف المنزل عن محطة الاستراحة بعدة أمور هي أن من شروط المنزل أن يتوفر فيه الكلأ والماء والسوق ثم السكان . أما الاستراحة ، فليس شرطاً أن تتوفر فيها هذه الشروط جميعاً، وربما يكفي وجود الكلأ أو الماء فقط . كذلك فإن أقامة الحاج في المنزل قد تستغرق بضعة أيام ، في حين أن مكوث الحاج في محطة الاستراحة قد لايتجاوز تناول العشاء ثم يستأنف المسير. وهناك اختلاف آخر في طول المسافة بين المنزل والأخر تراوحت مابين ٤٥-٦٥كيلاً . بينما المسافة بين محطة الاستراحة والتي تليها قد لاتتجاوز عشرين كيلاً فقط . أنظر، إصدارات مجلة العرب مركز حمد الجاسر الثقافي ، يصدر على شبكة الإنترنت العنوان . www. hamad aljasser.com

(٢) نعيسة ، يوسف : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٩.

(٣) مجلة العربي ، العدد ٥٦٦، مقالة كتبها أشرف أبو اليزيد بعنوان ، من اسطنبول والشام ومصر رحلات المحمل الشريف ، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٦م ، ص ١٠٠.

(٤) البدري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٨ حاشية . أيضاً ، عابورة ، أحمد خير : مرجع سابق، ص ٦٧.

(٥) العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص١٤ حاشية . أيضاً ، مذكرات خالد العظم ، ج ١ ، ص ١٥.

(٦) الخان يحتوي على فسحة سماوية محاطة بأروقة ، ومقابل كل قوس غرفة صغيرة توفر الراحة للمسافرين كما تُترك رواحلهم في الساحة السماوية الداخلية. بناه التاجر علي بن ذي النون الأسعردي ، ثم الدمشقي. مات سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٧٢م . انظر ، العبد ، حسن أغا : صدر سابق ، ص ٩ حاشية .

«««

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيلو مترين، وتشكل مع الكسوة محطة واحدة ، وهي الثانية بعد خروج القافلة من دمشق .

٣- الكتيبة : إحدى قرى حوران ، بالقرب من الصنمين والمسافة مابين خان دنون إلى الكتيبة ، عشر ساعات مسيراً [١]. فيها بركة ، كان الحجاج يتزودون منها بالماء[٢].

٤- المزيريب[٣]: تبعد عن دمشق مايقرب من مائة وثلاثة كيلو مترات جنوباً. وفيها يبقى الحجاج مابين ثمانية أيام إلى خمسة عشر يوماً. كان يُقام فيها في وقت نزول الحجاج سوق كبير للبيع والشراء والمقايضة مابين البدو والحجاج والتجار وأهالي القرى المجاورة [٤]. فيها قلعة كان السلطان العثماني سليمان القانوني قد أمر ببنائها[٥] سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م لحماية الحجاج . وفي هذه المنزلة ، يتم توديع الحجاج لذويهم الذين رافقوهم إلى

»»»» (٧) تقع قرية الكسوة جنوب دمشق ، وتبعد عنها مايقارب ١٨كم ، يشطرها نهر الأعوج . وقد سميت بذلك لأن غسان قتلت بها رُسل ملك الروم لما أتو إليهم لأخذ الجزية منهم واقتسمت كسوتهم . أنظر ، ابن بطوطه: الرحلة ، ص ٣٤٣حاشية . أيضاً ، ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٣٥٢. أيضا ، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، مركز الدراسات العسكرية ، ط ١، دمشق ، خمسة مجلدات ، المجلد الثاني، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ، ص ٣٣.

(١) المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية الحجازية ،ورقة ٩. أيضاً، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ص ١١.

(٢) العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص٦٧حاشية .

(٣) في القرون السابقة ، لم تكن مزيريب المركز الرئيسي لنزول الحجاج ، وإنما كانت بصرى . انظر ، ابن بطوطة الرحلة ، ص ٣٤٤. أيضاً ، العلبي ، أكرم ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، ص ١٢٥.

(٤) البد يري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٦٨.

(٥) ولد السلطان سليمان عام ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م ، وتوفي٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م . استلم السلطنة وعمره ٢٦ عاماً ، حين وصل نبأ تقلده زمام الحكم إلى دمشق تمرد حاكمها جان برد الغزالي فاستطاع السلطان إخماد التمرد وقتل زعيمه ، ثم قام السلطان بفتح بلغراد وجزيرة رودوس في البحر المتوسط ، لأن فرسان رودس كانوا يقطعون الطريق على الحجاج إلى مكة ، إذا ذهبوا عن طريق البحر ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م . ثم فتح بلاد المجر وعاصمتها ، وحارب النمسا وحاصر ڤينا ، ودخل بلغراد. اشتهر سليمان بالقانوني بسبب القوانين العديدة التي وضعها . انظر ، أرسلان ، شكيب :تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥١. أيضاً ، حسون ، علي : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منـــــازل الحج الشامـــــــي

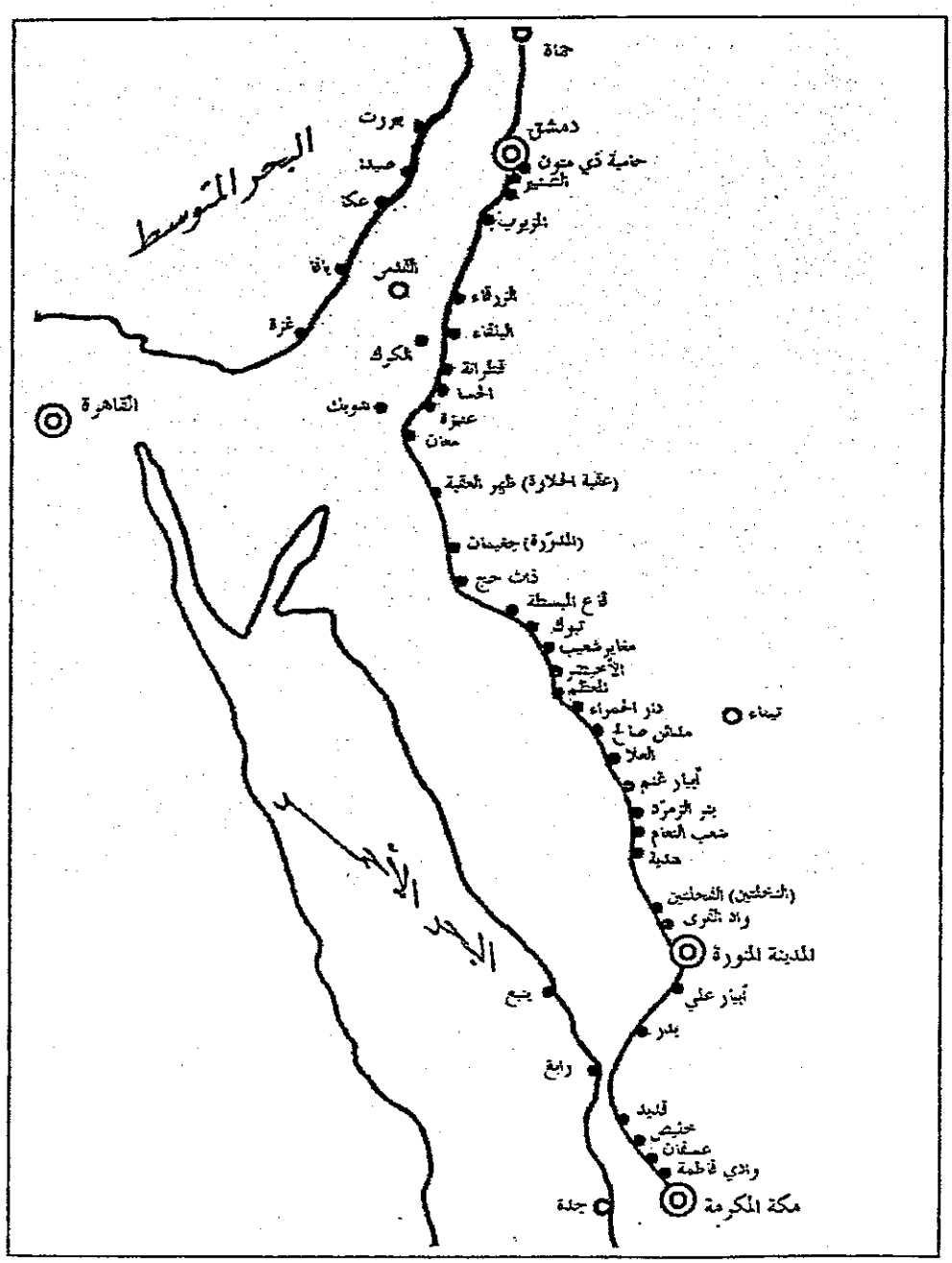

المصدر: المواكب الإسلامية، عيسى ابن كنان الصالحي الدمشقي، القسم الثاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هناك وقد أطلق عليهم المزيرباتية [١]. وإلى هذه المنزلة كان يلتحق كل من تأخر وتخلف عن الوصول إلى دمشق. وكان هذا الالتحاق ضمن قافلة تسمى القاشوش[٢]. وكان يرافق القافلة ، عدد كبير من تجار دمشق ، إلى هذه المنزلة ، لبيع سلعهم وبضائعهم . ويذكر بورتن أن قطع الطريق ما بين دمشق وخان دنون ، يستغرق ساعتين ونصف السّاعة بالخيول ، وخمسَ ساعات بالجمال. ومابين الكتيبة وخان دنون خمس ساعات بالخيل وأثنتي عشرة ساعة بالجمال ، ومابين الكتيبة ومزيريب خمس ساعات بالخيل وأثنى عشر ساعة بالجمال. وهذا يعني أن المسافة مابين دمشق ومزيريب ٢٩ ساعة بالجمال و ١٣ ساعة بالخيول[٣].

٥- الرمثا[٤]: وإليها تتجه القافلة بعد المزيريب ، وهي إلى جنوب درعا[٥]. كان فيها عشرة آبار تتجمع فيها المياه من الأمطار. وفيها بركة صغيرة تقع في ضواحيها ، تعود للعصر المملوكي[٦].

٦- المفرّق : تقع على طريق الحج الشامي ، وتبعد عن دمشق مائة واثنين وستين كيلو متراً، وعن درعا اثني عشر كيلو متراً. وهي من أعمال الأردن اليوم[٧].

٧- الزرقاء : مابينها وبين المفرق ، مسافة ثماني ساعات [٨]. بنيت فيها قلعة

---

(١) البد يري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٤٧.

(٢) قافلة القاشوش : هي عبارة عن قافلة تجمع كل من تخلف من الحجاج وتأخر عن الوصول إلى دمشق بعد رحيل قافلة الحج الرئيسية حيث يتجمع هؤلاء و يشكلون قافلة تلتحق بالقافلة في المزيريب . انظر ، ابن كنان: يوميات شامية ، ص ٥٧٦.

(3)See , Burton , Isabel . the Inner of Syria Palestine, p 57

(٤) الرمثا منطقة رعوية ينبت فيها شوك الرمثا ، وكانت مرعى للإبل منذ القدم ، ونسبة لهذا الشوك جاءت التسمية . تقع بين جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر ومدن الشام ، منذ أقدم العصور . انظر في بحث نشر على شبكة الانترنت بعنوان ، كل ما تود معرفته عن الرمثا . www. Irbidnet.com

(٥) العظمة ، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٨٩.

(٦) انظر بحث " كل ماتود معرفته عن الرمثا " مرجع سابق .

(٧) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ حاشية . أيضاً بكر ، سيد : مرجع سابق ،ص١٨٥.

(٨) المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النامية ، ورقة رقم ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لحفظ أمن الطريق ولوضع المؤن التي يحتاجها الحجاج[١]، وتبعد هذه المنزلة عن دمشق ، مئتين وثلاثة كيلومترات ، وعن المفرّق تسعة عشر كيلو متراً ، وعن درعا ثمانين كيلو متراً، وإلى الشمال من عمان بحوالي اثني عشر كيلو متراً [٢].

٨- البلقاء : منزلة على طريق الحج الشامي ، تابعة للأردن [٣].

٩- القطرانة : عند هذه المنزلة ، تبدأ صعوبة الطريق حيث تندر المياه ويزداد خطر تعرض الموكب للسيول الجارفة ، إذا كان الفصل شتاءً وللحرارة الحارقة صيفاً ، ويكثر اعتداء البدو على قافلة الحج[٤] . وقد أمرت الحكومة العثمانية ببناء قلعة[٥]لحماية الحجاج من خطر البدو ، وكانت تُزود بالماء والشعير والتبن لإعانة الحجاج ورواحلهم[٦]. وإلى جانب القلعة ، بركة عظيمة طولها ٩٠ ×٩٠ زراعاً ، وكان ماؤها يجمع من السيول بعد نزول المطر[٧] .

١٠- الحسا : مابين الحسا والقطرانة ، يضيق الطريق فيسمى (القطرانة) ، في هذه المنطقة. وعندما يكون الفصل صيفاً تكون الماء معدومة ، لذلك يلاقي الحجاج مشقة كبيرة ، وتكثر عليهم اعتداءات البدو في المضائق . وإذا كان الفصل شتاءً، فكثيراً ماكانت السيول تجرف ، الركب وتسبب لهم أضراراً كبيرة . لذلك كان الحجاج دائماً ، يذكرون مخاطر ووعورة هذه المنطقة بقولهم .

---

(١) رجا الحمود ، نوفان : مرجع سابق ، ص ٤٨.

(٢) بكر ، سيد : مرجع سابق ، ص ١٨٦.

(٣) مخطوط ، النابلسي ، عبد الغني ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، صورة مخطوط في مكتبتي ، ورقة ٤٨٦ . أيضاً ، ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥٣حاشية .

(٤) عابورة ، أحمد خير : مرجع سابق ، ص ٢٨.

(٥) قام الوزير إسماعيل باشا العظم في عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م، بترميم قلعة القطرانة التي تقع على طريق الحج الشريف. وكان قد استخدم لذلك ، مجموعة من الحدادين والنجارين والأتوني والنحاسيين والمعمارية . انظر ، سجل محاكم شرعية دمشق رقم ٦١ ، الوثيقة رقم ٥٤ ، تاريخ ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م .

(٦) رجا الحمود ، نوفان : مرجع سابق ، ص ٤٨.

(٧) الخياري ، إبراهيم بن عبد الرحمن : رحلة الخياري(تحفة الأدباء وسلوة الغرباء) دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ٣ أجزاء ، ج ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بوغاز الحسا ما يـنتـسى
كـلـه أسى رمل وحصى[١]

١١- عُنيزه : مابين الحسا وعُنيزه ، ٤٥كم ، تحتاج إلى عشر ساعات سـيراً. وهذه المرحلة من المراحل الصعبة ، حيث تبدأ بالصعود الذي يليه هبوط مملوء بالحجارة السوداء القاسية التي تعيق تحرك وسير الحجاج ، وفيهـا قلعة وبركة مياه يعود زمن بنائهما للسلطان سليمان (القانوني) [٢].

١٢- معان : وهي مدينة هامة في طريق بادية الشام والحج[٣]، وكانت سـوقاً هاماً للحجاج في الذهاب والإياب إذ أنّ سكانها يتجهزون من أجـل أيـام الحج يخزنون المؤن والعلف ليبيعوها للحجاج[٤] ؛ بنى السلطان سـليمان فيها قلعة أُوكل فيما بعد أمر حمايتها لبعض البدو ، مع حامية عسـكرية؛ وذلك لتوفير الحماية والمؤن التي تلزم الحجاج ، حين مرورهم من هـذه المنطقة [٥].

١٣- العقبة الشامية[٦]: يستغرق المسير إليها ، مـن معـان حـوالي ثمـاني ساعات، وفيها قلعة يعود زمن بنائها إلى العصر المملـوكي،وقـد أُعيـد ترميمها زمن السلطان العثماني مراد الثالث[٧].

١٤- المُدورة : تسمى أحياناً جغيمان[٨] ، وتبعد ثماني وعشرين ساعة سيراً

---

(١) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٧٤ و ١٠٩.

(٢) السنوسي ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٦٢.

(٣) البكري ، عبد الله محمد بن عبد العزيز : معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق ، مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت ، ثلاثة أجزاء .ج ٣، د. ت ،ص١٢٤١. أيضاً ، الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت : معجم البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٣ ، ص ١٧٩.

(٤) بكر ، سيد : مرجع سابق ، ص ١٩٢.

(٥) أوغست فالين ، جورج : مصدر سابق ص ٢٣. أيضاً ،رجا الحمود ، نوفان : مرجع سابق ، ص ٤٩.

(٦) العقبة الشامية أطلق عليها كذلك للتفريق بينها وبين العقبة التي تقع على شاطئ البحر الأحمر . انظر ، المنير، محمد عارف : مصدر سابق ، الورقة ٢٢.

(٧) رجا الحمود ، نوفان : مرجع سابق ، ص ٤٩.

(٨) رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جنوب معان ، وزمن المسافة مابين العقبة والمدورة أربع عشرة ساعة[١]. وفيها بركتان وقلعة. وكان من عادة الحجاج ، وضع أمتعتهم بها. وبعد المدورة. يتجه الطريق إلى الجنوب، بانحراف قليل نحو الجنوب الشرقي ويمر بقاع الشطية ، ليصل إلى حالة عمار. وبعدها يتجه نحو الجنوب الشرقي ، ليصل إلى ذات الحاج [٢].

١٥- ذات الحاج[٣] : في هذه المنزلة ، قلعة يعود بناؤها إلى السلطان سليمان عام ١٥٥٩م، وذلك لحماية القوافل من غارات البدو. ومن خلال أسوار القلعة العالية كان يُرى محط الحجاج وخيامهم[٤]. وكان في هذه المنزلة عين ماء عَذبة ، وبركة يتجمع فيها الماء ، ويقصدها الحجاج للراحة وللتزود بالماء[٥].

١٦-القاع الصغير : تسمى أيضاً قاع بسيطة[٦]، والمسافة مابينها وبين ذات الحاج خمس عشرة ساعة سيراً[٧]،وتكون الأرض هنا منبسطة،يرتاح فيها الحجاج من المسير وفيها وقعت غارة عليهم سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م [٨].

---

(١) ابن كنان : المواكب الإسلامية : ج٢، ٣٥٤.

(٢) إحدى بلدات الأردن ، تبعد عن المدورة ٢٣كيلو متراً ، وعن تبوك ٩٧كيلو متر . انظر ، بكر ، سيد: مرجع سابق ، ص١٩٣و ١٩٦.

(٣) ذات الحاجُ ، بتخفيف الحاء نوع من النبات وهي وادٍ فيه منهل ، فأصبح قرية ، ولا شك أن هذه التسمية حدثت بعد أن أصبح طريق الحج يمر بها فأصبحت من منازله. وفيما بعد أصبحت من محطات سكة حديد الحجاز. انظر ، الجاسر ، حمد : المعجم الجغرافي للبلاد العربية ، دار اليمامة ، ط١ ، الرياض ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص ٣٦٩و ٣٧٠. أيضاً ، السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ،ج١، ص ٣٧٠.

(٤) الفطوري ، أحمد المرسي : مرجع سابق ، ص ١٤٧. أيضاً ، الحمود ، نوفان رجا : مرجع سابق ، ص ٥٠.

(٥) بكر ، سيد : مرجع سابق ، ١٩٦.

(٦) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٧) المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية ، الورقة ١٠.

(٨) السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ج ٢، ص ٢٤٥ . أيضاً ، الجاسر ، حمد : المعجم الجغرافي للبلاد العربية ، ج٢ ، ص ١٠٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧- تبوك : هي أول حدود الحجاز[١]. تقع في منتصف المسافة بين دمشق ومكة[٢]. بنيت فيها قلعة سميت باسمها سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م ، وفيها بئر ماء عظيمة ، ويحيط بها منازل البدو. وكان فيها حامية عسكرية تساند قافلة الحج ، إذا ما تعرضت لهجمات البدو. وكانت الحكومة تحفظ فيها المؤن التي يحتاجها الحجاج في طريقهم. وفي بعض الأحيان ، كانت قافلة الجردة تصل إلى منزلة تبوك لتلاقي قافلة الحج وهي في طريق العودة[٣].

١٨- المغر (المغائر، ظهر المغر) : بعد منزلة تبوك تتجه القافلة إلى المغائر والمسافة بينهما عشر ساعات [٤].

١٩- الأخضر(الأخيضر) : بنى فيها السلطان سليمان القانوني قلعة حصينة استخدمت لتوفير الحماية للحجاج ، ووضع فيها حامية عسكرية لحفظ برك الماء وإبعاد خطر البدو عنها لكي يقصدها الحجاج بسلام[٥].

٢٠- المعظم [٦]: أطلق عليها بركة المعظم[٧]. وهي وادٍ فيها قلعة عثمانية بنيت سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م ، وبجوارها بركة ماء[٨]. وهي من أوسع البرك وأضخمها . يأتي أليها الماء من بين سفوح الجبال[٩]. ويقول

---

(١) العظمة ، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٨٩.

(٢) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج٢، ص ٣٤٥.

(٣) الخياري ، إبراهيم : رحلة الخياري ، ج ١ ، ص ٧٣ . أيضاً ، الحمود ، نوفان رجا : مرجع سابق ، ص ٥٠ و ٦٠.

(٤) المنير ، محمد عارف ،السعادة النامية الأبدية في السكة الحجازية ، الورقة ١٠. أيضاً، ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج٢، ص ٣٥٤.

(٥) الحمود ، نوفان رجا : مرجع سابق ، ص ٥١.

(٦) سميت بالمعظم نسبة إلى اسم المعظم عيسى بن العادل محمد الأيوبي سلطان دمشق وابن أخي صلاح الدين ، ٦١٤- ٦٢٤هـ / ١٢١٨- ١٢٢٧م . انظر ، ابن بطوطه : الرحلة ، ص ٣٤٧. أيضاً ، الجاسر، حمد : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ج٢ ، ص ١٢٤٠.

(٧) بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٢٠٢.

(٨) الموسوي ، محمد بن عبد الله الحسيني : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥.

(٩) يقول : السنوسي في ضخامة هذه البركة: إن جميع الحجاج استقوا منها ولم ينقص من مائها إلا نحو نصف ذراع . انظر، السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ج ٢ ، ص ٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النابلسي في هذه البركة: يبلغ كل من طولها وعرضها مائتي ذراع بذراع[١]. وقد أوكل بناء القلعة التي فيها للأمير فروخ باشا[٢] ، وقد اعتمدت القلعة على مياه الأمطار ، ولكن انحباس المطر أدى بالحامية العسكرية التي كانت فيها إلى هجرتها. وبعدها تعرضت للدمار[٣].

٢١- الدار الحمراء (أقيرع ، مفارش الرز ، أو شق العجوز) [٤]:

الطريق إليها يتجه صعوداً ، وهي من أعلى المنازل التي تعترض الدرب في الأراضي الحجازية ، حيث يصل ارتفاعها ١١٠٣ أمتار ، وتبعد عن قلعة المعظم ثمانية وخمسين كيلو متراً[٥] وهي منزلة تفتقر لوجود الماء لذلك لايطيل الحجاج فيها الإقامة[٦]. وقد بنت الدولة العثمانية فيها ، قلعة لحماية الحجاج سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م[٧].

٢٢- مدائن صالح : ذكرت في بعض المؤلفات بالحجر أو ديار ثمود [٨]، وهي منطقة قاحلة جرداء ، يقوم فيها ، أمير الحج بتوزيع المياه المحمولة على مئات الجمال ، على الحجاج مجاناً. ويواصل بعدها دربُ الحج مسيرتَه نحو الجنوب حتى يصل العُلا [٩].

---

(١) النابلسي . عبد الغني : مخطوط الحقيقة والمجاز ، ورقة ٤٨٣.

(٢) الأمير فروخ بن عبدالله أمير الحج ، كان في الأصل من مماليك الأمير بهرام بن مصطفى باشا شقيق الأمير رضوان حاكم غزة . وبعد وفاة سيده ، عظم صيته واشتهر بشجاعته وسخائه . ولي سنجق نابلس وأمارة ، الحج وصرف جهده في حراسة الركب . ولم يزل في هذا المنصب حتى توفي بمكة سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م . انظر ، المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٣، ص ٢٧١.

(٣) الحمود ، نوفان رجا : مرجع سابق ، ص ٢٠٢.

(٤) عرفت قديماً باسم الأُقيرع. ويقال إنها سميت بهذا الاسم (الدار الحمراء) لكون رملها أحمر ، وكذلك جبالها . والبدو يسمونها مفارش الرز ، لأن فيها حصىً أبيض صغيراً يشبه حبات الرز. فالذي يراه يتخيله أرزاً ، وتسمى لذلك خدود الأرز، وهذه المنزلة لا عمارة فيها ولا ماء . انظر، الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي ، ج٢، ص ٥٢٣.

(٥) بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

(٦) النابلسي ، عبد الغني : الحقيقة والمجاز ، الورقة ٤٨٣.

(٧) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج٢ ، ص ٣٥٤ حاشية .

(٨) بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٢٠٤و٢٠٦.

(٩) عابوره ، أحمد خير : مرجع سابق ، ص ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣- العُلا: فيها يقيم الحجاج أربعة أيام، يغتسلون ويغسلون ثيابهم ويتزودون بما يلزمهم، ويضعون فيها الأشياء الزائدة من متاعهم[١]، والعلا واحة خصبة تكثر فيها المياه الجارية والحدائق والبساتين[٢] ومزارع العنب والبطيخ بنوعيه الأصفر والأحمر ، والليمون الحامض منه والحلو. وفي هذه المنزلة ، يتوقف تجار الشام النصارى الذين يرافقون القافلة ولا يتعدونها[٣].

٢٤- آبار الغنم : وتُدعى بطوامير أو المطران. وأحياناً تتحول القافلة عن هذه المنزلة إلى منزلة العُلا ، ولا تمر بها[٤].

٢٥- بئر الزمرد : الطريق في هذه المنزلة كثير الحجر ، وهي قليلة الماء ولا يوجد سوى بئر في قلعتها[٥]. والمسافة من مدائن صالح إلى هذه المنزلة ست وعشرون ساعة مسير[٦].

٢٦-البئر الجديد[٧]: في هذه المنزلة ، بركة كبيرة ، ماؤها مالح وبالقرب من هذه المنزلة ، ماء جارٍ يُستخدم للشرب . والبدو المقيمون حول هذه المنزلة يتلقون الحجاج بغنم ونبات يابس ليبيعوهما لهم[٨].

---

(١) ابن بطوطه : الرحلة ، ج١، ص ٣٤٨.

(٢) جلبي ، أوليا : الرحلة الحجازية ، ترجمة ، الصفصافي أحمد المرسي ،دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م، ص ١٠٠و١٤٤.

(٣) في هذه المنطقة ، يُلاحظ تحديد منطقة الحرم ، حيث لايجوز تجاوز هذه المنطقة للذين لايعتنقون الإسلام. انظر ، ابن بطوطه : الرحلة ، ج ١، ص ٣٤٨. أيضاً ، الخياري ، إبراهيم : الرحلة ، ص ٣٥ . أيضاً ، العلبي ، أكرم : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، ص١٥٢.

(٤) الغنيمي ، مازن : مرجع سابق ، ص ١٢٦.

(٥) السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية، ج٢ ، ص ٢٣٣.

(٦) المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النامية الأبدية ، الورقة ١١.

(٧) والدة السلطان محمد الرابع طورخان خديجة سلطان ،التي أصبح لها نفوذ كبير حين استلم ولدها الصغير السلطنة ، وكانت من المحبات للخير ، وهي من أمرت بإنشاء بئر في هذه المنزلة سنة ١٠٨١هـ /١٦٧٠م . انظر ، جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٢.

(٨) السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٧ – شعب النعام:منطقة قفرة خالية من الأنعام،قليلة الميـــاه،ولاتوجـــد فيهـــا آبار[١].

٢٨–هدَّية : عُرف عن هذه المنزلة ، أنها مكانُ وصول قافلة الجردة ، لملاقاة الحجاج ، وهم في طريق العودة. وهي أبعد مكان وصلت أليه قافلة الجردة[٢]. وقد أُنشئت فيها قلعة لحماية الحجاج [٣].

٢٩– الفحلتين : (النخلتين) بُني في هذه المنزلة قلعة ، وفيها بئر مـــاء حفـــره نصوح باشا[٤] لكي يستفيد منه الحجاج الذاهبون إلى الأماكن المقدسة. وهـــذه المنزلة تبعد ثلاث عشرة ساعة سيراً عن هدية جنوباً [٥].

٣٠– وادي القرى: مياهه وفيرة عذبة. يفد إليه البدو من المنـــاطق المحيطـــة ليبيعوا منتجاتهم للحجاج [٦].

٣١ – آبار ناصيف : المسافة مابينها وبين المدينة المنورة ، عشرون ســـاعة. وهي المنزلة الأخيرة التي تسبق الوصول إلى المدينة المنورة[٧] .

٣٢– المدينة المنورة [٨]: وهي ثاني المدن الإسلامية المقدسة ، اتخـــذ منهـــا النبي محمد صلى الله عليه وسلم مركزاً للدعوة الإسلامية ، وفيها المسجد النبـــوي

---

(١) الموسوي ، محمد : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٩. أيضاً، جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٤٤.

(٢) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٧٠.

(٣) البتنوني ، محمد: الرحلة الحجازية ، ص ٢٩٢.

(٤) ناصيف (نصوح) باشا ، حكم ولاية الشام مدة ست سنوات تقريباً بين ١١٢٠-١١٢٦هـ / ١٧٠٨-١٧١٤م . أظهر كثيراً من السلطة داخل دمشق وخارجها وبصورة خاصة أمن سلامة قافلة الحج الشامي التي أُعطي أمارتها إلى جانب منصبه كوالٍ للشام . انظر ، رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص٢٢٢. أيضاً ، الجبر، محمد فوزي : حكام دمشق ، دمشق ، ٢٠٠٦م ، ص ١٢٨.

(٥) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٤.

(٦) الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٩٧. أيضاً ، جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٥.

(٧) المنير ، محمد عارف : السعادة النامية الأبدية ، ورقة ١١.

(٨) وهي مدينة الرسول محمد (ص) ، كانت تسمى قبل الهجرة يثرب ، وأطلق عليها طيبة وطابة والعذراء وهي جابرة والمجبورة والمحبة والمحبوبة والقاصمة . ترتفع عن سطح البحر بنحو ٦١٩متراً ، وهي واقعة على طول ٣٩درجة و٥٥ دقيقة شرقاً ، وعلى عرض ٢٤درجة و١٥دقيقة شمال خط الاستواء . وتعد تجارة البلح فيها من أكثر التجارات وأوسعها ، حيث تنتج سبعين صنفاً من التمر ، ومناخ المدينة صحي جداً ، وانعكس ذلك على أهلها في لطافتهم .انظر، البكري الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز : مصدر سابق،ج٣،»»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يضمُّ قبر الرسول . وفيها تقيم قافلة الحج عدة أيام ، يبدأ الحجاج زيارتهم لمسجد الرسول ولقبره الشريف وللصلاة في الروضة وزيارة قبور الصالحين والصحابة الموجودة في المدينة المنورة[١].

ب- الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة :

بعد أن يقيم الحجاج في المدينة المنورة عدة أيام ، وينهون ما عليهم من الزيارات، يستعدون للتوجه إلى مدينة الإسلام الأولى ، مكة المكرمة ، وذلك مروراً بعدة منازل ومحطات هي:

١- آبار علي : وهي أول منزلة يصلها الحجاج بعد المدينة المنورة. تبعد عن المدينة مايقرب من خمسة كيلو مترات ، وفيها بئر ينسب إلى سيدنا علي(ر) وهو واسع ، عذب" ، تستخرج المياه منه بالدواليب والسواقي ، وحوله أحواض كبيرة يشرب منها الحجاج ، ويسقون منها رواحلهم ويغتسلون من مياهها. وفي كل عام ، خلال موسم الحج ، يُقيم الأهالي حولها سوقاً كبيراً يبيعون فيه للحجيج ، منتجاتهم وما يحتاجونه من مستلزمات خلال السفر [٢].

٢- بئر الماشي : منطقة ذات ماء حلو وغزير. يتوقف فيها الحجاج للتزود بالماء والراحة ، ويقطنها بدو بنو عوف [٣].

٣- الغدير : المسافة مابينها وبين بئر الماشي ، ثلاث ساعات سيراً. فيها بركة ماء طولها مئة متر ، وعرضها عشرة أمتار، وعمقها متران. يتوقف الحجاج حولها لأخذ مايحتاجونه من الماء ، لهم ولرواحلهم [٤].

٤- الريان : منزلة من منازل الحج ، ويكون توقف الحجاج فيها لفترة قصيرة .

»»»ص ١٢٠١. أيضاً ، البتنوني ، محمد مصدر سابق ، ص ٣٣٩.

(١) ابن بطوطه : الرحلة ، ج١ ، ص ٣٤٩.

(٢) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٦١. أيضاً ، الخياري ، إبراهيم بن عبد الرحمن : رحلة الخياري، ج ٣ ، ص ٢٠٩.

(٣) البتنوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢١١.

(٤) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج ١، ص ٣٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- أم الضباع : وهي منزلة ذات ماء عذب ، ويقطنها بنو عوف[١].

٦- ظهر العقبة [٢]:جرت العادة في هذه المنزلة،بأن يقوم أمير الحج بنصب خيمته في مكان مرتفع قليلاً ، ويجلس بها إلى نهاية مرور الحجاج.ويقف إلى جانبه ، باش سقا يسقي المارةَ من الحجاج شربات ، الماء.

٧- رابغ [٣]: وهي قرية صغيرة بينها وبين البحر الأحمر ، نحو ساعة ونصف السّاعة. وفيها قلعة للحراسة ، وبها مخازن تحفظ فيها مؤن ركب المحمل وذخائره وفيها صهاريج ماء عذبة ، وفي هذه المنزلة، يدخل الحجاج في الإحرام[٤]. ومن رابغ ، تتفرع الطرق إلى ثلاثة أفرع هي : السلطاني و الفرعي و والغاير[٥].

٨- القضيمة : (بير الهندي ، القديمة) ماء أبارها مالحة ، وذلك بسبب قربها من البحر. والمسافة مابينها وبين رابغ ، تحتاج من الحجاج ، ست ساعات سيراً [٦].

٩- عسفان : تسمى أيضاً (بئر التفل)، وهي من المنازل الرئيسية في طريق

---

(١) البتنوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢١١.

(٢) إذا أطلق اسم العقبة على مكان ، فإنه يدل على عظمته وامتداده وشدة ارتفاعه وصعوبة رصيفه ، وحجارة الطريق سوداء من نوع الصوان الأملس وفي بعضه لمعان . نظر ، السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ٢٤٧.

(٣) وصفها السنوسي بقوله : وادٍ فيه نخيل ، مليء بصعاليك البدو المتوحشين الذين يبيعون فيه الدقيق والشعير والثمن والدجاج والبيض والتمر وبعض مصنوعات الخسف والجلد . وعادة الراحلين أنهم إذا وصلوا إلى هذا الموضع أخذوا فيه راحة لوجود شبه عمران ، واستقوا منه ، واشتروا علف الإبل وسقوها . انظر السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ٢٠٦.

(٤) على الحاج أو المعتمر ألا يلبس ثياباً مخيطة أو مطرزة . وعليه ألا يرتدي الملابس حتى ينحر الذبائح في منى ، وفي رابغ وبعد الإحرام ينوي الحجاج بالدعاء التالي: (اللهمّ إني نويت أداء الحج فيسره لي ، وأقبله مني ...) وإلى غير ذلك من الدعاء . انظر ، جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٦١.

(٥) المنير ، محمد عارف : السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية ، ورقة ١٤. أيضاً ، الرشيدي ،احمد : حسن الصفا والابتهاج ، ص ٤٥.

(٦) العظمة ، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٩٠. أيضاً ، الرشيدي ، أحمد : حسن الصفا والابتهاج ، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة المنورة ، إلى مكة المكرمة[١]. والطريق إليها ضيق ، إذ يمر الركب جملاً تلو الآخر حتى يدخلها الحجاج [٢]. يقام فيها سوق يتزود منه الحجاج بما يحتاجونه من طعام لهم وعلف لرواحلهم. وآبار هذه المنزلة عذبة المياه وحلوة المذاق [٣].

١٠-مكة المكرمة [٤]: وفي مكة تكون رحلة الذهاب قد انتهت ، حيث تحط قوافل الحج رحالها استعداداً للقيام بمناسك الحج ، وأول شيء يقوم فيه الحجاج عند دخولهم مكة ، هو طواف القدوم لبيت الله الحرام ، ومن ثم مناسك الحج من السعي والوقوف في عرفات ، ورمي الجمرات،وزيارة قبور الصالحين والصحابة فيها[٥]. وبعد الانتهاء من أداء مناسك الحج كاملة ، تتجهز كل قافلة من قوافل الحج للعودة إلى ديارها. وقد قدرت المراحل مابين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، بعشر مراحل ، تستغرق حوالي مئة وسبع ساعات مسيراً[٦].

---

(١) العلي ، صالح أحمد ، الحجاز في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٢٦٤.

(٢) الرشيدي ، أحمد : حسن الصفا والابتهاج ، ص ٤٥.

(٣) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٦.

(٤) مكة المكرمة : وتسمى أيضاً (بكة وأم القرى والبلد الأمين) ، ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠متر ، وهي على عرض ٢١درجة و٣٨دقيقة وفي طول ٤٠ درجة و٩ دقائق ، يعود بنائها إلى إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وما تزال مكة المدينة الوحيدة في العالم التي لايسمح لغير المسلمين بدخولها . انظر، البتنوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ١١٣. أيضاً ، دوغوري ، جيرالد : حكام مكة ، ترجمة ، محمد شهاب ، مكتبة مدبولي ، ط١ ، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٥ .

(٥) مناسك الحج ، هي الإحرام الذي يسبقه الاغتسال ، حيث ينوي فيه الحاج نية الإحرام ، ويكون في مكان محدد لذلك ، ثم طواف القدوم ، بعد ذلك يأتي السعي مابين الصفا والمروة ، بعدها الوقوف في عرفات ثم المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف. وفي النهاية طواف الوداع . وكل تلك المناسك لها أوقات محددة للقيام بها . انظر ، الغزالي ، محمد : إحياء علوم الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، خمسة أجزاء ، ج١، ص ٢٢٥ - ٢٣٥.

(٦) العظمة ، عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً- طريق الإياب من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

بعد أن يؤدي الحجاج مناسك الحج ، والإقامة في مكة مايقارب عشرة الأيام ، تتجهز قوافل الحج للعودة إلى ديارها ، ومن بينها قافلة الحج الشـــامي التي سلكت عدة دروب ، وذلك حسب الوضع الأمني الذي يفرض عليها. وهذه الدروب هي السلطاني ، الغاير ، الشرقي ، الفرعي ، الغزاوي .

أ-الدرب السلطاني : اعتبر هذا الدرب أحسنَها وأكثرها ماءً ، وقـــدرت عـــدد منازله بحوالي اثنتي عشرة منزلة(انظر ، الشكل رقم ٨) ، وعدد ساعات السير مئة وسبع ساعات ، والمنازل التي تمرّ بها القافلة في هذا الدرب هي:

١-وادي فاطمة : تبعد هذه المنزلة عن مكة مسافة ست ساعات ســـيراً بالجمال[١]، وتشتهر بعيونها الجارية ، وحدائقها وبســـاتينها اليانعـــة التي تشمل النخيل وسائر الأشجار الأخرى. وكان يقام فيهـــا ســـوق كبير تنشط حركته بشكل كبير. حين وصول الحجاج إليها ، لشرائهم مايحتاجونه من مستلزمات [٢].

٢- عسفان (بئر عسفان) : تبعد اثنتي عشرة ساعة عن وادي فاطمة ، ومياه هذه المنزلة رقراقة عذبة حلوة المذاق[٣].

٣ -خليص : يصل اليها الحجاج بعد مسير ثماني ساعات من عسفان[٤].

٤- قضيمة : مابينها وبين خليص مسافة تسع ساعات مسيراً .

٥- رابغ [٥].

٦- مستورة : تبعد ست ساعات عن رابغ ، سيراً بالجمال، وتقع في

---

(١) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٦.

(٢) البتوني، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٦٩.

(٣) يوسف ، عواطف محمد : مرجع سابق ، ص ٣٣٣. أيضاً ، جلبي ، أوليا : مصدر ســـابق ، ص ١٠٦ حاشية .

(٤) الموسي ، محمد بن عبد الله الحسيني : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٤٣. أيضاً ، العلي ، صالح أحمد : مرجع سابق ، ص ٢٦٣.

(٥) يوجد في قرية رابغ العديد من المزارع والنخيل والماء ، وتعتمد على مياه السيول. وكان يعقد فيها سوق كبير وقت الحج ، وهي ميقات الحج المصري ومن يأتي معهم ، فيحرم الحجيج هناك في موضـــع يقال له الجحفة . انظر ، عمر ، سميرة فهمي : مرجع سابق ، ص ٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

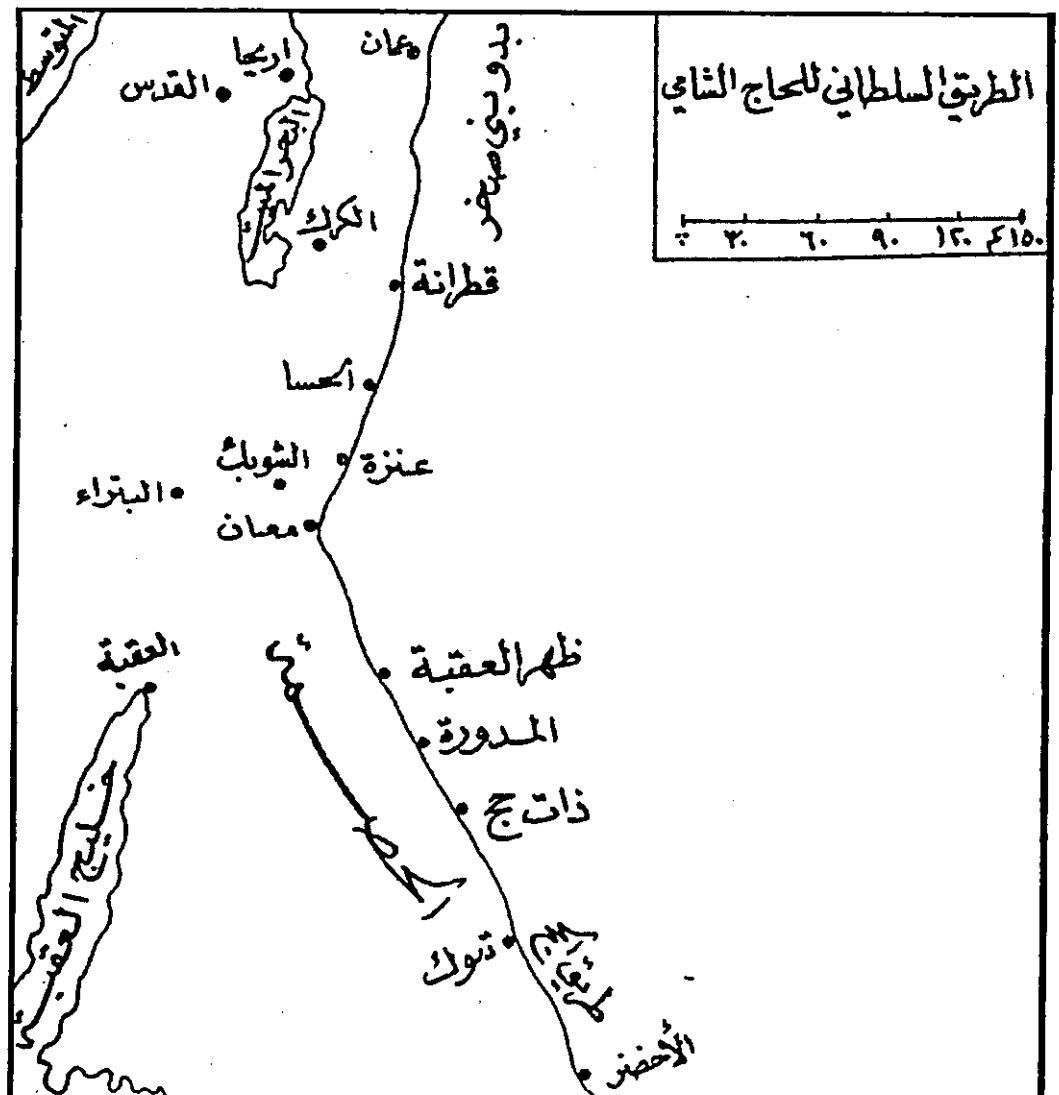

الشكل رقم (٨)

المصدر: بلاد الشام ومصر، عبد الكريم رافق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منطقة صحراوية تسمى (منخفض ميمون)، وفيها بئران أحدهما عذب المياه والآخر مالح[١].

٧- بئر الشيخ : يحتاج الحجاج حتى الوصول إليها من مستورة ، اثنتي عشرة ساعة. فيها نبع مياهه عذبة يَرِدُه الحجاج مع رواحلهم. وتسكن هذه المنطقة قبائل صبح [٢].

٨- سفرا : تبعد عن بئر الشيخ ، اثنتي عشرة ساعة ، وبين هاتين المنزلتين بئر يسمى بئر حصاني ، يمر عليه الحجاج للتزود بالماء[٣].

٩- الحمراء : فيها مياه جارية عذبة وبساتين ونخيل ، ويكثر فيها البرتقال والليمون والموز. ويزرع فيها الكثير من الخضراوات. وعند هذه المنزلة ، ينحرف الطريق قليلاً نحو الشمال الشرقي ، ومن ثم يتجه شرقاً[٤].

١٠-الجديدة : قرية صغيرة فيها ماء يقصدها الحجاج للراحة ولأخذ مايحتاجونه من الماء . ومن هذه المنزلة ، يتجه الطريق قليلاً نحو الشرق[٥].

١١- بئر درويش: يسكن هذه المنطقة قبائل الأحامدة والرّحلة ،وفيها آبار مياه تزوّد الحجاج بما يحتاجونه من الماء.

١٢-آبار علي: وهي على مسافة نحو خمسة كيلو مترات من المدينة المنورة.

١٣- المدينة المنورة : وبهذه المنازل يكون الطريق السلطاني قد وصل إلى المدينة المنورة .

ب- الدرب الفرعي :

١- مكة المكرمة .

٢- وادي فاطمة .

٣- عصفان .

---

(١) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٦.

(٢) البتنوني ، محمد : الرحلة الحجازية : ص ٢٧٠.

(٣) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٧.

(٤) البتنوني ، محمد الرحلة الحجازية ، ص ٢٧٠.

(٥) جلبي ، أوليا : مصدر سابق ، ص ١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- خليص .

٥- قضيمة .

٦- رابغ : هذا الدرب يبدأ من رابغ متجهاً إلى الشمال الشرقي ، ويمر بالمنازل والمحطات التالية .

٧- وادي حرشان : تحتاج المسافة من رابغ إلى وادي حرشان ، من الحجاج، ثماني ساعات ، مسيراً .

٨- نقر الغار : الدرب إليها عبارة عن ممر حجري ضيق ، تمر فيه الجمال، جملاً تلو الآخر. ويسكن هذه المنطقة بنو سالم من قبيلة حرب[١].

٩- بئر رضوان : وهي تبعد عن رابغ اثنتي عشرة ساعة ، مسيراً. امتازت هذه المنزلة بعذوبة مياه آبارها التي يتزود منها الحجاج بالماء ، ويتابعون مسيرهم[٢].

١٠- أم ضباع .

١١- الريان : (الرياض) ، ماء هذه المنزلة عذب ، وفيها شجر كثير ، يقطنها بنو عوف[٣].

١٢- الغدير : الدرب إلى هذه المنزلة ، أكثره سهل وعظيم الاتساع. صالح للزراعة إلا في القسم الأخير منه، إذ توجد بعض المصاعب صعوداً وهبوطاً، وكذلك تعاريج كثيرة. وفي هذه المنزلة ، بركة ماء يستريح حولها الحجاج ، طولها مئة متر وعرضها عشرة أمتار وعمقها متران[٤].

١٣- وادي المُعظّم : مابين الغدير وهذه المنزلة مسافة اثنتي عشرة ساعة، سيراً ومياه هذه المنزلة عذبة [٥] .

١٤- بئر الماشي : منطقة ذات ماء حلو وغزير ، ويقطنها بنو عوف[٦].

---

(١) البتوني ، محمد : المصدر السابق ، ص ٢٧٠ و ٢٧١.

(٢) المرسي ، الصفصافي أحمد : مرجع سابق ، ص ١٤٥.

(٣) البتوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٧١.

(٤) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج١، ص٣٧٩.

(٥) الغنيمي ، مازن : مرجع سابق ، ص ١٣٠.

(٦) البتوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(يتم التركيز على وجود الماء وعذوبته ، ووجود البرك والآبار في كل منزلة، لأنه من المعروف بأن الماء شيء ضروري للمسافر ، وخاصة إذا كان المسير في صحراء قاحلة ، ولمسافة طويلة).

١٥- آبار علي .

١٦- المدينة المنورة : وبذلك يكون هذا الدَّرب قد انتهى بعد أن يكون قد قطع الحجاج فيه مائة وتسعَ عشرةَ ساعة ، مسيراً مابين مكة والمدينة .

ج- درب الغـــاير . ٦٤٣٣٠٠

كانت المسافة عبر هذا الطريق ، تقطع في خمسة أيام تبدأ من مكـــة إلـــى المدينة المنورة ، مروراً بالمحطات السابقة حتى وصولها إلى رابغ ، ومنها تتجـــه إلى الشمال نحو جبل الغاير ، إلا أن هذا الدرب جبلي كثير المطـــالع والمنـــازل. وهذا ما جعله صعب المنال بالنسبة للجمال التي غالباً ما تكون مُحملة بأشياء ثقيلة، تجعل السير متعباً. كما أن كثرة الجبال تجعله مرتعاً لقطاع الطرق والأشـــقياء ، مما يدفع الجّمالة إلى الابتعاد عنه وعدم سلوكه. وقد سمي هذا الدرب بالمدني، لأن أهل المدينة المنورة يسلكونه في حجهم لقربه ، ويسيرون فيه على شكل قوافـــل ، ولهم منازل ينزلون فيها [١].

د- الدرب الشـــرقي .

يربط هذا الطريق المدينة المنورة بمكة المكرمة ، وهو طريق كبير ومتسع إلى حدٍ ما. ومن ميّزاته أنه لا يمر في معظمه بطرق جبليـــة ، بـــل فـــي مناطق صحراوية منبسطة. استخدم هذا الدرب في بعض الأحيان بدلاً مـــن الطريق السلطاني ، إما بسبب سوء الأحوال الطبيعية وإمّا بسبب الخـــوف من هجوم البدو[٢]. وهو يخرج من باب المعلى في مكـــة ، ويتجـــه إلـــى البياضة ، ثم يسير في درب شمالي متجهاً إلـــى الشـــرق ، ويمـــر علـــى المحطات التالية:

---

[١] البتوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٧٢.

[٢] القطوري، أحمد المرسي ، مرجع سابق ، ص ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- بئر البارود : وماء هذه المنزلة عذب ، وتقصده القافلة للتزود منه[١].

٢- وادي الليمون : بعد مسيرة أربع عشرة ساعةً من مكة، تصل القافلة إلى هذه المنزلة[٢]. وفي هذا الوادي ، يكثر شجر الليمون والنارنج، ويزرع فيه البطيخ والخضراوات[٣]، وفيه يعقد سوق كبير ، أكثُر باعته من مكة ، وتُباع فيه اللحوم والأرز ، مطبوخة وغير مطبوخة ، وكذلك أصناف مختلفة من الخضراوات والإبل والغنم ، وإلى غير ذلك من الأشياء التي يشتريها الحجاج . لذلك تصبح حركة البيع والشّراء فيه كبيرة ، وقت الحج [٤]. وفي هذه المنزلة ، مياه وفيرة وعذبة ، تتزود منه القافلة ماتحتاجه ، وبعدها تتوجه نحو الشمال[٥].

٣- الحفائر (الضريبة): مياه هذه المنزلة عذبة وقريبة من سطح الأرض[٦]. وفي الغالب كان الحجاج يبيتون ليلتهم فيها لذلك كان يستغل بعض اللصوص فترة الليل ، للسطو على الحجيج وسرقة ماتصل إليه أيديهم [٧].

٤- بركة زبيدة : بعد مسير اثنتي عشرة ساعةً من الحفائر يصل الحجيج إلى هذه المنزلة. وفيها يوجد بركة ماء تسمى (بركة زبيدة [٨]) طولها ٥٠ متراً وعمقها نحو ثلاثة أمتار ، وحولها عدة برك صغيرة. والغرض من هذه البرك ، تزويد القوافل والحجاج بما يحتاجونه من ماء لهم ولرواحلهم.

---

(١) البتنوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٧٢.

(٢) المنير ، محمد عارف ، مخطوط السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية الورقة، رقم ١٦.

(٣) البتنوني ، محمد : مصدر سابق ، ص ٢٧٢.

(٤) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج١، ص ٣٧٢.

(٥) القطوري ، أحمد المرسي : مرجع سابق ، ص ١٤٦.

(٦) البتنوني ، محمد : المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

(٧) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج ١، ص ٣٧٣.

(٨) بركة زبيده : يعود عهد إنشائها إلى السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد التي أمرت بتشييدها لتتجمع فيها مياه السيول في هذه المنطقة ، فتنتفع منها القوافل والمارة . انظر ، الفطوري ، أحمد المرسي ، مرجع سابق، ص ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- غدير مسلح أو(المكر والمكير): من بركة زبيدة يتجه الدرب نحو الشمال الغربي في أرض منبسطة لا يوجد فيها صعوبات ، باتجاه الغدير التي يباع فيها للحجاج الحشاش والتبن والأغنام.

٦- الهضاب : لايتوقف الحجاج فيها كثيراً لقلة المياه[١]، فتتابع القافلة مسيرها لتصل إلى منزلة صفينة .

٧- صفينة (سفينة): تسير القافلة تاركة منزلة الهضاب ، باتجاه الشمال، نحو خمس ساعات ونصف السّاعة ، ثم تتجه نحو الشمال الغربي سبع ساعات ، لتصل إلى صفينة [٢]. وهي منزلة تشتهر بكثرة النخل، وآبارها مياهها عذبة ، ويقيم الحجاج في هذه المنزلة يوماً أو يومين للراحة[٣].

٨- السويرجية (السوارقية): الطريق من صفينة إلى السويرجية سهل رملي إلا في بعض أجزائه ، فهو لايخلو من الوعورة. وفي هذه المنزلة أشجار كثيرة وبرك ماء يقصدها الحجاج للتزود بالماء [٤]. وكان للبدو المقيمين في هذه المنطقة من مطير حصة من الصرّ ، في كل عام ، يأخذونها لقاء تقديم الحماية لقافلة الحج ، وهي في منطقة تواجدهم [٥].

٩- الحجرية : من السويرجية ينطلق الركب نحو الشمال الغربي تسع ساعات ، وبعدها يتجه نحو الغرب ساعتين ونصف السّاعة ، ليصل إلى محطة الحجرية. والدرب إلى هذه المنزلة صعب ، ولا يمكن للجمال المسير فيه إلا جملاً تلو الآخر ، وذلك بمشقة وصعوبة كبيرة، بسبب انحداره الشديد ، حيث يقوم صاحب الجمل بجره ويساعده اثنان

---

(١) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج١، ص ٣٧٤.

(٢) رفعت ، إبراهيم : المرجع السابق ، ج ١، ٣٧٥.

(٣) البتنوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ٢٧٣.

(٤) المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النامية الأبدية في الرحلة الحجازية ، ورقة ٣. أيضاً ، العلي ، صالح أحمد : مرجع سابق ، ص ١٣٤.

(٥) رفعت ، إبرهيم : مرجع سابق ، ج١، ص ٣٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الرجال في سيره. وفي هذه المنزلة ستة آبار عذبة المياه ، عمق الواحدة منها سبعة أمتار ، وتُباع فيها الحشائش للحيوانات[١].

١٠- غرابة:من الحجرية يبدأ المسير نحو الشمال الغربي نحو ساعة ونصف السّاعة وبعدها إلى الشمال الشرقي ساعتين،ثم يعود مسار الطريق إلى الشمال الغربي نحو ثماني،ساعات ليصل إلى غرابة. ويكون الطريق في هذه المسافة سهلاً واسعاً، أرضه منبسطة. ويستريح فيها الحجاج بعضاً من الوقت ليتابعوا مسيرهم إلى محطة الغدير .

١١- الغدير : من غرابة يتجه الركب نحو الشمال الغربي ، ثماني ساعات ، ثم يتوجه بعد ذلك ، نحو الغرب ساعة ونصف السّاعة سيراً، ليصل إلى الغدير. وفي هذه المنزلة بركة ماء طولها ١٠٠متر وعرضها ١٠أمتار ، وعمقها متران ، وفيها مايحتاجه الحجاج ورواحلهم من طعام وشراب. وفي محيط هذه المنزلة ، ينتشر اللصوص للإغارة على ممتلكات الحجاج.

١٢- الخنق :مابين هذه المحطة والمدينة المنورة نحو اثنتي عشرة ساعةً، سيراً. وهذه آخر محطة يتوقف عندها الحجاج ، قبل الوصول للمدينة المنورة .

١٣-المدينة المنورة : وبهذه المنازل ، يكون قد انتهت الدرب الشرقية ، بعد أن يكون قد قطع ركب الحج مايقارب مائة وأربعين ساعةً ، مسيراً [٢].

هـ- الدرب الغزاوي :

في بعض الأحيان ، تضطر قافلة الحج الشامي ، حين عودتها إلى دمشق ، أن تسلك هذا الدرب ، وذلك هرباً من البدو واعتداءاتهم ، وتجنباً لبعض المخاطر التي قد تعترضها ، أو لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في أعقاب هجمات البدو[٣].

---

(١) رفعت ، إبراهيم : المرجع سابق ،ص ٣٧٨ و٣٧٩ .

(٢) المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النامية الأبدية ، ورقة رقم ، ١٦و ١٧.

(٣) مجلة دراسات تاريخية ، بحث قدمه الدكتور عبد الكريم رافق ، بعنوان ، جوانب من التاريخ العمراني والاجتماعي والاقتصادي في غزة ، العدد ، الثامن ، نيسان ١٩٨٢، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك ، وبعد منزلة ذات حج ، تحول القافلة طريقها إلى غزة[1]. وقد عرف الطريق الواصل مابين دمشق وغزة (بالطريق الغزاوي). وكان هذا الطريق أكثر أمناً لأنه يشكل جزءاً من الطريق التجاري المؤدي إلى مصر. وبمرور القافلة على غزة ، يقوم حاكمها باستقبال الحجاج وتأمين الحماية والطعام والشراب لهم[2]. ونتيجة تحويل الطريق إلى غزة ، يتأخر وصول الحجاج إلى دمشق ، عن الموعد المحدد لهم ، إذا ما سلكوا الطريق السلطاني[3]، وهذا بدوره يؤدي إلى تنشيط الحركة التجارية في غزة ، نتيجة البيع والشراء الكثير . وهو ما يعود على أهالي غزة بالفائدة الكبيرة.

رابعاً- منازل قافلة الحج من المدينة المنورة إلى دمشق .

عدد المنازل التي تمر بها القافلة /٣٥/ مرحلة وتقدر المسافة بالساعات بـــ /٣٣٤/ ساعة وهذا المنازل كالتالي .

العدد	المسافة / ساعة	اسم المرحلة
-	-	المدينة المنورة
١	٣	الجرف
٢	٢	البئر الصغير
٣	١١	بئر نصيف
٤	١٠	اصطبل عنتر
٥	١٨	هدية
٦	١٢	البراقة
٧	٦	البئر الجديد

---

(١) غزة بفتح الغين وتشديد الزاي ، بلد مشهور بالشام من أعمال فلسطين ، وتعرف بغزة هاشم ، سُميت بذلك لأن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله (ص) مات فيها وكان جاءها تاجراً. وبها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي . انظر ، النابلسي ، عبد الغني: الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، ص ٤٣٣. أيضاً ، العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص ٤٩حاشية .

(٢) البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٨٨ حاشية. أيضاً ، رافق ، عبد الكريم : قافلة الحج ، ص ١٨.

(٣) رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨	٨	بئر الزمرد[١]
٩	١٧	سهل المطران
١٠	١٠	مدائن صالح
١١	٨	جبل الطاقة[٢]
١٢	١٠	ظهر الحمراء (دار الحمراء)[٣]
١٣	٧	مفرش البرابير
١٤	١٢	المعظم
١٥	٨	جنائن القاضي
١٦	٦	وادي الأخضر(الأُخيضر)
١٧	١٣	ظهر المغر [٤]
١٨	٣	تبوك
١٩	١٢	قاع الصغير[٥]
٢٠	١٣	ذات الحاج
٢١	٨	المدورة
٢٢	١٣	بطن الغول [٦]
٢٣	٦	العقبة

---

(١) بئر الزمرد : موضع كثيرة الحجر قليلة الماء فيها قلعة ضخمة في وسطها بئر وبركة ماء يستقي منها الحجاج . أنظر ،السنوسي ، محمد : الرحلة الحجازية ، ج ٢ ، ص ٢٣٣.

(٢) جبل الطاقة هذه المرحلة صعبة جداً فيها جبال والممر فيها ضيق مع عسر الصعود إلى دعص (كثير الرمل المجتمع) الجبال وهنا ينزل أكثر الحجاج تخفيفاً على الإبل حتى لاتبرك في تلك المنطقة . السنوسي ، محمد : المصدر نفسه ، ص ٢٣٥.

(٣) في هذه النزلة يكون الطريق صعوداً لذلك يكون صعباً على القافلة . أنظر بكر ، سيد عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

(٤) ظهر المغر : الدرب هنا أكثره صعوداً للجبال وولوج بين مضائقها ويسمى هذا المكان دار المغير وظهر المغر . أنظر ، الموسوي ، محمد بن عبد الله : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥. أيضاً ، السنوسي ، محمد: الرحلة الحجازية ، ج ٢، ص ٢٤١.

(٥) قاع الصغير : وهي أول مرحلة في الأراضي الشامية . انظر السنوسي ،محمد : الرحلة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥.

(٦) تسمى هذه المرحلة أم غيلان ، وأم عياش . انظر ، السنوسي ، محمد : المصدر السابق ، ص ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤	١٢	معان
٢٥	١٠	عنيزة
٢٦	١٢	الحسا
٢٧	١٢	القطرانة
٢٨	١٤	البلقاء
٢٩	١٦	الزرقاء
٣٠	١٢	المفرق
٣١	١٠	الرمثا
٣٢	٥	مزيريب
٣٣	٧	الكتيبة
٣٤	٥	خان دنون
٣٥	٣	دمشق .

وبذلك تكون قد انتهت رحلة حجاج دمشق وغيرهم من المرافقين لها. أما باقي الحجاج من البلدان المختلفة ، فيتابعون مسيرهم على شكل قافلة ، كُل حسب وجهته. وبذلك تختلف ساعات مسيرهم حسب المسافة التي تفصلهم عن الأماكن المقدسة.

خامساً-عادات أهل دمشق في استقبال الحجاج.

جرت العادة بأن تصل قافلة الحج الشامي إلى دمشق ، في النصف الأول من شهر صفر. ولكن هذا الموعد لم يبق ثابتاً ، إذ ارتبط وصول القافلة بالظروف السياسية والأمنية والاقتصادية التي كانت تتأثر بها. وكان أمير القافلة يرسل المبشر الذي يسبق الحجاج بعدة أيام ، ليبشر بسلامة القافلة ، وبقرب موعد وصولها[1]؛ فيتجهز ذوو الحجاج وأقاربهم ، لاستقبالهم ، بحيث يقوم قسم منهم بنصب الزينات ، والقسم الآخر يذهب لاستقبال الحاج إلى خارج دمشق ، وقد يصل إلى القدم أو إلى الكسوة. ومن المواقف المضحكة التي كانت تحصل في

(١) العلبي ، أكرم حسن : دمشق في عصر المماليك والعثمانيين ، ص ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقت الملاقاة أن الذي يذهب لملاقاة ، صديقه أو قريبه من الحجاج ، ربما يخطئ الطريق أو يضل عنه ، فيصل الحاج إلى منزله ، وتبقى أفكار الناس مشوشة على الذاهب للقائه. وهنا تزغرد النساء على سبيل التفكه والممازحة فيقلن:

آوهـا دجاجتنا تقاقي

آوهـا جوّات الزقاق

آوهـا حجينا وصل

آوهـا العقبـى عنـد الملاقـي لولولـوليش[1] .

وقبل وصول القافلة إلى دمشق، تكون شوارعها تغص بالنـاس ، علـى امتـداد أميال، والجميع ينظرون بقلق حتى يطمئنوا على عودة الأقرباء والأصدقاء. وكان لدخول المحمل إلى دمشق ، مراسم احتفالية ، إذ يدخل أمير القافلة وأمامـه ٣٠٠ خيال على صهوات جيادهم ، مسلحين بأسلحة فردية وبشكل منتظم. وغالباً ما كان يرافق القافلة حين عودتها ، والي صيدا أو طرابلس. وكذلك ، كان يدخل خلفهـم كبار ضباط المدينة ، وهم يرتدون أزياءهم الخاصة المزركشة ، وخلفهـم يـدخل موكب المحمل والصنجق ، ويسير خلفه عدد من الإنكشارية . وكان أهالي دمشق يقفون يتفرجون على موكب دخول القافلة لساعات[2].وتُقام الأفراح عـدة ليـالٍ ، ويبدأ المهنّئون والأقارب والجيران بالقدوم للمباركة ، وهم يرددون " حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وتجارة لن تبور". ويقدم فيها للزائرين تمر" من المدينة وجرعة من ماء زمزم ، وبعدها يفك الحاج الأحزمة ويوزع الهدايا علـى أصـحابه وأقاربـه ومحبيه. وتختلف هذه الهدايا حسب إمكاناته المادية. وغالباً ما تكون سـبحة ، أو قنينة صغيرة من ماء زمزم ، أو مقداراً من التمر أو الحناء أو سواكاً أو خواتم[3] . وتُختتم هذه الزيارات في أكثر الأحيان ، بإقامة حفلة يدعونها المولـد ، وهـي عبارة عن اجتماع يضم أقارب وجيران وأصدقاء المحتفى به ، وذلك يكـون فـي

---

(1) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ١٦٣.

(2) see: Browne .W. G. travels Africa ,Egypt and Syria , from the year, p395-396 .

(3) العلاف ، أحمد حلمي : مصدر سابق ، ص ١٦٦ و ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

داره ، ويتم فيه تلاوة بعض آيات من القرآن ، الكريم وبعض قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتخلل الحفلة مأدبة طعام لجميع الحاضرين [١].

سادساً – القلاع ودورها في تأمين الحماية على طول طريق الحج الشامي .

لقد أشرفت الحكومة العثمانية ، بشكل مباشر ، على تأمين الحماية اللازمة. فقد كانت تعتبر حماية قافلة الحج من أولويات مسؤولياتها، وقد أشرفت إشرافا فعلياً ومباشراً على قوافل الحج التي كانت تُسير من كافة أنحاء الدولة ، بمواعيد محددة ، واعتبرت هذا العمل واجباً يقع على عاتقها باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام . وكانت الأهمية الكبيرة تُعّطى لقافلة الحج الشامي التي كان حجاج الدولة العثمانية نفسها ينضمون إليها. لذلك عملت على إنشاء الخانات والقلاع والحصون والأبراج على طول الطريق[٢] لتصبح محطات لراحة الحجاج ، ومركزاً لتخزين المؤن والمياه التي يحتاجونها[٣]. وقد وُضعت في كل قلعة حامية من الجند يختلف عددها حسب موقع القلعة وأهميتها.

وكانت كل القلاع محصنة ، مسلحة بما يحقق الأمن والاطمئنان للحجاج. وقد تم توزيعها على طول الطريق في أغلب أماكن استراحة القافلة[٤]. ومن هذه القلاع :

١- قلعة المزيريب : شيد هذه القلعة السلطان سليم سنة٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م ، لحماية الحجاج وتزويدهم بما يحتاجون. تبعد عن دمشق ١٠٣ كم جنوباً وتشمل عدة غرف علوية وسفلية ، وفي وسطها صورة مسجد معد للصلاة. وكان يستقر فيها بشكل دائم طائفة من العساكر يقودهم أغا[٥]. وبحكم موقع القلعة الهام على طريق الحج ، كان الحجاج يمكثون فيها من ثمانية أيام إلى

---

(١) كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ج٦، ص ٢٧٥.

(٢) جلبي ، اوليا : مصدر سابق ، ص ٤٤.

(٣) عمر ، سميرة فهمي علي : مرجع سابق ،ص ٢٩٠.

(٤) سجل محاكم شرعية دمشق ، رقم ١٤١ ، الوثيقة رقم ٣٠٦، تاريخها ١١٦٩هـ/١٧٥٥م ، أيضاً ، سجل رقم ١٤٤، الوثيقة رقم ٢٣٩، تاريخ ١١٦٨هـ/١٧٥٤م . أيضاً ، شعبان ، عبد المجيد : رسالة دكتوراه عنوانها ، ريف دمشق من خلال سجلات المحاكم الشرعية ١٧٠٠– ١٧٢٥، جامعة تونس الأولى ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ ، ص ٢٧٠.

(٥) شعبان ، عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خمسة عشر يوماً ، يقام فيها سوق كبير للبيع ، يجتمع فيه الحجاج مع البدو ومع التجار لبيع منتجاتهم[١].

٢- قلعة ذات الحاج : بُنيت بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م . وكان الهدف من بنائها حماية طريق الحج والحجاج. وكان يوضع فيها مؤونة يستخدمها الحجاج حين وصولهم إليها. ومن خلال أسوار القلعة العالية ، كانت الحامية المقيمة فيها تراقب الطريق ومحط نزول الحجاج وخيامهم لدرء غارات اللصوص وقطاع الطرق والبدو[٢].

٣- قلعة تبوك : يعود تاريخ بنائها إلى عام ٩٧٦هـ/ ١٥٥٩م [٣].وكان الهدف منها رد هجمات البدو ومركزاً للراحة وخزن المؤن التي يحتاجها الحجاج. وقد حرصت الحكومة العثمانية على وضع جنود تحت إمرة أمير القلعة، لحماية الطريق وقافلة الحج من اعتداءات البدو[٤]. فيها بئر من أعذب الآبار كان يُنضح منه الماء بالدواب والدواليب إلى خارج القلعة ليصب في البركة الكبيرة والواسعة [٥].

٤-قلعة الأخيضر : وهي قلعة حصينة عالية يعود بناؤها إلى عهد السلطان سليمان سنة ٩٣٨هـ/١٥٣١م . وقد أنشئ بجانبها ثلاث برك ، كانت تُملأ من بئر داخل القلعة ، وذلك قبل وصول الحجاج إليها. ومن حولها أنشئت بعض المحال ، ليباع فيها الحشيش وبعض المواد للحجاج [٦]. ووجدت قلاع

---

(١) العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص ٨ حاشية .

(٢) الحمود ، نوفان رجا : مرجع سابق ، ص ٥٠.

(٣) صحيفة الجزيرة ، العدد ١٠٨٤٧، الاثنين ٢٩ ربيع الأول ، ١٤٢٣هـ ، تصدر على شبكة الإنترنت بعنوان . www. Suhuf . Net

(٤) فالين ، جورج أوغست : مصدر سابق ، ص ١٦١. جُدد بناء القلعة في عهد السلطان محمد الرابع ١٠٤٦هـ/ ١٦٥٣م. وتتكون من دورين يحتوي الأول على فناء مكشوف وعدد من الحجرات ومسجد وبئر وهناك سلالم تؤدي إلى الدور العلوي وأخرى تؤدي إلى الأبراج التي تستخدم للحراسة والمراقبة .انظر، بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان ، القلاع والحصون ، www. Nozhty.com

(٥) النابلسي ، عبد الغني ، مخطوط الحقيقة والمجاز ، ورقة رقم ٤٨٤.

(٦) الخياري ، إبراهيم : رحلة الخياري ، ج ١ ، ص ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على طول طريق الحج الشامي ، مثل قلعة هدية و قلعة بيار الغنم و مدائن صالح ، والمعظم(انظر الشكل رقم ٩ ، ص ١٢٠) ، وجغيمان وقلعة القطرانة ومعان ، وعكا التي كانت على طريق الحج الغزاوي[١].

ومما سبق نجد أن كثرة القلاع والعناية بها يدلان على أهمية دورها الأمني في مراقبة طرق القوافل وتخزين المؤن والذخائر والسلاح ، فضلاً عن كونها رمزاً لهيبة الدولة وسيادتها .

سابعاً – البدو على طريق الحج الشامي .

١– البدو وعلاقة الدولة العثمانية بهم .

شهدت الفترة الواقعة مابين القرن السادس عشر وأواسط القرن الثامن عشر، صراعاً مريراً بين القبائل البدوية الشامية والحجازية والدولة العثمانية. وتمثل ذلك الصراع في حالات كثيرة ، حول حماية قافلة الحج الشامي من اعتداءات هذه القبائل المتكررة ، بسبب الخلاف مابين أمير القافلة وزعماء القبائل ، فيما يتعلق بالأموال التي كانت تدفع للبدو من السلطات العثمانية ، و حرمانها من نقل المؤن،وتقديم الحماية وبعض الخدمات للحجاج في المنطقة الواقعة مابين دمشق والأماكن المقدسة . وقد اتبعت الدولة العثمانية في علاقتها مع البدو ، سياسة القمع في بعض الأحيان ، والمهادنة في أحيان أخرى. وكثيراً ما كانت الدولة العثمانية تكلف ولاتها في الشام ، بمجابهتهم وردع فسادهم بالقوة ، وتوجيه حملات تأديبية ضدهم[٢] . وكانت تقوم بتعيين واحد منهم يكون بمثابة صلة الوصل بينها وبين مختلف القبائل البدوية ، ويُطلق عليه اسم شيخ عربان الشام. كما أنها سجلت تلك القبائل وحددت أماكنها وفرضت على بعضها مالاً ، إلا أنها بالمقابل كانت تدفع قدراً من المال (الصر) للقبائل الكبيرة والمتنفذة على طريق الحج [٣].

ولكن الأمور تغيرت مابين الدولة العثمانية والقبائل البدوية ، في الحقب اللاحقة، فابتداءً من القرن التاسع عشر ، خفت اعتداءات القبائل البدوية على القافلة إذ زاد

---

(١) شعبان ، عبد المجيد ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠.

(٢) رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص ١٥٥و ١٥٦.

(٣) ابن كنان : المواكب الإسلامية ، ج٢، ص ٦٤. أيضاً، الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (٩): قلعة المعظم WWW.NOZHTY.COM

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمام الدولة العثمانية بالحجّاج ، فقلت هجمات البدو عليهم نتيجة لسياستها التي قامت على كسب ودّ القبائل والاستفادة منها في نقل الحجاج. وبناءً على ذلك توطدت العلاقة بين الطرفين بعد أن كانت علاقة عدائية في أغلب الأحيان. وكانت الدولة تعتمد على بعض العشائر البدوية ، وخاصة تلك التي كانت تستقر في جنوب منطقة شرقي الأردن ، بنقل الحجاج وتقديم المؤن والجمال للقافلة . إلا أنه في بعض الحالات ، كانت بعض القبائل تهاجم القافلة ، كما حصل عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م ، عندما هاجمت قبيلة العمران (آل عمران الذين يرتبطون مع الحويطات بحلف) ، قافلة الحج ، ونهبت سراياها المتقدمة أثناء مرورها في منطقتها ، عندما كانت القافلة في طريقها من المدينة المنورة إلى دمشق . ورغم كل أساليب السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية في التعامل مع القبائل البدوية لاستمالتها وكسب ودها ، إلا أن بعضها بقي مصدر قلق لها. ولهذا ، كان أمير القافلة يضطر إلى دفع بعض المبالغ ، عندما تمر القافلة بمنطقة إحدى القبائل البدوية. فمثلاً كانت " الحسنه " إحدى عشائر عنزه ، تتلقى صرة سنوية ، تقدر بـ١٥٠٠٠درهم ، أي حوالي ألف جنيه. كما أن عشيرة الولد علي كانت تتقاضى تقريباً ، المبلغ نفسه من الدولة العثمانية. ويبدو أن عادة أخذ الأموال من الحجاج، غدت شبه دائمة وبشكل سنوي ، أذهبت القافلة أم لم تذهب. فمثلاً في عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م طالبت قبيلة حرب أمير القافلة بدفع مستحقاتها من الصرة السلطانية عن الفترة مابين ١٨٠٣- ١٨١٣م ، حيث توقفت خلالها قافلة الحج الشامي ، بسبب سيطرة قوات آل سعود على الطريق المؤدي إلى الأماكن المقدسة، مما اضطر أمير القافلة سليمان باشا إلى تلبية طلب قبيلة حرب[1].

مما تقدم نستنتج أن الحكومة العثمانية انتهجت في تعاملها مع القبائل البدوية ، سياسة متنوعة الاتجاهات ، وإن كان الأساس فيها مهادنتهم واسترضاءهم. وكان الهدف الرئيسي من هذه السياسة ، الحفاظَ على السلطة والهيبة الدينية ، من خلال

---

[1] مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد ٤، السنة ١٤٢٦هـ ، بحث بعنوان ، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج ، نشر على شبكة الإنترنت . http : www. Aldarah magazine. Com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصول قافلة الحج إلى الأماكن المقدسة ، وعودتها بسلام وهذا الأمر كان يعني الكثير بالنسبة لها.

٢- موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي.

كان الوضع الاقتصادي للبدو سيئاً بسبب الظروف الجغرافية التي قام عليها مجتمعهم (إقامتهم في المنطقة الصحراوية وقلة موارد العيش). وقد ارتبطت حياتهم وطريقة معيشتهم بتربية الحيوانات أولاً ، كمصدر للعيش، وبقافلة الحج الشامي ، ثانياً. وعلى الرغم من صعوبة الحياة التي يعيشونها ، إلا أنهم كانوا يشاركون في الحياة الاقتصادية لمدينة دمشق[١]. وكان لهم دور كبير في إنجاح سير قافلة الحج أو فشلها. فقد كانوا على علاقة مباشرة مع أمير القافلة الذي يعتمد عليهم بشكل كبير ، في تأمين الحماية والجمال لنقل الحجاج. ولكن كثيراً ما نراهم ينقضون الاتفاق بسبب أو بدون سبب ، طمعاً منهم في الحصول على أموال أكثر، وذلك إذا تأخرت الحكومة في دفع مستحقاتهم أو امتنعت عن ذلك. وهذا الأمر يشمل بدو الشام والحجاز. فمثلاً في عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تمرد الشيخ ابن رومي ، أحد شيوخ قبيلة حرب ، لأن عثمان باشا (مدير المسجد الشريف في المدينة المنورة والذي كان لرأيه وزن" عند السلطان العثماني) ، رفض أن يوقع له مباشرة ، الإعانة المالية التي أعتاد على أخذها مقابل عدم الاعتداء على القافلة، أثناء مرورها في منطقتهم. وقد استطاعت القوات العثمانية هناك ، القضاء على تمرد ابن رومي، وذلك بتدبير خدعة له ولرجاله ، تمثلت بأن يعهد إلى ابن رومي بحماية قلعة رابغ ومستودع الذخيرة الملحق بها ، مقابل تقديم الإعانات المالية التي يطالب بها. وبعد قبول هؤلاء بالعرض وتسليمهم أمور الحراسة في القلعة ، قام الباشا بنصب كمين لهم ، فقبضت القوات العثمانية على بعضهم ، وكان عددهم ٢٥رجلاً ، وقتلتهم ، مما دفع قبيلة حرب إلى التمرد وزيادة اعتداءاتها في السنوات اللاحقة ، ضد قافلة الحج ، فاضطرت الحكومة العثمانية عام١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م ، لزيادة المبلغ المدفوع لحرب إلى ٢٥٠ ألف فرنك سنوياً[٢]. أما في

---

(١) نعيسه ، يوسف : مجتمع مدينة دمشق ، ج ١، ص ٣٢٤.

(٢) دوغوري ، جيرالد : حكام مكة ، ص ٢٩٩و ٣٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلاد الشام ، فقد قامت الحكومة العثمانية في عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م ، بتكليف والي دمشق محمد رشيد باشا ، بحملة ضد قبائل شرقي الأردن ، كبني صخر، للقضاء على قوتهم ، والحد من خطرهم تجاه القافلة،حيث أصبحوا يشكلون تهديداً لسلامة الحجاج ، إلا أن بني صخر ظلوا يفرضون مطالبهم على الدولة التي كانت تضطر لتنفيذها ، تفادياً لأية مواجهات معهم ، تؤدي إلى تهديد سلامة الحجاج، أثناء مرورهم في المنطقة التي يسيطرون عليها. إلا أن الدولة العثمانية عادت إلى أسلوب الحرمان ، للضغط على بني صخر ، فقد قررت حرمان شيخها فندي الفايز من امتياز حماية طريق الحج ، بعد عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م ، مستغلّةً هجوم قبيلة بني صخر وقبيلة العدوان على منطقة الرمثا ونهبها ، لأن فلاحيها رفضوا دفع الخوة لهاتين القبيلتين ،فقام والي دمشق محمد راشد باشا[١] بتكليف من الحكومة العثمانية ، بتسيير قوة مؤلفة من كتيبة مشاة و٦٠٠جندي غير نظامي و٨٠٠ فارس ، تحت قيادة عشيرة الولد علي التي أخضعت قوة بني صخر واستولت على منابع المياه الرئيسية لهم. وقام الشيخ فندي الفايز بطلب الأمان من والي دمشق ، مقابل أن يدفع مبلغ ٢٠٠قرش ، بالإضافة إلى وضع أحد أبنائه، رهينة لدى السلطات العثمانية ، والتخلي عن امتياز تأمين قافلة الحج الشامي. وكان هذا الإجراء مؤقتاً. وبعد هذه الحادثة تحول امتياز نقل الحجاج من بني صخر ، إلى عشيرة الولد علي[٢].

مما تقدم نلاحظ أن علاقة الدولة العثمانية بالقبائل البدوية ، كانت تقف على مدى سلامة قافلة الحج. وهذه العلاقة تفرضها طبيعة الظروف ، فقد كانت سيئة أحياناً وحسنة في بعض الأحيان. وذلك كله كان في سبيل حماية وتأمين قافلة الحج التي كان من أولوياتها الدينية ، تأمين طريق الحج. ورغم كل الأعطيات التي كانت

---

(١) حكم ولاية دمشق في عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م لمدة خمس سنوات وثلاثة أشهر . انظر ، الجبر ، موفق فوزي : مرجع سابق ، ص ١٤١.

(٢) الحمود ، نوفان رجا : عمان وجوارها خلال الفترة ١٢٨١- ١٣٤٠هـ ، منشورات بنك الأعمال ، ط١، عمان ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ ، ص ١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمنح للقبائل البدوية إلا أنهم بقوا مصدر قلق لها ، وكانوا دائمـــا يســـتغلون أتفـــه الأسباب لمهاجمة القافلة ونهب ما تصل إليه أيديهم .

٣- قبائل البدو على طريق الحج الشامي.

أولاً : قبائل جنوب بلاد الشام (قبائل بادية الشام)

أ- **قبيلة الولد علي**[١] : وهي قبيلة عنزية[٢]، جاءت مـــع قـــدوم قبائـــل العنزه إلى بلاد الشام ، من الحجاز ، أوائل القـــرن الثـــاني عشـــر الهجري. وكان موضع استقرارها على طريق الحج الشـــامي ، مـــن حوران إلى وادي السرحان. وذلك بعد صراع عنيف وطويـــل مـــع قبائل السردية والصقور من بني صخر ، أصحاب تلك المنـــاطق[٣]. وفي موسم الحج كانوا يضربون خيامهم في حوران. وقـــد ازدادت فعالية قبيلتي الروله وأولاد علي ، في منتصف القرن التاسع عشـــر، فأسندت الحكومة إلى أولاد علي ، تنفيذ أعمال الحـــج [٤]فـــي تقـــديم الحماية والجمال والخدمات المختلفة لقافلة الحج ، وذلك لقاء تقاضيهم الأموال. ففي عام ١٢٩٨هـــ / ١٨٩١م ، أسندت إليهم مهـــام نقـــل الحجاج ، إذ تعهد الشيخ محمد بن دوخي بنقل الحجاج بعد خـــروجهم من دمشق ، وتزويدهم بالجمال. وكانت قبيلة الولد علي تأخذ سنوياً من الدولة العثمانية ٢٠٠ ألف قرشٍ ، وذلك مقابل تأمين ٦٥٠جمـــلاً ورجلاً من أجل حمل الشعير الخاص بقافلة الحج ، وعدم التعـــرض للقافلة حين مرورها في منطقة نفوذها . كما تعهد الشـــيخ محســـن ،

---

(١) الولد علي ، وتلفظ كلمة الولد بكسر الواو وسكون اللام بمعنى بني علي أو أولاد علي ، وهـــي عشـــيرة عنزية صغيرة ، من ضنأ مسلم من بني وهب. وأن وهباً جدهم الأكبر أعقب ولدين منبه وعلي ، فمن الولد الأول جاء آل نبهان أو المنابهة ، والخماعلة ، ومن الولد الثاني علي جاءت عشيرة الولد علي المنقسمة إلـــى الأمشطة والأيدة وهم قسمان الشماليون في بلاد الشام ، والقبليون في الحجاز ونجد ، انظر زكريـــا ، أحمـــد وصفي : مرجع سابق ، ج١، ص ٤٠٤.

(٢) البتوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص٥١. أيضاً ، فالين ، جورج أوغست : مصدر سابق ، ص ١٨.

(٣) البلادي ، عاتق بن غيث : معجم قبائل الحجاز ، المجمع العلمي ، جده ، ثلاثة أجزاء ، ج٢، ص ٧٣٣.

(٤) مجلة دراسات تاريخية ، بحث لـــ ، لندا شيلشر بعنوان: صور من حوران في القرن التاســـع عشـــر ، تصدر بجامعة دمشق ، العددان ، ٩و ، ١٠ ، تشرين الأول ، ١٤٠٣هـــ/ ١٩٨٢م ، ص ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو أيضاً من عشيرة الولد علي باستقبال الحجاج سنوياً عند المدينة المنورة ، والالتقاء بأمير القافلة الذي يحمل أموال الصرة التي سيمنحها له[١]. وقد قدرت أعداد بيوت الولد علي بـ ٥٠٠ بيت ، وكانوا يملكون حوالي ٣٥٠٠ بعير، و ٦٠٠٠شاة[٢].

ب-قبيلة السردية[٣] : من أجَلّ عشائر بادية الشام وأكرمها. وينسبها البعض إلى بني صخر الذين كانت معهم دائماً ، على عداوة وغارات لاتنقطع ، وقد تغلب على عشيرة السرحان التي كانت أقوى عشائر حوران في القرن العاشر الهجري وطردتها إلى الجوف. وقد كانت السردية تزود ركب الحج بالجمال وتحميه من تعدي اللصوص وقطاع الطرق في منطقتها مقابل مال يدفع لها من قبل الحكومة. وقد نازعتها قبيلة بني صخر على هذه الوظيفة والمورد [٤]. لقد تم إقصاء قبيلة السردية من مناطق نفوذها مرغمة ، وذلك لصالح قبيلة العنزه ، وخاصة الولد علي ، فنزح قسم منها إلى غور بيسان وسمّي أفراده هناك بالصقور. ونزح القسم الأكبر إلى البلقاء في شرقي الأردن ، حيث نشب نزاع بينه وبين بني صخر على السيادة والأرض[٥]. أما الآن فأكثر أقامة السردية داخل الحدود الأردنية ، قرب جبل العرب [٦].

---

(1) See , Burton , Isabel . the Inner of Syria Palestine, p 58.

(٢) زكريا، أحمد وصفي : مرجع سابق ، ص ٤٠٥.

(٣) إحدى قبائل بادية الشام وحوران وشمال الأردن . وكانت قبيلة السردية مثلها مثل الكثير من قبائل بادية الشام تملك الكثير من الإبل والخيل وقد اشتهر رجال السردية بفروسيتهم واعتنائهم بالخيل الاصايل ، ومن قبائلها الفوار ، الديبس ، لعون ، المدارمة ، انظر ، بحث نشر على شبكة الإنترنت.
www. Ahsab-online.com

(٤) البرزنجي ، جعفر بن حسن : مخطوط النفح الفرجي من الفتح الجتجي ، مكتبة الأسد ، رقم ٨٧٧٤و ٥٢٤١ ، الورقة ٨آ ، أيضاً ، زكريا ، أحمد وصفي : مرجع سابق ، ص ٤١٦.

(٥) الغنيمي ، مازن يوسف : مرجع سابق ، ص ٨٤.

(٦) زكريا ، أحمد وصفي : مرجع سابق ، ص ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ت-**قبيلة السرحان**[1] : يعود السرحان بنسبهم إلى قضاعة[2] وقد وصلوا من الحجاز إلى بادية الشام ، في القرن السادس عشر الميلادي. وفي عام ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م، تنازع السرحان مع السردية. وبعد قتال عنيف ، سقط خلاله عدد كبير" من القتلى ، كان النصر فيها حليف السردية ، مما أدى بقبيلتي العيس والفحلتين إلى ترك حليفهم السرحان، فتضاءلت قواهم مما اضطّرهم إلى ترك حوران ، فنزلوا في منطقة الجوف بعد أن اغتصبوه من أهله. وقد أخذت المنطقة الواقعة شمال الجوف ، اسمهم وأصبحت تدعى بوادي السرحان[3]. وينقسم السرحان إلى خمسة بطون هي: الرشيد ، الهباب ، الحمل ، المنيا ، والحمدان. وبحكم موقعهم على طريق الحج ، فقد قدموا خدماتهم لقافلة الحج ، من حماية وجمال وغير ذلك من الأمور المطلوبة من قبل أمير الحج ، لقاء مال يدفع لهم.وكذلك أخذوا الصر من الحكومة العثمانية من أجل ذلك[4].

ث- **قبيلة السلوط** : هي من أشهر القبائل الموجودة في اللجاة. عمل أفرادها بالزراعة في المنطقة التي استقروا بها[5]، ويبلغ عدد بيوتهم نحو ٥٠٠ بيت. ولهم نحو ٢٠ألف شاة و٢٥٠ بقرة و٢٠٠ بعير. وبالإضافة إلى العمل في الأراضي الزراعية ، اشتهروا بغاراتهم

---

(١) ذكر فتح الله الصايغ : أن السبب في تسميتهم ، أنه كان لهم جد قديم وكان له بنت جميلة جداً ، وكان أحد الأمراء العرب قد حضر ليطلب الزواج منها ألا أن الشيخ رفض تزويجها لهذا الأمير فقام من المجلس من غير سلام وذهب ، فسأل الشيخ عنه فقالوا إنه سرح ، يعني راح ، فانزعج منه وسماه السرحان وبقي هذا الاسم محصوراً به، وتقسمت العربان وتبعه قسم منهم وعرفوا بعرب السرحان إلى هذا الوقت . انظر، الصايغ ، فتح الله : رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية (رحلة لاسكارس) ، تحقيق ، يوسف شلحد ، دار طلاس ، ط١، دمشق ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص ٩٠.

(٢) الصباغ ، ميخائيل نقولا العكاوي : تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكار وبلاد صفد، نشره وعلق عليه ، قسطنطين الباشا المخلصي ، مطبعة القديس بولس، لبنان ، د. ت، ص ٧٩.

(٣) كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، بيروت، خمسة أجزاء ، ج٢ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٦٤٥.

(٤) البلادي ، عاتق بن غيث: مرجع سابق ، ج٢، ص ٢٠١.

(٥) زكريا ، أحمد وصفي : عشائر الشام ، ج٢، ص ٤٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبراعتهم في التعدي على القبائل والقوافل والقرى المجاورة ، لهم ونهبها[١].ومثال على ذلك أنهم في سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، قاموا بمهاجمة بعض التجار الشوام الذين تأخروا عن قافلة الحجاج ، وهم في طريق عودتهم إلى دمشق ، وفي المنطقة المعروفة باسم (دلي) الكائنة بين قرية كتيبة وقرية الشيخ مسكين. هاجمهم نحو أربعين مسلحاً بالبنادق ، من عربان السلوط ، وجرحوا عدداً منهم ، واستولوا على جمالهم وأشيائهم[٢]. ويقسم السلوط إلى فخدين:

١- السلوط القبليون أو بنو حمد ، وتقع منازلهم في الجنوب الغربي من اللجاة . وهم حوالي ٢٠٠ بيت. ويتألفون من الأفخاد التالية : العوران (أسرة الشيوخ) ، المدلحمة، والعتابقة ، الفواخرة ، الضبوب ، الرماح ، واللزوق[٣] .

٢-السلوط الشماليون أو بنو عمر: تقع منازلهم في الشمال الغربي من اللجاة. وعدد بيوتهم حوالي ٢٠٠ بيت ، ويتألفون من المراشدة ، الحجرة ، الزعران ، الصوابرة ، والسيالة[٤].

ج- **قبيلة بني صخر:** يعود بنو صخر في نسبهم ، إلى جذام من طي، القبيلة الكهلانية القحطانية المشهورة[٥]. وقد قامت هذه القبيلة وترعرعت في بلاد الجبلين ، حول جبلي ،آجا ، وسلمى ، المعروفة الآن بمنطقة حايل ، ثم انتقلوا واستقروا فترة من الزمن ، في منطقة العُلا. نشب قتال بينها وبين قبيلة عنزه. وهزمتها ، مما أجبر بطون عنزه على النزوح إلى شمال الجزيرة(٦). ثم انتقلت إلى منطقة البلقاء ، لكن بقاءها لم يدم

---

(١) الوثيقة رقم ٨٢ و ٢٥٨ ، عابدين القاهرة . من كتاب ، نعيسه، يوسف : المرجع في وثائق تاريخية عن الشام ، ص ١٣٠.

(٢) كحالة ، عمر رضا : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٣٩.

(٣) زكريا ، أحمد وصفي : عشائر الشام ، ج٢،ص ٤٠٣.

(٤) انظر، بحث نشر على شبكة الإنترنت ، بعنوان ، العشائر الأردنية. www. Al-Jordan. com

(٥) انظر ، بحث، بعنوان ، نبذة عن قبيلة بني صخر. www. Albadoo.com

(٦) بحث عن قبيلة بني صخر www. Albadoo.com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طويلاً لعدم ترحيب القبائل الأخرى بها ، وعلى رأسها قبيلة العدوان التي كانت صاحبة السيادة في هذه المنطقة ، لذلك اتجهت إلى فلسطين ، وأقامت هناك فترة من الزمن ثم عادت إلى البلقاء. وفي هذه المرة، تحالفت مع قبائل العدوان والغزاوية والقريحات وشكّلت معها سداً أمام اختراق القبائل البدوية للبلقاء. وصار شيخ بني صخر يلقب بسلطان البرية[1]. واستغل بنو صخر موقعهم على طريق الحج ، وأخذوا يعترضون الحجاج ويهاجمونهم ويقتلونهم وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم من قوافل التجار والحجاج على حدٍ سواء، مع أنهم كانوا يقدمون الجمال لنقل هؤلاء الحجاج ، لكن ذلك لم يمنعهم من مهاجمة قافلتي الحج والجردة ، كما حصل في سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م(٢) ، حيث لم يحدث مثل هذه الكارثة قبل ذلك ، في العهد العثماني. وقد تركت هذه الحادثة جرحاً عميقاً لدى الشاميين الذين تناقلوا أخبارها بحزن شديد على فقدان من قتل من سكانها الذين كانوا مع القافلة. وكان لهذه الحادثة ، أثرها العميق على عاصمة الخلافة العثمانية اسطنبول (٣). وإثر هذه الحادثة ، تعرض بنو صخر إلى انتقام والي دمشق وأمير الحج عبد الله باشا الجته

---

(١) الزركلي ، خير الدين : عامان في عمان ، مذكرات عامين في شرق الأردن ، مكتبة العرب ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ص ٩١.

(٢) قامت قبيلة بني صخر في عام ١٧٧٥م بالهجوم على قافلتي الحج والجردة ، بين منزلتي القطرانه ومعان وكبدت القافلتين خسائر كبيرة في الأموال والأرواح وكان من بين القتلى أخت السلطان العثماني. وقد وصف البديري هذه الحادثة بقوله: أخبروا انهم (أي البدو) يشلحون الرجل ويفتشون تحت إبطيه ودبره وفمه وتحت خصيتيه ، وإن وجدوا الرجل كبيراً بطنه أو له قرّ أي قيلة شقوا بطنه وبقروا قره ، أي قيلته ، ويدخلون أيديهم في دبر الرجال وفي فروج النساء. وقد كانت المرأة تضع الطين على قبلها ودبرها ستراً لعورتها فيكشفونه. وحاصله أنه صدر من العرب أمور ما سمعت من قديم الزمان ولا من عُباد الأوثان والصلبان. ثم ما سلِم من التشليح إلا الذين هربوا أمام الحج . انظر ، البد يري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٢٤٨و٢٤٩.

(٣) يعود السبب الذي أدى إلى هجوم البدو على قافلة الحج ، إلى امتناع حسين باشا عن دفع مال الصر إلى البدو ، في وقت كان البدو يعانون فيه شدة القحط وجفاف المياه وقلة المرعى. واستبعادُ قبيلة بني صخر عن نقل الحجاج وتأجير الجمال لهم أدى إلى خسارة لقبيلتهم ، فتحينوا الفرصة للتعبير عن احتجاجهم ، وكان لهم ذلك في هذا العام . انظر ، رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص ٣٤٣و ٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جي(١) ، اللذين هزما معاً بني صخر شر هزيمة ، وأخضعا القبائل المتمردة في الشام والحجاز ، مما أدى إلى ضعف قبيلة بني صخر وانفراط عقد حلفها، فأفسح ذلك المجالَ لقبيلة العنزه للتغلب عليها وإجبارها على الرحيل إلى جنوب عمان وغزة(٢). وتحالفت قبيلة بني صخر مع ظاهر العمر[٣] وشاركت في حروبه وأمدته بالرجال ، ثم انقسمت إلى فخدين كبيرين ، الأول، الطوقة. ومنهم ثلاثة بطون : الخضير ، الغبين ، والفضل . والثاني ، الكعابنة. ومنهم الجبور والخريشة(٤).

ورغم كل الأفعال التي قامت بها قبيلة بني صخر ، فقد ظلت المصدر الرئيسي لإمداد الحجاج بالجمال ، حيث شهدت فترة ثمانينات القرن التاسع عشر ، علاقة مميزة بين الدولة العثمانية وهذه القبيلة وخاصة بعد

---

(١) عبد الله باشا بن إبراهيم الشهير بالجته جي ، الحسيني الجرمكي ، نسبة إلى جرمك من أعمال ديار بكر. وُلد في بلدته المذكورة سنة ١١١٥هـ ، وجدَّ في تحصيل العلوم وقطف من زهورها أحسن قطف . تولى منصب طرابلس ثم حلب. وبعدها ولي دمشق عام ١٧٥٨م ، وقاد قافلة الحج الذي أمن سلامتها في الذهاب والإياب. وفي حجه الثاني ، وهو في مكة ، عُزل شريفها مساعد وعُيّن بدلاً منه أخوه جعفر بن سعيد . وعند عودته إلى دمشق ، نادى في الشام برفع الظلم والعدوان والعدل بين الحكام والرعايا. وصار يتبدل ويختفي ويدور في شوارع الشام وأزقتها ، لرفع الظلم وإحلال الأمن فيها . انظر ، المرادي ، محمد خليل : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، تحقيق ، أكرم حسن العلبي ، دار صادر ، أربعة مجلدات ، المجلد الثاني، ط١، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص ٩١و٩٢. أيضاً، البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٢٥٩.

(٢) بعد أن استوطن بنو صخر في جنوب عمان وغزة اتحدت قبيلتهم مع قبيلة الوحيدات وقامتا بتهديد قافلة الحج المصري وجُردتها ، سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م، وقتلتا أمير الجردة موسى باشا المعراوي ، فخرج إليهم حسين باشا المكي أمير غزة فقتل منهما عدداً كبيراً ونهب أبلهما وخيولهما ، فعادتا إلى البلقاء فقيرتين ضعيفتين . انظر ، كحالة ، عمر رضا : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٦٣٤.

(٣) الشيخ ظاهر العمر الزيداني من الشخصيات البارزة في تاريخ سورية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كان ينتمي إلى قبيلة بفلسطين تدعى الزيادنة. نال ولاية طبرية ، وتحالف مع قبيلة بني صخر ، وضم إليه عكا وحيفا وصفد. ولقب بشيخ مشايخ صفد ، فقلقت الدولة لاتساع سلطانه فألبت عليه ولاتها في سورية. تحالف مع علي بك الكبير ، وتم القضاء عليه سنة ١٧٧٥م . انظر ، البديري ، أحمد : مصدر سابق ، ص ٩٦و٩٧.

(٤) كحالة ،عمر رضا : المرجع السابق ، ص ج٢، ص ٦٣٥. أيضاً، بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان قبائل عربية ، ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول ، موقع أسرة آل بوازير العباسية الهاشمية ، عنوان الموقع . www. Bawzir.com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تولي سطام فندي الفايز ، زعامة بني صخر سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م ، إذ كان على علاقة جيدة مع الحكومة العثمانية وولاتها في الشام. ومكافأةً له حصل على لقبين، وهما باشا وأغا. ولكل اسم أو لقب راتب شهري(١). وبذلك أصبح بنو صخر مسؤولين عن أمن طريق الحج ومنازله، وحماية الحجاج. كما التزموا بتقديم جمالهم للقافلة ، بالإضافة إلى تكفلهم بنقل المؤن والذخائر من المزيريب حتى القطرانة ، مقابل مبالغ نقدية، كانوا يأخذونها بالإضافة إلى الصرة السنوية(٢).

د-قبيلة بني عطية : تعود قبيلة بني عطية في نسبها ، إلى معاذ من نسل أسد بن ربيع العدنانية. وكان لمعاذ ثلاثة أخوة ، عطية وعقيل (عقيلان) ، وخميس . وكان عطية الأكبر ، وأولاده الأكثر ، لذلك تغلب اسم بني عطية على عموم أبناء معاذ ، وصار يطلق على الجميع، اسم العطاونة [٣].

وكانت منطقة استقرارهم حول تبوك ، وفي مناطق من الأردن حتى الكرك[٤]. وتبدأ ديار قبيلة بني عطيّة ، من السفوح الجنوبية لحرة الرهاة ومحطة الحمراء، ثم تمتد شمالاً إلى شرق تبوك وغربها. وفي الشرق، تصل إلى جبال الفرول وقرية القلبية ، وغرباً حتى المنحدرات الشرقية لسلسلة جبال حسمى ، وشمالاً إلى وادي الأتم في الشراة[٥].وبحكم وقوعها على طريق الحج الشامي ، وسيطرتها على القسم الممتد من معان إلى بركة المعظم[٦] ، وهي موقع قريب من طريق الحج ، فإن أفرادها كانوا يقومون بالسطو والهجوم على قوافل الحج والتجارة. لذلك

---

(١) انظر، بحث نشر على شبكة الإنترنت ، بعنوان ، نبذة عن قبيلة بني صخر الطائية. عنوان الموقع . www. Albodoo.com

(٢) انظر ، شبكة الإنترنت ، بحث بعنوان ، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي ، مرجع سابق .

(٣) أما في مصر فقد سميت قبيلة بني عطية بالمعازة . انظر ، الطيب ، محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية ، دار الفكر العربي ، ط٢، مصر ١٩٩٧م، ص ٣١٥.

(٤) أوغست فالين ، جورج : مصدر سابق ، ص١٥٣.

(٥) الطيب، محمد سليمان : مرجع سلبق ، ص ٢٥٧.

(٦) أوغست ، فالين جورج: مصدر سابق ، ص ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصصت لها الحكومة العثمانية مبالغ مالية سنوية ، وذلك للحد من خطرها واتّقاء هجومها على قافلة الحج والمستودعات والخانات التي كان توضَعُ فيها المؤن والمواد لتمويل القافلة[١].

وانقسم بني عطية إلى ثلاثة فروع وهي: العطيات ، العقيلات ، والخميسات. ولكل منها فروع وأقسام عديدة وكثيرة [٢].

ثانياً- قبائل الحجاز:

أ- **قبيلة بلي** : تنسب قبيلة بلي إلى بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة. ومكان انتشارها في شمال الحجاز ، حيث تبدأ ديارها من حدود تبوك إلى محطة العُلا ودار الحمراء وما جاورها شرقاً ، ومن بلدة الوجه على ساحل البحر الأحمر ، إلى بلدة أملج جنوباً. ومن الشمال تحدها ديار قبيلة الحويطات[٣]. وتنقسم بلي إلى فخدين كبيرين ، مخلد وخزار ، ويتحدَّرُ منها العديد من الأفخاد والبطون ، ومنها المعاقلة ، الصوامعة ، الرواحلة ، القواسمة ، الزروط ، الحميطات [٤]. وجاور بلي أربع قبائل رئيسة؛ من الشرق العنزه ، وبنو عطية في الشمال الشرقي ، والحويطات في الشمال الغربي في التهائم ، وجهينة في الجنوب ، وقد استفادت بلي من تواجدها بجوار بعض منازل الحج ، في تنشيط وضعها الاقتصادي ،إذ كانت تقوم بحماية قافلة الحج ، حين مرورها في أراضيها وتمنع الاعتداء عليها. وكان لها نصيب من الصرة السلطانية التي ترسل للبدو. وكانت تقدم الجمال لقافلة الحج ، إذا لزم الأمر[٥].

ب- **قبيلة حرب** : يمانية النسب حجازية الوطن ، وتعود بنسبها إلى حرب ابن

---

(١) الطيب ، محمد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٥٧.

(٢) البلادي ، عاتق بن غيث : مرجع سابق ،ج٢، ص ٣١٧.

(٣) كحالة،عمر رضا:مرجع سابق ، ج٣، ص ١٠٤. أيضاً،الطيب ، محمد سليمان:مرجع سابق ، ص ٣١٤.

(٤) بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان ، قبائل عربية ، ج١، مرجع سابق .

(٥) البلادي ، عاتق بن غيث: مرجع سابق، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سعد بن خولان إلى كهلان ثم إلى قحطان[١]. تقع أماكن تواجدها وسكنها في نجد والحجاز ، وتمتد ديارها من جنوب ينبع إلى القُنفذه ، على محاذاة الساحل، وحول المنطقة الجبلية الممتدة من المدينة إلى مكة ، قرب جبل أبانين ثم تمتد شرقاً إلى داخل نجد ، بقرب وادي الرمان. وحَدُّها الجنوبي درب الحج من بريدة إلى مكة[٢].وهذا الامتداد جعل "حرب" تسيطر على مناطق واسعة من الحجاز وَجَعل طريق الحج السلطاني بين مكة والمدينة، يخضع لزمامها ، ولم يعد بإمكان أي قافلة المرور من هذا الطريق ، من دون دفع الخوة [٣]. وحين كلفت الدولة العثمانية محمد علي باشا بالقضاء على الحركة الوهابية ، وقفت قبيلة حرب إلى جانبه وساندته في دخول مكة[٤] .وقد أدركت الدولة العثمانية خطورة قبيلة حرب ، لذلك خصصت في سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٨م ، قوة رافقت القافلة مكونة من ٥٥٠ شخصاً من الخيالة، من بينهم ١٥٠ شخصاً على الهجن و ٢٠٠ من الضبطية الخيالة ، بالإضافة إلى مدفعين جبليين. وكان هدف هذه القوة التصدي لأي اعتداء تقوم به قبيلة حرب ضد القافلة [٥] ، وكذلك قامت الحكومة العثمانية بتكليف قبيلة حرب بحراسة وتأمين الجمال للحجاج ، وذلك لكسب ودها.وكان بعض أفرادها الذين لا يملكون جمالاً يفتحون مقاهي على طريق الحجّ ، وبعضهم كان يبيع علف الجمال ، كالحشيش والنوى وغيرها ، ومنهم من كان يروي الحجاج أو يقوم بجمع

---

(١) البلادي ، عاتق بن غيث: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) كحالة ، عمر رضا : مرجع سابق ، ج١، ص ٢٥٩.

(٣) اشتهرت قبيلة حرب بكثرة تعديها على القوافل ، سواء عندما كان الصر ينقطع عنها أو عند خلافها مع أشراف مكة. فحينما وصل عبد الله باشا الجته جي والي دمشق١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م، إلى المدينة المنورة التقى مع رسول حرب وعاتبه على قطع الطريق على الحجاج. وكان الرسول قد أخبره أن السبب هو سوء معاملة شريف مكة لهم وحرمانهم من حقهم ، وأنهم يبذلون كل جهودهم في سبيل راحة الحجاج. لكن عبد الله باشا الجتة جي استغل هذه المناسبة ليثأر من إهمال حرب في حماية الحجاج وتمرّدها على شريف مكة، فوجه لها ضربة موجعة وقاسية تمكن فيها من قتل زعيمها عيد ، وعدد كبير من رجالها وعين عليها بمشورة شريف مكة أميراً جديداً . انظر، رافق، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص ٣٥٦و ٣٥٧.

(٤) مخطوط ، بالوشي والطراز في فتح الحجاز ، الورقة رقم ٢٢.

(٥) جريدة الأمة ، العدد ٣ ، يوم الأثنين ، ٦ كانون الأول ، دمشق، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. أيضاً ، انظر شبكة الإنترنت ، مجلة دارة عبد العزيز ، مرجع سابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحطب لبيعها لهم . وهكذا ، لم يكن ينتهي موسم الحج، حتى تكون بيوتهم قد تحولت إلى مستودعات من المؤن. وبهذا كانوا يجنون فائدة وربحاً كبيرين في موسم الحج[١].

ت- **قبيلة مطير** : تنسب هذه القبيلة إلى مطير بن علي بن عثمان بن أبي بكر الحكمي. وهي بطن من مذحج من كهلان القحطانية [٢]. ومنطقة انتشارها شرق المدينة المنورة شمالاً إلى نجد ، وجنوباً إلى الصفينة[٣] . وقد قدر عدد بيوت مطير بـ ٥٠٠٠ بيت ، وتنقسم إلى ثلاثة بطون رئيسية وهي : عبد الله ، وعلوى ، وبرية . وقبيلة مطير شأنها شأن القبائل البدوية الأخرى الواقعة على طريق الحج ، كانت تأخذ الصر من الحكومة العثمانية ، لقاء حماية القافلة ، وعدم التعرض لها ، حين مرورها في أراضيها[٤].

مما تقدم نجد أن اهتمام الدولة العثمانية بقافلة الحج ، ازداد سنة بعد أخرى ، وأن عدد المرات التي كان يعتدي فيها البدو على قافلة الحج ، قد تراجع في القرن التاسع عشر ، قياساً بالقرون السابقة. ولم تكن هذه الاعتداءات ذات تأثير كبير على القافلة ، كما كان سابقاً. وهذا يعود إلى أن العثمانيين استطاعوا إحكام سيطرتهم إلى حد ما ، على طريق القافلة. كما توثقت علاقتهم بالقبائل البدوية، وخاصة القوية منها ، كقبيلة بني صخر وقبيلة الولد علي ،لدرء خطرها وتقديم المساعدة في حفظ الأمن ، على طول الطريق ، ولِلَجْمِ خطر الصغيرة منها. وقد كان لقبائل البدو الواقعة على طريق الحج ، الدور الكبير في وصول قافلة الحج سالمة ، إلى الأماكن المقدسة ، وعودتها إلى دمشق ،إذ كانت تقدم العديد من الجمال لها وكانت كل قبيلة تحرص على تأمين القافلة في منطقة نفوذها ، مقابل مال يدفع لها يسمى الصر. وإذا ما امتنع أمير القافلة عن إعطائهم الصر ، كانوا يهاجمونها ويعتدون عليهما ، ويسلبون كل ما تصل إليه أيديهم.

---

(١) الطيب ، محمد سليمان : مرجع سابق ، ص ٨٤٤.

(٢) البلادي ، عاتق بن غيث : مرجع سابق ، ص ٤٧.

(٣) البتنوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ٥٢.

(٤) مجلة العرب : بحث بعنوان ، مطير بطونها وبلادها ، عبد العزيز بن سعيد المطيري، تصدر عن دار اليمامة للنشر ، السعودية ، الجزء التاسع عشر ، أيلول ، سنة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٦٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الفـــصل الرابـــع))

المتغيرات التي أثرت على قافلة الحج الشامي .

أولاً- قافلة الحج الشامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

أ- الحركة الوهابية "السلفية " وتأثيرها على قافلة الحج الشامي.

ب- الحكم المصري للشام وموقفه مـــن قافلـــة الحـــج الشـــامي ١٨٣١- ١٨٤٠م .

ثانياً- قافلة الحج الشامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . دراسة في المتغيرات التي حصلت .

أ – قناة السويس وأثرها على قافلة الحج الشامي.

ب- إنشاء سكة حديد الحجاز ومدى تأثيرها على قافلة الحج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً- قافلة الحج الشامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر .

أ- الحركة الوهابية (السلفية) وتأثيرها على قافلة الحج.

ظهرت هذه الحركة في شبه الجزيرة العربية ، في منتصف القرن الثامن عشر[١]. وتنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان[٢]، الذي تعمق بدراسة الدين ،وسافر إلى عدة بلدان طلباً للعلم ، وبعد عودته ، هاله ما رآه وسمع به في بلاد العرب والإسلام ، من انتشار الكثير من البدع والمنكرات التي تخالف تعاليم الإسلام [٣]؛ لذلك دعا إلى نبذ البدع[٤] والعودة إلى بساطة الإسلام الأولى، وعبادة الله وحده ، وعدم الإشراك به ، والعودة إلى السنة الصحيحة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم [٥] ، وأختار الدرعية لتكون مركزاً لدعوته. وقد قويت الحركة عند اعتناق ابن سعود للدعوة الوهابية ، وكان ذلك بداية لانتشارها في باقي بلاد الحجاز، وكذلك وقوفها في وجه الدولة العثمانية. وقد بسطت هذه الحركة نفوذها على بلاد الحجاز واستولت على مكة المكرمة في عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. وفي عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م دخلت المدينة المنورة وانضمت إلى سلطة ابن سعود[٦].

---

(١) نعيسه ، يوسف و صالح ، محمد حبيب : تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان) ، مطبعة الداودي ، دمشق ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص ١٩١. أيضاً ، مجلة الفكر ، العدد ٢٨، تصدر عن معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٨٨.

(٢) محمد بن عبد الوهاب ولد في بلدة العيينة التي تقع بالقرب من مدينة الرياض ، وتتلمذ على يد والده الذي كان قاضياً في بلدة العيينة ، وكان يقوم بتدريس التفسير ، والحديث والفقه . وقد أتم محمد حفظه للقرآن عندما كان عمره عشر سنوات . سافر إلى عدة بلدان طلباً للعلم والمعرفة . انظر ، الزيدي ، مفيد : موسوعة التاريخ الإسلامي ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، عمان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣، ص ١٦٤. أيضاً ، الشيخ ، رأفت : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣، ص ١٠٠.

(٣) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، ثلاثة أجزاء ، ج٣، د. ت ، ص ١٥٩٥. أيضاً ، مجلة الفكر العربي ، العدد ٥١، ص ١٩٧.

(٤) ومن هذه البدع ، زيارة القبور والأضرحة والتبرك بأصحابها ، تقديس الجماد والنبات ، الأدعية والتصوف ، محمل الحج وما رافقه من أبهة وزينة ومراسم احتفالية ، بناء القباب على الأضرحة . انظر ، الزيدي ، مفيد ، مرجع سابق ، ص ١٥٣.

(٥) إسماعيل ، حلمي محروس: العسكر في بلاد الشام ، ص ٨٢و ٨٣.

(٦) الشيخ ، رأفت : مرجع سابق ، ص ١١٧- ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن قويت هذه الحركة ، بسيطرتها على المدينتين المقدستين ، وزيادة عدد أتباعها ، بدأت تمنع قوافل الحج من دخول مكة والمدينة ، بسبب الكثير من الأمور التي كان يقوم بها الحجاج الشوام والمصريون واعتبار ذلك ا بدعة تخالف الدين الإسلامي. ففي سنة ١٢١٧هـ /١٨٠٢م ، وجد حجاج قافلة الحج الشامي صعوبة كبيرة في دخول مكة ، وأُرغِموا على الرجوع. وفي العام التالي عادوا قبل وصولهم إلى المدينة المنورة . وكذلك حجاج مصر وإيران ، حيث منع الوهابيون دخولهم ودخول المحملين الشامي والمصري إلى أكثر من جدة [١].

وفي عامي ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ، و ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م توسع الوهابيون باتجاه العراق ، وهاجموا أطرافه . وكذلك امتدت غاراتهم إلى أطراف الشام. وقد أثر ذلك على قافلتي الحج الشامية والمصرية ، وأثر أيضاً على أهل الحجاز الذين كان اعتمادهم على قوافل الحج ، وما تدر عليهم من أرباح [٢].

ففي عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م رجع المحمل الشامي من هديه من دون أداء مناسك الحج. وذلك لأن أمير القافلة لم يقبل بشروط ابن سعود . وكذلك قام الأخير بإحراق المحمل المصري ، ومن ثم انقطع المحملان عن الذهاب إلى مكة[٣].وكان قائد القافلة في هذا العام ، عبد الله باشا العظم . فبعد أن جمع أكابر الحج واستشارهم ، أشاروا عليه بأن يرجع من غير حج . فقال لهم : " أخاف على رأسي ، وإنّ هذا الأمر ما سبق ، فأتوجه أنا وعسكري عليهم ". لكن القضاة والصرة أميني ووالدة السلطان سليم الثالث وغيرهم ، منعوه من القتال ، فرجع هو والحجاج من غير حج [٤].وفي العام الذي يليه ، جاء مرسال من قبل الوهابيين، يحمل رسالة فيها شروط قبول دخول قافلة الحجاج إلى الأماكن المقدسة. وهذه الشروط هي.

١-يجب ألا يكون أي حاج بدون ذقن (حليق).

---

(١) بيرين ، جاكلين : مرجع سابق ، ص ١٩٨. أيضاً ، لوريمر : مرجع سابق ، ج ٣، ص ١٥٩٦ .

(٢) إسماعيل ، حلمي محروس : مرجع سابق ، ص ٨٩.

(٣) البتوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، ص ١٤٨. أيضاً ، شيلشر ، ليندا : دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ص ٥٣.

(٤) العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-ألا يدخن الحجاج في الطريق .

٣-وألا يرافق المحمل والصنجق قافلة الحج [١].

وقد رفض الكنج يوسف باشا[٢] هذه الشروط ، واعتبر قبوله لهـا بمثابـة إذلال له[٣]. وفي هذا العام ، كان أمير القافلة حسن كرار أميني الذي قلده الكنج يوسـف إمارة الحج بدلاً منه وأرسل معه عدداً قليلاً من الحجاج. ولكن القافلة عادت مـن غير حج[٤].

وقد نبه تحرُّك الوهابيين وتوسعُهم باتجاه الشام ، ومنعُهم لقافلة الحج من القـدوم إلى الأماكن المقدسة[٥] ، الحكومةَ العثمانيةَ إلى خطر هذه الحركة ووقوفهـا فـي وجه المصالح العثمانية ، وتأثيرها على هيبتها في العالم الإسلامي. فقد كان مـن أولوياتها ، تأمين طريق الحج إلى الأماكن المقدسة [٦]. وبعد فشـل ولاة العـراق والشام في الوقوف في وجه زحف الوهابيين الذين بدؤوا يهـددون بـلاد الشـام والعراق ، قام السلطان العثماني محمود الثاني[٧] ، بتكليف محمد علـي باشـا[٨]

---

[١] بدر ، عبد الباسط : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ط١ ، المدينة المنـورة ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ، ثلاثة أجزاء ، ج٢ ، ص ٤٣٢. أيضا ، حنا ، عبد الله : مرجع سابق ، ص١٧٠.

[٢] أصله من الأكراد الدكه ليه وينسب إلى الأكراد الملية ، استلم ولاية الشام عام ١٢٢٢هـ /١٨٠٧م واستمر فيها ثلاث سنوات . انظر ، الجبر ، موفق فوزي : مرجع سابق ، ص ١٣٦.

[٣] رفض الكنج يوسف هذه الشروط لأن المحمل كان يمثل السيادة والسلطة للسلطان العثماني وأمير الحج ووالي دمشق .

Koury , George . province of Damascus . p. 125

[٤] العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص ١٣٨.

[٥] زكار ، سهيل : بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، دار حسـان للطباعـة والنشـر ، ط ١، دمشـق ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ١٠٨ . أيضاً ، الموسوعة الفلسطينية ، ص ٨٥٥.

[٦] الغنام ، سليمان : سياسة محمد علي التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسورية ، ١٨١١-١٨٤٠م ، المركز الثقافي العربي ، ط٢ ، المغرب ، الدار البيضاء ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ، ص ٤٠ .

[٧] السلطان محمود الثاني : ولد عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥ م ، تولى الحكم عام ١٨٠٨ - ١٨٣٩م، كان عمره وقتها أربعاً وعشرين سنة. أمتلأ عهده بالحروب والتطورات التي استنزفت معظم جهوده ، وقام بحرب ضـد روسيا انتهت بتوقيع معاهدة بوخارست عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م . أباد الإنكشارية وأقام بعدها الجيش الجديد ، وقام بتكليف محمد علي باشا والي مصر بالقضاء على الحركة الوهابية .وقام بتكليفه أيضاً بإخمـاد الثـورة اليونانية ١٨٢٧م إلا أن الدول الأوربية أوقفت محمد علي باشا بعد أن قضت على ما يقارب ثلاثين ألفاً مـن جيوشه ، وعاد السلطان لمحاربة روسيا ، وانتهى القتال بتوقيع معاهدة أدرنـة١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م . ««

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والي مصر ، بالقضاء على الوهابيين[1]. وقد لبى محمد علي باشا طلب الحكومة العثمانية ، وأرسل في البداية ابنه طوسون الذي وصل إلى المدينة المنورة سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م[2]. وقد أُرغمت بلاد الحجاز على الولاء والطاعة. وفي هذا العام وصلت قافلة من الحجاج المصريين إلى الحجاز ، من دون معارضة ومعها المحمل وجميع أبهته[3].وفي العام الذي تلاهُ ، وصلت قافلة الحج الشامي بقيادة سليمان باشا[4]والي دمشق بعد انقطاع استمر مابين عامي ١٨٠٢- ١٨١٣م ، و دخلت القافلة من دون معارضة ، ولم تعانِ أية صعوبات . وكذلك وصلت أعداد كبيرة من حجاج إيران إلى مكة ، عن طريق السويس وميناء جدة.وقد ابتهج سكان المدينتين المقدستين لعودة الحركة الاقتصادية والأرباح التي كانوا يحصلون عليها من قوافل الحج التي كانت المصدر الرئيسي لحياتهم[5]. وبعد وفاة طوسون ، تسلم

»»»واجه فيما بعد توسع محمد علي باشا الذي سيطر على بلاد الشام ، وانتهى الأمر بعقد اتفاقية لندن١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م. انظر ، الشناوي ، عبد العزيز : مرجع سابق ، ج١، ص ٥٣٤ – ٥٥٨. أيضاً ، حسون ، علي : تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، بيروت ٢٠٠٢م ، ص ١٦٢ – ١٧٩.

(٨) محمد علي باشا ابن إبراهيم خان والي مصر ، باعث النهضة المصرية المعاصرة ومؤسس مصر الحديثة، ومؤسس الأسرة الخديوية بمصر . ولد في قوله من أعمال الروملي (اليونان) سنة ١١٨٤هـ/١٧٦٩م. قدم مع الفرقة العسكرية التي قدمت إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م. وبعد خروج المصريين ، وبدهائه وخبرته ، تولى مصر ، وحصل على فرمان سلطاني بذلك. أول عمل قام به أنّه أنهى سطوة المماليك ثم وجه عنايته إلى أصلاح مصر واسترضاء الدولة العثمانية. في عام ١٨٢٣م ، فتح السودان وأخمد ثورة الوهابيين في الحجاز ، وساعد على إخماد ثورة اليونان ، ووجه حملة إلى بلاد الشام . توفي محمد علي بالإسكندرية عام ١٨٤٩م وعمره ٨٣ سنة .انظر ، حسين، أحمد : موسوعة تاريخ مصر ، مطابع دار الشعب، القاهرة ، د.ت ، خمسة أجزاء ، ص ٩١٠و٩١١.أيضاً، الاتحاد جريدة يومية ، تصدر على شبكة الإنترنت . www. Alitthad. Com

(١) الأوامر السلطانية لولاية حلب ، السجل رقم ٣٦، الوثيقة رقم ١١ ، تاريخها ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م .

(٢) الشيخ ، رأفت : مرجع سابق، ص ١٢٤و ١٢٥. أيضاً ، حسون ، علي : مرجع سابق ، ص ١٦٤و١٦٥.

(٣) لوريمر . ج.ج : دليل الخليج ، ج٣، ص ١٠٦.

(٤) سليمان باشا السلحدار ، تولى الشام لمدة ثلاث سنوات وقد دخلها بموكب عظيم سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م وفي حجه الثالث وأثناء عودته توفي في منزلة مدائن صالح ودفن فيها . أنظر ، العبد ، حسن أغا : مصدر سابق ، ص ١٥٤ و ١٥٩.

(٥) بوركهارت ، جوهان لودفيج : مواد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة ، عبد الله صالح العتيمي ، شركة العبيكان للطباعة ، ط١ ، السعودية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيادة الحملة ، أخوه إبراهيم الذي حقق انتصاراً على الوهابيين ، ودخل عاصمتهم الدرعية عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م، وأعاد حكم وسيطرة العثمانيين على الأماكن المقدسة. وبذلك تم القضاء على الدولة السعودية الأولى ، ونفوذ الوهابيين في الجزيرة العربية[١]. وكُتبت البشائر والفرمانات من الدولة العلية إلى الجهات والأقاليم الرومية والشامية وسائر الممالك الإسلامية ، وأُطلِق الإذن لمن يريد الحج إلى البيت الحرام ، إذ إنّ الطريق أصبح سالكاً وآمناً فصار، الحجاج من سائر الأجناس يتقاطرون من كل فج عميق ، أفواجا أفواجاً[٢].

وبعد هذا الانتصار لقوات محمد علي باشا ، تنفست استانبول الصعداء بحلول الأمن في الحرمين ، بعد اضطرابات استمرت فترة طويلة، وعادت الهيبة الدينية للحاكم العثماني حامي الحرمين الشريفين ، بعد أن تزعزعت. ولكن هذه الهيبة عادت لتُهدَّدَ من قبل معيدها محمد علي باشا الذي بدأ يفكر في السيطرة الكاملة على الحجاز والشام .

ب- الحكم المصري للشام وموقفه من قافلة الحج الشامي ١٨٣١-١٨٤١م .

كما رأينا ، فإنّ محمد علي باشا أنهى السيطرة الوهابية على الأماكن المقدسة في الحجاز ، وعادت قوافل الحج تسير لأداء مناسك الحج ، بجميع طقوسها واحتفالاتها التي كانت تقام، وعادت بعض جيوش محمد علي إلى مصر، ليبدأ بتوطيد حكمه وبناء أسس دولته؛ فقد قام بتجهيز وتدريب جيش حديث على الطريقة الأوربية ، وبعدها بدأ يفكر بتوسيع أركان دولته وتكوين مملكة عربية قد تضم كل الأقطار التي تتكلم بلغة الضاد[٣]. لذلك في عام ١٢١٧هـ/ ١٨٣١م قام بتوجيه حملة باتجاه بلاد الشام ، وكان عدد قوّاتها ١٦ ألف رجل، فدخلت عكا في أيار ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م ، وبعدها تابعت مسيرها باتجاه دمشق [٤] ودخلتها في ١٤ حزيران١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م عبر حي الميدان. وبعد دخول دمشق ، تابعت

---

(١) بازيلي ، قسطنطين : سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ترجمة طارق معصراني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٠٣.

(٢) مخطوط بالوشي والطراز في فتح الحجاز . الورقة رقم ٢.

(٣) نعيسه ، يوسف: مجتمع مدينة دمشق ، ج ١، ص ٤١.

(٤) شيلشر ، لندا : مرجع سابق ، ص ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقدمها شمالاً لتسيطر على حمص وحماة وحلب. وبعد الاستراحة في الأخيرة، تابعت هذه القوات تقدُّمها باتجاه أنطاكية. وبذلك تكون القوات المصرية قد سيطرت على قسم كبير من الشام [١].

وفي السنة التي دخلت فيها القوات المصرية إلى الشام ، توقفت قافلة الحج عن الذهاب إلى البلاد المقدسة. وذلك بسبب الأحوال التي ساءت كاشتداد الغلاء الذي حصل ، وقِلة الحركة على البيع والشراء. وقد اضطرب الدمشقيون من هذا الوضع[٢].ولكن إبراهيم باشا قام بالعديد من الإصلاحات والإجراءات التي تعيد الحياة إلى وضعها الطبيعي ؛ فقد فتح الباب على مصراعيه للمؤثرات الأوربية على مختلف أنواعها ، وتدفقت البضائع الأجنبية التي أخذت تنافس البضائع المحلية ، وكذلك شجع الفلاحين الذين غادروا أراضيهم على العودة إليها واستثمارها ، وكذلك استصلاح أراضٍ جديدة تعود على السكان بالفائدة[٣]. وقد تألق نشاط الإدارة المصرية في المجال الديني ، فاهتمت بأمر الإسلام والمسلمين، خاصة بعد أن أصبحت حامية للحرمين الشريفين ، فأحست أنها مسؤولة عن راحة المسلمين. وكان أول عمل أقدمت عليه هو توفير الأمان لحجاج بيت الله الحرام. لذلك قام إبراهيم باشا بالعديد من الإجراءات التي تخص قافلة الحج ؛ فقد أصلح القلاع وأحواض المياه والآبار الموجودة على طول طريق الحج ، من دمشق إلى مكة المكرمة ، وقد كانت معطلة. ومن أبرز القلاع التي تم إصلاحها الرمثة ، وعين الزرقاء والبلقاء والقطرانة ومعان . وقد أولى الحكام المصريون في الشام لقافلة الحج الشامي. أهمية كبيرة ، حيث حرصوا على سلامة القافلة ، لتعزيز وجودهم الديني في بلاد الشام لذلك أصدر محمد علي باشا فرماناً في ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، تضمن تجهيز العساكر اللازمة للمحافظة على حجاج بّر الشام ، والدفاع

---

[١] لمعرفة التفاصيل حول الحملة المصرية على بلاد الشام من انتصارات وإصلاحات وموقف الدول الأوربية منها . انظر ، نعيسه ، يوسف : تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان) ، ص ٢١٣-٢٤٠. أيضاً ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ١٩و ٢٠، نيسان- تموز، ١٩٨٥م ، ص٢٠٠.

[٢] مجهول المؤلف : مذكرات تاريخية عن حملة محمد علي باشا على سورية ، تحقيق ، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة ، دمشق ، د.ت ، ص ٤٧ و١٢٩.

[٣] مجلة دراسات تاريخية ، العدد ١٧ و ١٨ ، ص ١١٨و ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنهم وعن أمتعتهم ضد هجمات البدو[١]. وقد استمرت الحكومة المصرية بتجهيز قافلة الحج وإمدادها بالأموال اللازمة طوال فترة حكمهم لبلاد الشام. وكذلك استمرت في إرسال الصرة لسكان الحجاز وللبدو المنتشرين على طريق الحج [٢]، وقامت بتحديد أسعار الموظفين القائمين على تجهيزها[٣]، وقامت كذلك بتجهيز قافلة الجردة لملاقاة الحجاج . أما فيما يخص القبائل البدوية ، فقد قام إبراهيم باشا بحرمان بعضها من الصرة ، مثل قبيلة بني صخر وأولاد علي والحسنة ، محاولةً منه لتهديد هذه القبائل وتحذيرها من مسألة الاعتداء على الحجاز ، وبالتالي كفّ شرها. ولكنه عاد وقدّم إعانات مالية إلى هذه القبائل ، بعد قطع الصرة عنها، لتقديم بعض الخدمات للحجاج ، لذلك فخصّص مبالغ معينة لكل شيخ قبيلة . وكذلك فقد أبقى على المرتبات الخاصة بالقلاع ، ومتطلبات السفر من الشعير وقُرب الماء والشموع وغيرها مما يلزم قافلة الحج والحجاج [٤].

وبذلك ، نجد أن وضع قافلة الحج الشامي في فترة الحكم المصري للشام ، لم يطرأ عليها تغيرات كبيرة سوى أنها توقفت في السنة التي دخلت فيها القوات المصرية بلاد الشام . و قد حافظ الحكام المصريون على خروج قافلة الحج ، وكذلك على المراسم الاحتفالية التي كانت تُقام لها ، وبقيت المنازل والدروب هي نفسها مُضافاً إليها الإصلاحات التي قاموا بها على طول الطريق. وكذلك نجد أن قوة الحكم

---

(١) سالم ، لطيفة محمد: الحكم المصري في الشام ، مكتبة مدبولي ، ط٢، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٤٥، ٢٤٦. أيضاً، أنظر شبكة الإنترنت ، مجلة دارة الملك عبد العزيز ، مرجع سابق .

(٢) محافظة الأبحاث ، الوثيقة التركية رقم ٣٣٣ ، تاريخ ٢٣ ، رمضان ، ١٢٥٠هـ / ١٨٣١م . أيضاً ، الوثيقة التركية رقم ٢٨/٩٤، سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ، أخذت هذه الوثائق من كتاب ، نعيسة ، يوسف : المرجع في وثائق تاريخية عن الشام ، ص ٣٤٠ و ٣٤٢.

(٣) في عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤ م ،أثناء الحكم المصري للشام ، تم تحديد الأسعار ، وهذا التحديد لم يسلم منه مقومو الحجاج الذين أصيبوا بخسائر نتيجة تحديد أسعار النقل من الشام إلى الحجاز ، وكانت أنقص من السعر المتداول. ولكن الحكومة المصرية استمرت ببيع احتياجات المقومين من الغذاء والأعلاف بسعر التكلفة ألا أن ذلك لم يعد على المقومين بالربح الذي يرضيهم . انظر ، محافظة الأبحاث ، محفظة رقم ، ٢٤٨ عابدين ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠٦ ، ٢١ ذي الحجة سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م . أخذت هذه الوثيقة من كتاب ، بني هاني ، خالد : مرجع سابق ، ص ١٢٦.

(٤) انظر شبكة الإنترنت ، مجلة الدارة ، مرجع سابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصري للشام بقيادة إبراهيم باشا جعلته يمنع الصر عن بعض القبائل البدوية ، وإن كانت كبيرة وقوية ، وذلك محاولة منه لإشعار هذه القبائل بالخوف والريبة من القوة المصرية ولجعلهم يكفوّن عن التفكير بمهاجمة القافلة ، وإعلامهم بأن هناك حكومة قوية تسهر على أمن وسلامة الحج .

ثانياً- قافلة الحج الشامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

منذ ظهور الإسلام وفرض الحج على المسلمين ، كان التنقل إلى الديار المقدسة براً يتم على الطريق السلطاني ، وكانت وسيلة الناس في ذلك ، هو المشي. على الأقدام أو ركوب الرواحل. ويعتبر التطور المذهل الذي طرأ على وسائل النقل في العصور الأخيرة من الأمور الهامة في حياة البشرية. فقبل اختراع المحرك البخاري ، كان نقل البضائع والسلع يتم ، عبر البحار والأنهار، بواسطة السفن الشراعية ، وقبلها بواسطة مراكب مجهزة بمجاذيف. ولا شك أن التنقل وشحن البضائع بالمراكب الشراعية[1]، كانا أسرع وأقل كلفة بكثير من التنقل البري القائم على استخدام الدواب ، وما تحتاجه هذه الدواب من أعلاف، لا يمكن لها من المسير بدونها. وعلى هذا الوضع ، ظل تنقل الناس والحجاج ، حتى قامت الثورة الصناعية ، وبدأت السفن تتحرك على البخار ، بدلاً من السفن الشراعية التي بدأت تنقل الحجاج بدءاً من عام١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م. وأدى ظهور البواخر إلى التفكير جدياً بشق قناة السويس عام١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م . والتي أثرت ، بشكل كبير ، على حركة وتنقل الحجاج. والحدث الأهم والأكثر تأثيراً على قافلة الحج الشامي أنشاء سكة حديد الحجاز عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م مابين دمشق والمدينة المنورة. وبذلك انتهى طريق القوافل ، وانتهى تماماً التنقل على الرواحل إلى الأماكن المقدسة ، لأداء فريضة الحج لحلول القطار مكانها ،

---

(١) كان النقل بواسطة السفن الشراعية ، يعتمد على الأحوال الجوية ، وخاصة الرياح الموسمية ، لذلك لم يكن من السهل التنبؤ سلفاً بما سوف تستغرقه الرحلة من وقت. ففي القرن الثامن عشر مثلاً كانت الرحلة بالسفن الشراعية من اسطنبول إلى البندقية التي تبعد ٩٠٠ ميل تستغرق حوالي خمسة عشر يوماً ، إذا كانت الريح مواتية. على حين كانت الرحلة نفسها تستغرق واحداً وثمانين يوماً في الأحوال الجوية المضطربة ، لذلك كان من الصعب وضع جدول زمني لإقلاع ووصول السفينة إلى الميناء المقصود . انظر ، كواترت ، دونالد : مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولظهور السيارات والطائرات فيما بعد . وسيتم الحديث عن هذه المتغيرات بشكل مفصل ، وتوضيح مدى تأثيرها ، سلباً وإيجاباً ، على قافلة الحج.

أ- قناة السويس ومدى أثرها على قافلة الحج .

أقيمت العديد من الدراسات على فكرة أنشاء ممر مائي ، مابين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. ومن هذه الدراسات ، تلك التي قام بها الفرنسيون أثناء حملة نابليون بونابرت على مصر عام١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م . وفي عام١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م ، اقترح المهندس الفرنسي (بروسيير اتفانتان) على محمد علي باشا ، فكرة وصل البحرين . لكن الأخير رفض المشروع ، مفضلاً بناء القناطر الخيرية . وظلت الفكرة قائمة ، لكنها معلقة ، إلى أن ظهر المهندس فرديناند ديليسبس[١] الذي كانت تربطه علاقة طيبة مع سعيد باشا[٢] خلال فترة عمله كقنصل لفرنسا في القاهرة إذ استطاع ديليسبس في كانون الأول١٤٧١هـ/ ١٨٥٤م ، الحصول على امتياز بمنحه الحق المطلق بتكوين وإدارة شركة عالمية لشق قناة السويس ، واستثمارها لمدة تسْع ؛ وتسعين سنة ، على أن تقوم هذه الشركة بتمويل وتنفيذ واستغلال القناة ، وأن تمنح لها الحكومة المصرية من دون أي مقابل ، كافّةَ الأراضي اللازمة للمشروع ، مقابل حصولها على ١٥٪ من صافي الأرباح السنوية للشركة ، وعدم البدء بتنفيذ المشروع قبل الحصول على موافقة رسمية من الباب العالي ، وصدور فرمان سلطاني بذلك ، الأمرُ تم الحصول عليه في١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م. وكذلك تم اتفاق مابين محمد سعيد

---

(١) فرديناند ديليسبس : ولد في سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، وتوفي في سنة١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م ، بعد أن أكمل دراسته في فرنسا حيث كان مهتماً بالأمور السياسية . في سنة١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م صار نائباً لقنصل فرنسا في الإسكندرية ، وبعدها نقل من مصر إلى روتردام ، ومنها إلى مالطة ثم إلى أسبانيا. وفي عام١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، عاد إلى مصر قنصلاً فتبنّى فكرة شق قناة السويس وحصل على الامتياز بذلك . انظر ، أبو نصير ، محمد : قناة السويس حقائق ووثائق ، القاهرة ، د. ت، ص ٢٦.

(٢) أحد أولاد محمد علي باشا. ولد في الإسكندرية عام١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م ، وعرف بحبه للمصريين وكرهه للأتراك ، وكذلك بميله للأوربيين ، وخاصة الفرنسيين ، حيث كان على علاقة جيدة مع القنصل الفرنسي في مصر ، فرديناند ديليسبس . تولى حكم مصر عام١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م وكان عمره ٣٢سنة. انظر ، حسين ، أحمد : مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩٨٩ – ١٠٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وديليسبس على تقديم جميع العمال اللازمين للحفر من المصريين [1]. وبعد ذلك ، تم الحصول على تأييد دبلوماسي عالمي ، ثم فُتح باب الاكتتاب على أسهم المشروع التي وزعت على الشكل التالي: ٢٠٧١١١ سهماً للحكومة الفرنسية و ١٠٠٨٣ سهماً لحكومة البندقية و ١٣٥٣سهماً لحكومة بيد منت. واكتتبت الحكومتان الأسبانية والهولندية على كمية قليلة منها ، وبقي ما مجموعه ١٧٧٦٤٢سهماً ، من دون بيع ، فتعهد سعيد باشا بشرائها. بُديء العمل بحفر القناة في نيسان عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م لكن سعيداً لم ير المشروع مكتملاً لأنه توفي في عام١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م قبل انتهائه ، فتم تعيين إسماعيل باشا[2] حاكماً جديداً على مصر ، فعقد اتفاقاً مع ديليسبس على متابعة المشروع حتى النهاية . وفي كانون الأول عام١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م تم افتتاح القناة في وجه الملاحة الدولية، باحتفال كبير ، حضره عدد كبير من ممثلي الدول الكبرى ، منهم إمبراطور النمسا وأولياء عهد بروسيا وهولندا وغيرهم. وكان لافتتاح القناة ، وبدء الملاحة العالمية فيها ، تأثيرهما الكبير ، والسلبي والإيجابي ، على الأوضاع السياسية والأمنية والتجارية في مصر وبلاد الشام ويمكن توضيح ذلك بما يلي :

- كان افتتاحها سبباً في توطيد العثمانيين للأمن في إقليم الحجاز والدولة العثمانية، لوجود طريق مباشر بين ميناء الأستانة وميناء جدة ، عبر قناة السويس[3].
- أدى افتتاح القناة إلى تحول جزءٍ كبيرٍ من تجارة المرور ، بين الشرق الأقصى وأوربا ، عن دمشق ، وإلى تزايد نقل الحجاج إلى الحجاز ، بالطريق البحري[4].

---

(١) حسين ، أحمد : مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩٩٤.

(٢) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا ، تولى حكم مصر في عام١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ، كان عمره يوم ولايته اثنتين وثلاثين سنة. أعاد الحياة الدستورية إلى مصر من خلال أعادة تشكيل مجلس الشورى عام١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. كذلك أبدى اهتمامه الكبير بالزراعة. وفي عام١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م استطاع الحصول على فرمان تعديل قانون الوراثة وجعل حكم مصر وراثياً في أكبر أنجاله. قام بالعديد من المشاريع إلا أن ذلك دفعه إلى الاستدانة من الدول الأوربية ، مما أوقع مصر في أزمة مالية زادت من التدخل الأجنبي في شؤونها. قام بفتح السودان عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م لاستكمال وحدة وادي النيل. وفي عهده تم افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، عزل عن حكم مصر عام ١٨٧٩م . انظر ، حسني ، أحمد : مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠٠٩. أيضاً ، نعيسة، يوسف : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٦٦ – ٢٩١.

(٣) هريدي ، محمد عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص ٢١. أيضاً، أنيس، محمد : مرجع سابق ، ص ٢٢٤.

(٤) مجلة دراسات تاريخية ، العددان ١٧و ١٨، ص ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أدى افتتاح القناة إلى تأثر تجارة حلب ودمشق ، بانتقال عدد كبير من تجارهما إلى بيروت والإسكندرية والقاهرة وطنطا ومرسيليا وغيرها من المدن الأفريقية والأوربية والأسيوية ، وكذلك إلى تحول عدد كبير من الحجاج الذين كانوا يقصدون دمشق من الروم وغربي أسيا ، للذهاب إلى الحجاز ، إلى طريق البحر[١].
- ولكن فتح القناة زاد ، من ناحية أُخرى ، حجْمَ العلاقات التجارية بين دمشق ومصر ، حيث ارتبطت العلاقة سابقاً بالمتاجرة بالتبغ الذي كان يستورد من بلاد فارس ويصدر إلى مصر. واستوردت دمشق البضائع المصرية وخاصة الكتان الذي كان له سوق رائجة في بلاد الشام ، وازدادت كمية الصادرات والواردات لأنها أصبحت أكثر سهولة[٢].

من جهة أخرى أثرت هذه القناة سلباً على المدن والبلدات العثمانية التي كانت تعتمد على الطرق التجارية البرية ، وعلى مرور الحجاج منها ؛ فقد تضررت هذه المدن والبلدات وفقدت بعض مواردها ، بسبب تحول عدد كبير من الحجاج والتجار من الطريق البري إلى البحري ، عبر القناة ، وبخاصة حجاج الأناضول والبلقان[٣] ، وقد تأثرت مدينة دمشق بشكل كبير ، لأنها كانت مركز تجمع لقافلة الحج الشامي وكانت تستفيد ، بشكل كبير من موسم الحج ، حيث كان يفد إليها مابين ١٥ إلى ٢٠ ألف حاج ، ترافقهم بضائع كثيرة . وكان ينفق هؤلاء الحجاج الأموال الكثيرة فيها للتزود بالمؤن وشراء السلع واستئجار الجمال ، للوصول إلى الحجاز. وكان لقافلة الحج ، الأهمية الكبيرة في نقل البضائع؛ فمثلاً كانت قافلة الحج العائدة من الحجاز إلى دمشق في عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م ، تضمُّ ٢٢٥ حملاً من الحناء ، تزن ٢٢٥٠ رطلاً (حوالي ١٤٥٠٠كغ) ، ويقدر ثمنها بـ ١٢٠ ألف قرش فضة (ما يعادل ٣٠ ألف

---

(١) الغزي ، كامل البالي الحلبي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٢٤. أيضاً ، كرد علي ، محمد : مرجع سابق، ج٤ ، ص ٢٥٠.

(٢) مجلة دراسات تاريخية . العددان السابع عشر والثامن عشر ، ص ١٢٤ .

(٣) كواترت ، دونالد : مرجع سابق ، ص ٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرنك فرنسي) ، و٤٠ حملا من البن ، تزن ٤٠٠٠ رطل ، ثمنها١٤٠ ألف قرش ، و٢٠ حملا من نسيج هندي للعمائم ، كل حمل من بالتين ، تحتوي كل منها مائة قطعة، ثمن كل قطعة ٢٠٠ قرش ، مجموع ثمنها ٨٠٠ آلاف قرش. وقدرت الجواهر التي حملتها القافلة بما ثمنه ١٠٠ ألف قرش . وبلغ سعر ريش النعام الذي حملته هذه القافلة ١٧٠ ألف قرش ، والعطور ١٦٠ ألف قرش ، والسلع المتنوعة ٦٠ ألف قرش . وكان ثمن البضائع التي حملتها القافلة ما يعادل ١,٨٥٠,٢٠٠ قرش. أما بالنسبة للحجاج الأتراك المسافرين عن طريق البر ، فقد أخذت أعدادهم وأعداد من ينضم إليهم بالتناقص في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وذلك لاستخدامهم طريق البحر إلى الحجاز ، بواسطة السفن التجارية[١] التي كانت أكثر أماناً ، وكذلك أقل كلفة مع أن بعضهم كان يفضل طريق البر في الذهاب ، ولكن في الإياب كانوا يستخدمون الطريق البحري ، وخاصة حين يكونون محملين بالبضائع . لقد ضمت القافلة التي عادت إلى دمشق من الحجاز في عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، مائتين وخمسين حاجاً فقط. أما الباقون فقد عادوا عن طريق البحر. وقد حرمت دمشق وبلاد الشام بعامة من كثير من الفعاليات الاقتصادية التي كانت ترافق قافلة الحج[٢]. وأدى تضرر دمشق التجاري إلى تضرر الأسواق الريفية التي تتعامل معها ، وبخاصة القرى في حوران وغيرها، التي كانت تؤجر ألاف الجمال ، لنقل الحجاج ومؤنهم والقوات العسكرية المرافقة لهم . وأشهر تلك الأسواق ، سوق المزيريب التي كانت مركزاً لتجمع الحجاج ، استعداداً لانطلاقهم إلى الحجاز ، حيث فقدت قسماً كبيراً من الفائدة التي كانت تحصل عليها قبل فتح القناة[٣].

---

[١] في ذلك الوقت ، كانت أشهر شركتين تسيران مثل هذه البواخر في المتوسط هما : المسا جيري أمبريال (Messageries Imperiales) والشركة الروسية (Compagnie Russe) . انظر، مجلة دراسات تاريخية العددان ، ١٧ و ١٨، ص ١٢٥.

[٢] مجلة دراسات تاريخية ، المرجع نفسه ، ص ١٢٤.

[٣] مجلة دراسات تاريخية ، العدد الرابع ، ص ٥٥ و٥٦. أيضاً ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ، ١٧و١٨، ص ١٢٥ و١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وبالمقابل ، فقد نشطت بعض الموانئ والمدن البحرية ، نتيجة توجه التجار والحجاج إليها للسفر ، فأخذت تنشط حركتها التجارية والمرورية ، وانطلاق السفن التي بدأت تعمل على البخار ، من خلال القناة ، باتجاه الأماكن المقدسة. ومن هذه المدن والموانئ ، الأسكندرونة واللاذقية وطرابلس وبيروت التي ازدادت حركتها ونشاطها. واقتضى ذلك إنشاء طريق مابين دمشق وبيروت ، وتم افتتاح الطريق رسمياً عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ، وارتفع عدد المسافرين عليه ، من ٥٨٠٩ في هذا العام إلى ٨٤١٨ مسافراً في العام التالي.

وكذلك ، زاد نشاط ميناء جدة على البحر الأحمر الذي بدأ يستقبل أعداداً كبيرة من الحجاج والتجار. وبعد نزول هؤلاء في جدة ، يتابعون مسيرهم باتجاه مكة المكرمة ، براً ، مارين في العديد من المنازل والمحطات ، وهي رأس القائم ، الرغامة ، جراده ، قلعة الكتانة ، قلعة العبد أو قلعة سالم ، قلعة الثديين ، قرية بحرة ، الرُغاء ، بر أم القروة ، حدة (حداء) ، قلعة الشميسي ، العلمين (التي فيها يبدأ الإحرام للقادمين من هذا الدرب) ، قاعة المقتلة ، قلعة أم الدود ، وبعدها يدخل الحجاج مكة المكرمة . وقد تحسن وضع سكان هذه المنطقة لزيادة عدد القادمين عن طريق البحر ، لأنهم بدؤوا بتقديم خدماتهم للحجاج وحصلوا من جراء ذلك ، على الأرباح [١].

ب- أنشاء سكة حديد الحجاز وتأثيرها على قافلة الحج الشامي .

١- فكرة إنشاء الخط الحجازي:

رأينا ما كان يلاقيه الحجاج في سفرهم إلى الأماكن المقدسة ، لأداء فريضة الحج . وهذا ما دعا الحكومة العثمانية إلى اتخاذ التدابير اللازمة لإزالة هذه الصعوبات [٢].

بدأت هذه الفكرة في عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م ، أثناء العمل في فتح قناة السويس،

---

[١] رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٤- ٣٠.

[٢] انطونيوس ، جورج : يقظة العرب القومية (تاريخ حركة العرب) ، ترجمة، ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢ ، ص١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث تقدم الدكتور زامبل الأمريكي / ألماني الأصل / باقتراح تمديد خط حديدي يربط دمشق بساحل البحر الأحمر. ولكن هذه الفكرة لم تجد آذاناً صاغية آنذاك[1]، غير أنّها سرعان ما عادت للظهور وذلك عام١٢٩٨هـ/١٨٨٠م عندما قدم وزير الأشغال العامة في الأستانة ، مشروعاً أوسع من السابق ، يقضي بمد خط حديدي من دمشق إلى الأراضي المقدسة ، ولكن الصعوبات المادية وقفت عائقاً أمام هذه الفكرة ، بالإضافة إلى سهولة المواصلات بالوسائط البحرية، ورخصها ، ولأنّ أكثر المناطق التي سوف يمر بها هذا الخط ، تنزل فيها قبائل من البدو الرحل الذين اعتادوا السلب والنهب [2]. ورغم ذلك قُدمت للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) العديد من الدراسات بخصوص إنشاء خط حديدي لمنطقة الحجاز، فظهرت دراسة عام١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠ م تنصُّ على أن يبدأ هذا الخط من أزميت – أسكي شهر ، قونية ، حلب ، حماه ، حمص ومن شرق جبال لبنان إلى حوران إلى وادي الأردن ، ومنها إلى البحر الميت ثم إلى الحجاز.

وفي عام١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م قام والي الحجاز عثمان نوري باشا بتقديم دراسة إصلاح تخص جزيرة العرب ، تضمنت مد خط حديد وتلغراف.

وفي عام١٣٠٨هـ/١٨٩٠ م سافر القائم مقام شاكر باشا العثماني التركي ، على رأس مجموعة منطلقة من اسطنبول ، إلى جدة حيث قام بتسجيل ملاحظاته حول الطريق والحالة الصحية التي يؤول إليها الحجاج. وطلب بعد عودته ، مد خط حديدي لضمان حالة الحجاج الصحية. وفي عام١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م قدم الضابط العثماني سليمان شفيق دراسته بعد قيامه هو ووالده برحلة من اسطنبول إلى الأماكن المقدسة وتتضمن هذه الدراسة عرضاً لمد سكة حديد ، وبيّن فيها أهمية شبه الجزيرة العربية سياسياً[3]. وبقي مشروع الخط الحديدي الحجازي مهملاً إلى أن تحمس السلطان عبد الحميد الثاني لذلك ، اعتقاداً منه بأهمية الخط من الناحية

---

(١) عوض ، عبد العزيز محمد : مرجع سابق ، ص٢٨٢.

(٢) عابورة ، أحمد خير : مرجع سابق ، ص٢٩.

(٣) كرد علي، محمد : مرجع سابق ، ج٥ ، ص١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية والعسكرية والدينية[١] ، ناهيك عن تشجيع عزت باشا العابد [٢] الذي كان يحتل مركزاً مرموقاً ومكانة رفيعة لدى السلطان عبد الحميد ، فبُدىء بالاستعداد لتنفيذ هذا المشروع.

٢- أهداف الخط الحديدي الحجازي:

كان السلطان عبد الحميد يهدف ، من وراء إنشاء سكة حديد الحجاز ، الأهداف التالية:

أ- أهداف دينية: وهي من الأهداف المعلنة ، وغايتها تسهيل سفر الحجاج واختصار المسافة ما بين دمشق والأماكن المقدسة ، وأن يكون السفر أكثر راحة وأماناً[٣]. وبفضل الخط الحديدي ، أصبح الحجاج يقطعون تلك المسافة في خمسة أيام ، تقريباً. وكان الوقت الذي يستغرقه القطار ، في التحرك من دمشق إلى المدينة ، اثنتين وستين ساعة فقط. أما بقية الوقت ، فكان يضيع في وقوف القطار في المحطات وتغيير القاطرات وكان القطار يتجنب السير في الليالي المظلمة خوفاً من هجوم البدو على عربات القطار[٤].

ب- أهداف سياسية: ربط أجزاء الدولة البعيدة بالمركز استانبول، مما يساعد على نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية والسيطرة الكاملة على الولايات التي تتطلب تقوية قبضة الدولة عليها[٥].

---

[١] غولصوي ، أوفك : الخط الحديدي الحجازي ، أطروحة دكتوراه ، ترجمة، الإدارة العامة للخط الحديدي الحجازي، استانبول ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ ، ص٦.

[٢] كان عزت باشا العابد السوري الأصل أحد المغامرين الذي شقوا طريقهم ليحظى بثقة السلطان عبد الحميد الثاني. قضى ثلاثة عشر عاماً في منصب السكرتير الثاني للسلطان، وأصبح أقوى موظف في الدولة لا يفوقه في الثروة والنفوذ إلا سيده السلطان. انظر، أنطونيوس، جورج : مرجع سابق ، ص١٤١. أيضاً ، الصلابي، علي محمد: الدولة العثمانية عوامل السقوط والنهوض ، دار المعرفة ، ط١، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ص٤٦٥.

[٣] عابورة ، أحمد خير: مرجع سابق ، ص ١٠٩.

[٤] العظمة : مصدر سابق ، ص ١٩٧. أيضاً ، نيازيلا ، محمد تريان : السلطان عبد الحميد وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ ، بيروت ،١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٤٠. وأيضاً، مجلة المباحث ، العام الأول ، طرابلس الشام ، السكة الحجازية ، العدد الأول ، تشرين الثاني ، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨ م ، ص ١٨.

[٥] الشناوي ، عبد العزيز محمد : مرجع سابق ، ج٤ ، ، ص ١٣٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- أهداف عسكرية : تشديد قبضة السلطان على الولايات العربية البعيدة ، بنقل القوات والإمدادات العسكرية ، عن طريق هذا الخط ، إلى الجزيرة العربية وخاصة الحجاز واليمن[١] ؛ فتلك الولايات لم تخضع خضوعاً تاماً للسلطنة [٢].

د- أهداف اقتصادية: إحداث خط حديد الحجاز سيُحدث تغييرات اقتصادية في إقليم الحجاز وبلاد الشام ، نتيجة ازدياد عدد الحجاج والزائرين [٣] للمدينتين المقدستين (مكة ، المدينة) وسيعود بالفائدة على تجارة أهالي تلك المناطق ، ممّا سيؤدي بدوره إلى رفع نسبة المبادلات التجارية [٤]. وقد انفتحت المراكز والمدن الحجازية التي يمر بها الخط الحديدي على بلاد الشام ، كما انفتح إقليم الحجاز على الأناضول واسطنبول. ولكن انحسرت أهمية بعض المناطق ، بسبب تحول طريق القوافل والحجاج الذي كان يمر بها ، عن طريق البر ، إلى استخدام القطار[٥]. وكذلك أثر وجود القطار على عدد كبير من الحرف والمهن التي كانت رائجة رواجاً كبيراً في دمشق ، وخاصة وقت تجمع الحجاج فيها ذهاباً وإياباً . وقد اقترن وجود عدد منها ، بوجود قافلة الحج وطرق التجارة البرية. ومن هذه الحرف التي تأثرت ، تأثيراً بالغاً أدى ذلك إلى انقراضها ، السقاة وصانعو القرب والعكامة والمقومون والمشاعلية ، إذ لم يعد هناك حاجة للجمال في السفر ولا للمقومين الذين كانوا يتولون أمور الحجاج في السفر ، ولا للمشاعلية ، لظهور طاقة الكهرباء التي بدأت تظهر مع وجود القطار . وكذلك بَدَأ الاستغناء عن أدوات السفر القديمة ، من سلال ومحارات وتخترون، حيث فقد صانعوها الربح

---

[١] برو كلمان ، كارل: مرجع سابق ، ص ٥٩٤. أيضاً ، الصلابي ، علي محمد: مرجع سابق، ص ٤٦٥.

[٢] إسماعيل ، حلمي محروس : مرجع سابق ، ص ٣٣٥.

[٣] أقبيق ، عزة علي: مرجع سابق ، ص ١٦٩.

[٤] حرب ، محمد : السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، دار القلم ، ط١ ، دمشق ١٤١١هـ /١٩٩٠ م ، ص ٢٧١.

[٥] المنير ، محمد عارف : مخطوط السعادة النابعة الأبدية في السكة الحديدية الحجازية ، الورقة ، رقم ٥. أيضاً، زين ، نور الدين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، دار النهار، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦ م ، ص ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي كانوا يحصلون عليه نتيجة ، ظهور القطار في نقل الحجـــاج والمســـافرين. وأنهى مد سكة حديد الحجاز ، عامل البريد والجوخودار اللذين كانا يرافقان قافلة الحج ، البرية لأنه رافق مد الخط الحديدي مد الخط البرقي والخط الهاتفي اللـــذين أصبحا أكثر سرعة في نقل الأخبار والمعلومات. وكذلك توقف خـــروج المحمـــل وذهابه برفقة قافلة الحج ، بعد أن كان له من الأبهة التقدير ، الشيءُ الكثير.

٣- الموارد المالية لإنشاء الخط الحديدي الحجازي:

أراد السلطان عبد الحميد أن يضفي على المشروع ، الطابع الإســـلامي ، بدلاً من أن يأخذ المشروع طابعاً عثمانياً بحتاً. وبناء على ذلـــك . وجـــه بصـــفته خليفة للمسلمين ، نداءً إلى العالم الإسلامي [١] ، عن طريق سكرتيره عزت باشـــا العابد، يدعو فيه المسلمين إلى التبرع بأموالهم لهذا المشروع الكبير[٢]. كان المبلغ المقرر لسد نفقات المشروع من الشام إلى مكة ، أربعة ملايين ليرة عثمانية وكان هذا المبلغ في عام١٣١٩هـــ/ ١٩٠١م يتجاوز ١٨% من ميزانية الدولة. ولهـــذا ، كان من الصعب مواجهة الأمور المالية للمشروع ؛ فقد كانت الدولة تـــدفع ديونـــاً خارجية متزايدة عاماً بعد عام ، لذلك لجأت إلى موارد مالية خارج خزينتها.

لاقى المشروع ترحيباً وإقبالاً من كافة أقطار المسلمين ، وانهالت تبرعـــاتهم مـــن جميع أنحاء العالم [٣]. وقد افتتح السلطان عبد الحميد قائمة التبرعـــات [٤]بمبلـــغ ٣٢٠ ألف ليرة عثمانية ، وتبرع شاه إيران بـــ ٥٠ ألف ليرة [٥] ، وتعهد خديوي مصر عباس حلمي الثاني بإرسال كمية كبيـــرة مـــن الأخشـــاب ومـــواد البنـــاء والإنشاء[٦]، وتألفت لجان في سائر الأقطار الإسلامية ، لجمع التبرعات ، فمـــثلاً

---

[١] الشناوي ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٣٣١.

[٢] ابن عربي ، محمد عز الدين بن حسين: الروضة البهية في فضائل دمشق ، دار الفارابي ، ط١ ، دمشق، ١٤٢١ هـــ/ ٢٠٠٠ م ، ص ١٣٤. أيضاً ، الطباخ ، محمد راغب: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، دار القلم العربي ، ط١ ، حلب ، ٥ أجزاء ، ج ٣ ، ١٤٢١هـــ/ ١٩٢٣ م ، ص ٣٩٨.

[٣] الشناوي ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٣٢٧.

(4) See. Gorge Haddad Fifty Years of the Modern Syria And Lebanon – Printed At Dar Alhayat , First Edition , Beirut , 1950 , P 139.

[٥] الشناوي ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٣٢٧.

[٦] كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م كان في مختلف مناطق الهند أكثر من مئة وخمسين مركزاً لجمع التبرعات [١].وجاءت التبرعات أيضاً من المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب) حيث بلغت تبرعات المغرب الأقصى ٥٠٠٠ دولار و ٤٠٠٠ فرنك و ١٠٠٠ ليرة ذهبية [٢]. كما شاركت السودان وبعض دول أفريقيا الجنوبية بالتبرع للمشروع.

وشاركت في ذلك دول أخرى أهمها روسيا ، وكذلك مسلمو شرقي أسيا، فمسلمو روسيا وأغلبهم من البلقان ، كانوا أشد حماسة للتبرع، إذ إنهم لم يكتفوا بالتبرع فقط بل ناشدت معظم صحفهم التي طبعت بلغات مختلفة ، المسلمين كافة بمساندة إنشاء الخط الحجازي[٣].

وقد عمدت الحكومة إلى فرض ضرائب جديدة ، وجهت حصيلتها للمشروع ، ومنها ضريبة المسقفات (كل عقار مسقوف) [٤]. وكذلك طلبت من الموظفين، التبرع للمشروع براتب شهر كامل ، ثم قررت حسم ما يعادل ١٠ % من رواتبهم[٥].كما قامت إدارة الخط بجمع جلود الأضاحي وبيعها وتحويل ثمنها إلى ميزانية الخط. وأيضاً أحدثت طوابع الخط الحجازي (طوابع الإعانة) واختلفت أسعارها باختلاف الأوراق المتعامل بها[٦]. وكذلك من الأموال التي تم توظيفها لخدمة الخط ، عائدات الفائدة والتشغيل. ففي شهر آب ١٩٠١ م ، وحسب الاتفاق مع البنك العثماني، تقرر وضع الأموال التي تم تحصيلها للخط الحديدي الحجازي،

---

(١) كان من التجار والعلماء الموجودين في الهند ، ومن أصل دمشقي (حسن بهاء الدين بن محمد العطار الشهير باللحام بدمشق وبالشامي في الهند ، حيث اجتهد بكثير من الأعمال الخيرية ، إذ قام بجمع الأموال من مسلمي الهند . وذلك في عهد السلطان عبد الحميد ، وأرسل تلك الأموال إلى الحكومة العثمانية لأعمال السكة الحجازية ، عاد لوطنه دمشق ومات فيها سنة ١٣٣١ هـ/ ١٩١٢م . انظر ، الحصني ، محمد أديب أل تقي الدين : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧١٨.

(٢) عوض ، عبد العزيز محمد : مرجع سابق ، ص ٢٨٣.

(٣) كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٧٢.

(٤) الشناوي ، عبد العزيز محمد : مرجع سابق ، ج ٤ ،ص ١٣٢٧.

(٥) بيك ، فريد ريك : تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، ترجمة علاء الدين طوقان ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١ ، عمان ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م ، ص ١٩١.

(٦) غولصي ، أوفك : مرجع سابق ، ص ٢٨ و ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذا البنك ، مقابل فائدة سنوية مقدارها ١ % ، ارتفعت في العام نفسه ، في شهر تشرين الثاني ، بنسبة ٢,٥ % . ومن الأموال التي تم جمعها للمشروع ، إعلان السلطان منح أوسمة وشارات وألقاب ، لمن يتبرع للخط[١].

٤- وقف سكة حديد الحجاز:

كانت أملاك وعقارات هذا الوقف ، تقع في ساحة البرج في بيروت ، وهو أكبر عقار متفرد في الساحة[٢]. وكان الهدف من إيجاد هذا الوقف العقاري، تأمين أموال سنوية للإنفاق على سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة ، وتوفير قطعة أرض كبيرة تقع خارج دمشق في منطقة البرامكة المعروفة سابقاً (بجنينة الحلبي) [٣].

٥- تأمين المعدات اللازمة لإنشاء المشروع:

في ذلك الوقت ، لم يكن لدى الدولة العثمانية ، أي مصنع لصنع لوازم القطارات ؛ فكان لا بد من استيراد القطارات وعربات البضائع ، وعربات الركاب والسكك والعوارض واللوحات الفولاذية والمقصات من أوربا وأمريكا ، فجُلِبَ القسم الأكبر من القاطرات البالغ عددها ١٨ قاطرة ، من شركة كراوس Kreouse لصناعة القطارات في مدينة ميونيخ بألمانيا. أما العربات ، فكانت من ألمانيا وبلجيكا. وفي عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦ م تم استيراد ٢٣ عربة ركاب من الدرجة الثالثة ، من شركة كلترباخ في فرانكفورت ، وبحدود ١٢٠ عربة حمولة من البضائع البلجيكية. وتمّ ، كذلك في عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م استيراد عربات من أسبانيا [٤]وتم صناعة عربات ركاب من الدرجة الأولى في آمرية الترسانة

---

[١] عابورة ، أحمد خير: مرجع سابق ، ص ٣١.

[٢]الحلاق ، حسان: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر ، سجلات المحكمة الشرعية في بيروت ، مطبعة الدار الجامعية ، بيروت ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧ ، ص ٢٧. أيضاً ، أقبيق ، عزة علي: مرجع سابق ، ص ١٧٦.

[٣] بيك ، فرد ريك : تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ترجمة علاء الدين طوقان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط١، عمان ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ ، ص ٩٠.

[٤] عيساوي ، شارل: التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب (١٨٠٠- ١٩١٤) ، ترجمة ، رؤوف عباس حامد، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، بيروت ،١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م ، ص ٣٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

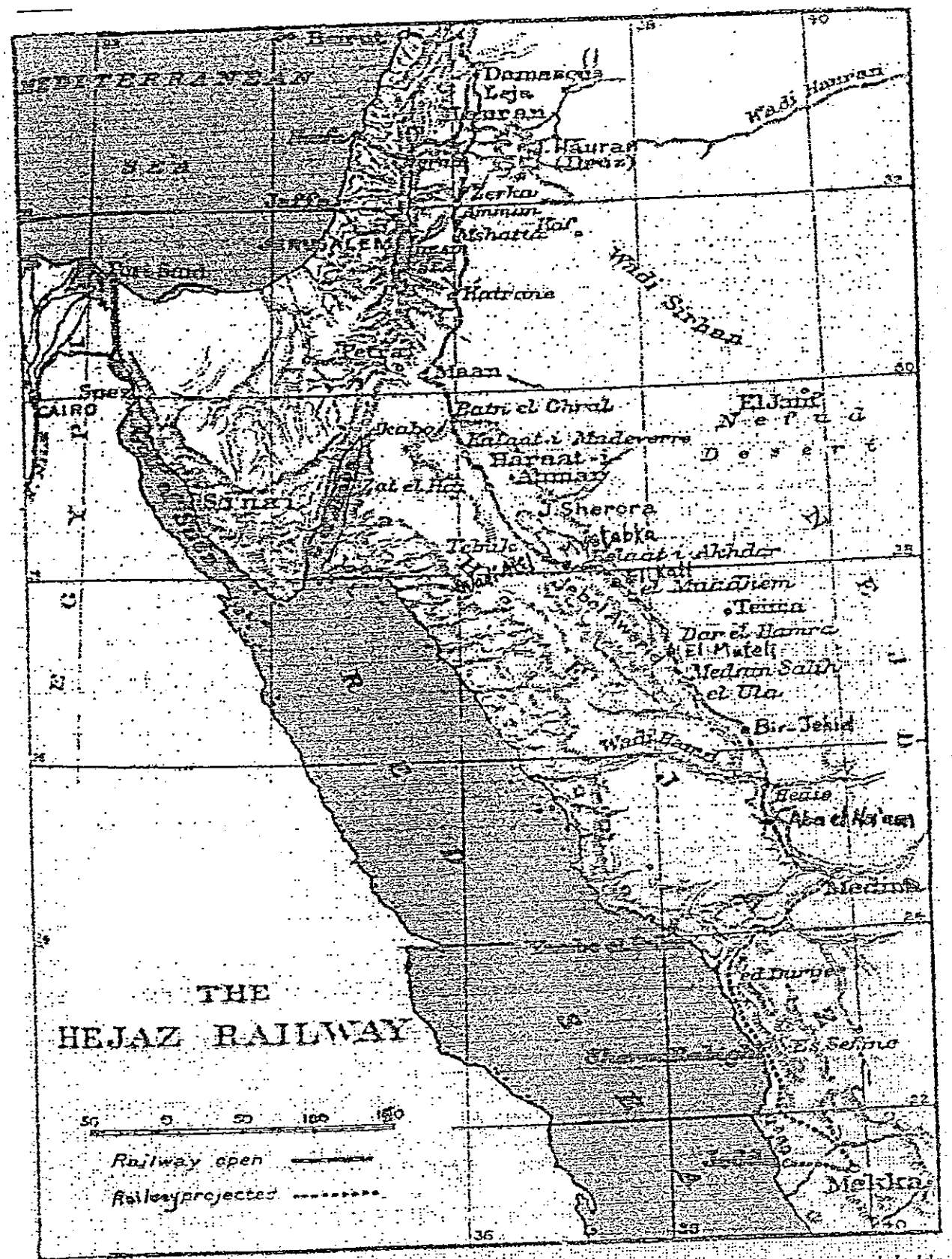

Hedjaz Railway (1908), showing the projected route of the extension to Mecca and Jedda.

المصور يوضح خط حديد الحجاز وتمديداته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحرية. وفي عام١٣٣٣هـ/ ١٩١٤ م ومع تطور الخبرات التقنية في الدولة العثمانية [١]تم صناعة القاطرات والعربات والمحركات وقطع الغيار وأعمال الصيانة لها في ورشات الخط الحديدي الحجازي ، وقد مدت القضبان على ركائز فولاذية فيما عدا مئة كيلو متر قبل المدينة المنورة جعلت ركائزها خشبية لشدة الحر في تلك المنطقة . وكان يتم تأمين الأخشاب من الغابات الساحلية أو القريبة من الموقع[٢].

٦-تنفيذ المشروع :

أصدر السلطان عبد الحميد الثاني في أيار١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م أمره بإنشاء لجنتين للإشراف على تنفيذ مشروع الخط الحديدي ، من دمشق إلى المدينة المنورة،ثم إلى مكة المكرمة.كانت اللجنة الأولى برئاسة عزت باشا العابد، ومقرها في اسطنبول واللجنة الأخرى للتنفيذ ،برئاسة والي الشام ومقرها في دمشق[٣].وقام مهندس عثماني يسمى مختار بك بمسح المنطقة التي يمر بها الخط الحديدي ما بين دمشق والمدينة المنورة واستخدم لتحقيق غايته، قافلة من الإبل. وقد تتبع الطريق الذي كانت تسلكه قوافل ، الحجاج ولم يحد عنه إلا في بعض المناطق الوعرة[٤].

وفي عام١٣١٩هـ/ ١٩٠١ م عين مهندس ألماني يدعى Meissner ، للإشراف على تنفيذ المشروع ، وانضوى تحت لوائه ٤٣ مهندساً من جنسيات مختلفة ، منهم ١٧ تركياً و١٢ ألمانياً و ٥ إيطاليين و ٥ فرنسيين وبلجيكي واحد ويوناني واحد[٥]. وكان العدد الأكبر من العمال الذين استخدموا في إنشاء الخط الحديدي، من الجيش العثماني [٦]. وقد احتُفل بالبدء في تنفيذ المشروع في شهر أيلول سنة١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م. وبدأ العمل بتنفيذ خط مزيريب- درعا بطول ١١ كم

---

(١) غولصي ، أوفك: مرجع سابق ، ص ٣٧.

(2) see . The Encyclopedia of Islam: Prepared by a number of leading Orient lists London , 1986 , P 364.

(٣) الشناوي ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ص ١٣٢٧.

(٤) مجلة الجزيرة، تصدر على شبكة الانترنيت. www. Aljazirah. com.

(٥) عابورة ، أحمد خير: مرجع سابق ، ص ٣٢.

(٦) أقبيق ، عزة علي: مرجع سابق ، ص ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أيلول عام١٣١٩هـ/ ١٩٠١ م[١]. وبعد ذلك ، تم تنفيذ خط درعا – الزرقا، وطوله ٧٩ كم ، في أيلول١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢ م. وفي ١٩ تشرين الأول١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢ م تم مد خط الزرقا – عمان ، وطوله ٢٠ كم.

ومن درعا ، يتفرع فرع حيفا ، متجهاً نحو البحر. أما الخط الأساسي ، فيبقى مستمراً في طريقه نحو الجنوب[٢]. وأما خط الشام – درعا فتم افتتاحه في ١ أيلول١٣٢١هـ/ ١٩٠٣ م، ثم تم مد الخط حتى معان في ١ أيلول١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ م ، بطول ٤٦٠ كم. وبوصول الخط إلى معان ، تم احتفال رسمي بحضور رجال الدولة والشخصيات الرسمية ، على رأسها فرمان باشا وزير الخارجية ، وحشد كبير من الشعب . وعلى هذا الخط الجديد ، تم نقل قسم من المعدات ، وقسم من العمال والحجاج والمسافرين والبضائع[٣].

وبعد معان ، دخل الخط في الأراضي الحجازية ، حيث إن عمليات الإنجاز كانت تسير بسرعة وسهولة ، لوجود الأراضي المنبسطة ، وعدم وجود صعوبات طبيعية ، حتى إنه لم يكن هناك حاجة لبناء قنوات لتصريف ، المياه في أكثر المناطق. وفي ١ سبتمبر عام١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، تم تنفيذ القسم الواقع ما بين معان وتبوك[٤]، ويبلغ طوله ٣٣١ كيلو متر[٥]. وفي عا١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م جرى الاحتفال بافتتاح قسم جديد بين تبوك ومدائن صالح التي تبعد ٩٥٥ كيلو متراً عن دمشق. وبعد مدائن صالح يصل الخط إلى العلا، التي تبعد ٩٨٠ كيلو متر عن دمشق. وبعد محطة العُلا يجتاز الخط عدة محطات لكي يصل أول قطار إلى

---

(١) ما بين دمشق وقرية مزيريب ، يوجد سكة حديد فرنسية.وامتياز هذه السكة لا يجيز إنشاء سكة أخرى تحازيها ، لذلك ظهرت منافسة بين إدارة سكة حديد الحجاز ، وإدارة الخط الحديدي، دمشق – مزيريب. لكن تم الاتفاق بين إدارة الخطين ، واستمر المشروع الحجازي. انظر ، كرد علي ، محمد : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ١٧٣.

(٢) أوفك ، غولصوي : مرجع سابق ، ص ٣٠ –٤٢.

(٣) عوض ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ص ٢٨٤.

(٤) الموسوعة الفلسطينية ، قسم الدراسات التاريخية ، المجلد الثاني ، ص ٩٦١. أيضاً ، الشهابي ، قتيبة: مرجع سابق ، ص ١٤٢.

(٥) ذ. ي ، هيرسلاغ : مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة ، مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٩٩. أيضاً ، الصلابي، علي محمد : مرجع سابق ، ص ٤٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة المنورة في ٢٢ آب ١٩٠٨ م وجرى الاحتفال بذلك في أيلول المصادف لعيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني وحضر حفل الاحتفال ثلاثون ألف مدعو وممثلون عن الصحف الأجنبية [١]، ورافق وصول القطار إلى المدينة المنورة إنارتها بالكهرباء ، وكان هذا المشروع بمثابة تحقيق حلم من الأحلام ، بالنسبة لمئات الملايين من المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي[٢].

وقد مر إنجاز الخط الحديدي الحجازي في مراحل تنفيذ متعددة ، ابتداءً من عام١٣١٨هـ/ ١٩٠٠ م **ولغاية عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ م وفيما يلي جدول بمراحل التنفيذ وسنواتها:**

تسلسل	اسم الخط	شهر الانجاز	عام الانجاز
١	مزيريب – درعا	أيلول	١٩٠١
٢	درعا – الزرقا	أيلول	١٩٠٢
٣	دمشق – درعا	أيلول	١٩٠٣
٤	الزرقا –عمان	تشرين الأول	١٩٠٣
٥	درعا – حيفا	تشرين الأول	١٩٠٣
٦	بلد الشيخ – عكا حيفا	تشرين الأول	١٩٠٣
٧	عمان – معان	أيلول	١٩٠٤
٨	معان – المدورة	كانون الأول	١٩٠٦
٩	المدورة – تبوك	أيلول	١٩٠٧
١٠	تبوك – مدائن صالح	تشرين الأول	١٩٠٧

---

(١) عابورة ، أحمد خير : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) لقد وصف السفير البريطاني في القسطنطينية ، في تقريره السنوي لعام١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧ م ، أهمية الخط الحجازي فقال: إن بين حوادث السنوات العشر الأخيرة ، عناصر بارزة في الموقف السياسي العام ، أهمها خطة السلطان الماهرة التي استطاع أن يظهر بها أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين في ثوب الخليفة الذي هو الرئيس الروحي للمسلمين ، وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الديني وغيرته الدينية ، ببناء سكة حديد الحجاز التي ستمهد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. انظر ، بني المرجة ، موفق: مرجع سابق ، ص ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١	مدائن صالح – المدينة المنورة	آب	١٩٠٨ [١]

٧- الصعوبات التي واجهت العمل في الخط الحديدي الحجازي:

صادف تنفيذ المشروع عقبات كثيرة ، كان على رأسها ، نقص ماء الشرب. وقد أمكن التغلب جزئياً ، على هذه العقبة ، بحفر آبار واستغلالها بمضخات بخارية أو طواحين هوائية ، وجلب الماء في صهاريج تسير على أجزاء الخط التي يكون قد فرغ من إنشائها ، ومن العقبات أيضاً ، نقص الأيدي العاملة؛ لذلك تم الاستعانة بعناصر الجيش للتغلب على هذه العقبة. ومن الصعوبات كذلك، طبيعة الأرض الجغرافية ، حيث ارتفاعها في بعض المناطق وانحدارها في مناطق أخرى[٢].

صادف عمل الإنشاء ، ظروف جوية قاسية تجاوزت درجة الحرارة فيها، خمسين درجة في بعض الأحيان[٣] ، كما تعرض الخط لجرف السيول في المنطقة الصحراوية[٤].

ومع اقتراب وصول الخط الحجازي من المدينة المنورة ، بدأت القبائل البدوية، وخاصة قبيلة (حرب) إظهار معارضتها لمد الخط ، خوفاً من الضرر الاقتصادي الذي سيصيبها . لذلك بدأت تشن بعض الغارات على الخط الحديدي ، وعلى العاملين به من مهندسين وعمال [٥] . فأخذت الدولة العثمانية تستعين بالقوى العسكرية لصد هجمات هؤلاء البدو ، المستمرة على السكة الحديدية ، فاستخدمت خمسة ألاف جندي لحماية الخط والعاملين فيه[٦] ، وخصصت رواتب لشيوخ البدو، مقابل حماية الخط والحفاظ على الأمن والاستقرار. ولكن ذلك لم يمنع البدو من أعمال التخريب ؛ فمثلاً في عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨ م تعددت هجمات البدو

---

[١] عابورة ، أحمد خير: مرجع سابق ، ص ٣٥.

[٢] الشناوي ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ج٤، ص ١٣٢٨.

[٣] عابورة ، أحمد خير: مرجع سابق ، ص ٣٢.

[٤] عوض ، عبد العزيز محمد: مرجع سابق ، ص ٢٤٨.

[٥] غولصي ، أوفك: مرجع سابق ، ص ٤٠- ٤٥.

[٦] أقبيق ، عزة علي: مرجع سابق ، ص ١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقطاع الطرق ، فوصلت إلى ١٢٨ هجمة ، حيث استطاعوا أن يقطعوا خطوط التلغراف ، ويدمروا مسافات من الخط الحديدي ، ويصيبوا المباني بأضرار جسيمة ، فضلاً عن سرقة أمتعة المسافرين والاعتداء عليهم[١].

ومن الصعوبات التي واجهت الحكومة العثمانية أيضاً ، الصعوبات المالية؛ فإيرادات الخط لم تكفِ لنفقات الصيانة بصورة دائمة ، إلا في موسم الحج الذي لا يستغرق أكثر من ثلاثة أشهر[٢].

٨- انعكاسات مد الخط الحديدي الحجازي:

قوبل إنشاء الخط الحديدي الحجازي ، بترحيبٍ كبيرٍ في العالم الإسلامي كله ، وخاصة لدى عامة الشعب. وقد تلقى السلطان عبد الحميد برقيات ثناء من مختلف الأصقاع [٣]. أما رجال الدولة فقد أعلنوا للسلطان ، بأن إنشاء الخط سيواجه صعوبات كثيرة تحول دون إتمامه.

ومن جهة أخرى ، كان الأوربيون على يقين بعجز الدولة العثمانية عن تنفيذ مثل هذا المشروع. كما قوبل بمعارضة بريطانية. رأت فيه تهديداً لمصالحها في المنطقة بوجه عام ، وعلى طريق الهند بوجه خاص. وكانت الدول الأوربية متأكدة من أن الخط سيزيد من القوة العسكرية والسياسية للدولة العثمانية، لذلك سعت لإحباط هذا المشروع . ولكن رغم تلك المكائد استطاع العثمانيون إتمام تنفيذ هذا المشروع الضخم[٤].

٩- محطات خط حديد الحجاز:

يبلغ طول سكة حديد الحجاز ١٣٢١ كم ، حيث يبدأ في دمشق ويمر بالعديد من المحطات ، وينتهي بالمدينة المنورة. ذلك بالإضافة إلى العديد من القلاع التي تم بناؤها متباعدة على امتداد سكة حديد الحجاز ، لأغراض الحماية والصيانة. وإليك جدولاً بالمحطات والمسافات:

---

(1) see . The Encyclopedia of Islam , P 365.

[٢] عوض ، عبد العزيز محمد : مرجع سابق ، ص ٢٨٤ – ٢٨٥.

[٣] بني المرجة ، موفق : مرجع سابق ، ص ١١٦.

[٤] أقبيق ، عزة : مرجع سابق ، ص ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسلسل	المسافة من دمشق كيلو متر	المسافة بين الموقعين كيلو متر	المواقف
١	–	–	دمشق – قنوات
٢	٥	٥	دمشق – القدم
٣	٢٥,٨٠٠	٢٠,٨٠٠	الكسوة
٤	٣٥,٧٠٠	٩,٩٠٠	دير علي
٥	٥٤,٧٠٠	١٩٠٠٠	المسمية
٦	٦٧,٦٠٠	١٢,٩٠٠	جباب
٧	٧٤,١٠٠	٦,٥٠٠	خبب
٨	٨٣,٨٠٠	٨,٧٠٠	المحجة
٩	٩٦,٢٥٠	٦,٦٥٠	ازرع
١٠	١١١,٤٠٠	١٤,٨٥٠	خربة الغزالة
١١	١٢٨,٠٠٠	١٦,٦٠٠	درعا
١٢	١٤١,٧٥٠	١٢,٧٥٠	نصيب
١٣	١٦٦,٧٠٠	٣٥,٩٥٠	المفرق
١٤	١٩٠,٣٠٠	٢٣,٦٠٠	السمراء
١٥	٢٠٨,٠٥	١٧,٤٥٠	الزرقاء
١٦	٢٢٧,٤٠٠	١٩,٦٥٠	عمان
١٧	٢٣٩,٠٥٠	١١,٦٥٠	القصر
١٨	٢٥٣,٨٠٠	١٤,٧٥٠	اللبن
١٩	٢٦٤,٧٠٠	١٠,٩٠٠	الجيزة
٢٠	٢٨٣,٧٠٠	١٩,٠٠٠	الضبعة
٢١	٣٠٠,٣٥٢	١٦,٥٥٢	خان الزبيب
٢٢	٣٠٦,٦٠٠	٦,٢٤٨	السواقية
٢٣	٣٣١,٢٠٢	١٥,١٢٢	القطرانة
٢٤	٣٥٣,٥٠٢	٣٢,٣٠٠	المنزل
٢٥	٣٧٢,٣٠٠	١١,٦٩٨	الغريرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٦	٣٨٢,٨٦٠	١٠,٦٦٠	الحساء
٢٧	٤٠٢,٤٠٠	١٩,٥٤٠	جروف الدرويش
٢٨	٤٢٧,٦٨٥	٢٤,٢٨٥	عنزة
٢٩	٤٤٥,٥٠٠	١٧,٨١٥	وادي الجردون
٣٠	٤٦٣,٨١٤	١٨,٣١٤	معان
٣١	٤٨١,٠٠٠	٣٠,١٨٦	غدير الحج
٣٢	٤٩٤,٠٠٠	١٣,٠٠٠	بئر الشونة
٣٣	٥١٩,٢٠٠	٢٥,٢٠٠	العقبة
٣٤	٥٢٤,٧٠٠	٥,٥٠٠	بطن الغول
٣٥	٥٣٤,٨٥٠	١٠,١٥٠	وادي الرتم
٣٦	٥٥١,٣٠٠	١٦,٤٥٠	تل الشحم
٣٧	٥٦١,٠٠٠	٩,٧٠٠	الرملة
٣٨	٥٧٧,٠٠٠	١٦,٠٠٠	المدورة
٣٩	٥٩٩,٦٠٠	٢٢,٦٠٠	حارة العمارة
٤٠	٦١٣,٤٠٠	١٣,٨٠٠	ذات الحج
٤١	٦٣٧,٠٠٠	٢٣,٦٠٠	بئر هرماس
٤٢	٦٥٩,٤٠٠	٢٢,٤٠٠	الحريم
٤٣	٦٨٣,٠٠٠	٢٢,٦٥٠	المحطب
٤٤	٦٩٧,٠٠٠	١٤,٠٠٠	تبوك
٤٥	٧٢٥,٠٠٠	٢٨,٠٠٠	وادي الأثل
٤٦	٧٤٩,٠٠٠	٢٤,٠٠٠	دار الحج
٤٧	٧٦٠,٠٠٠	١١,٠٠٠	المستبقة
٤٨	٧٦٩,٠٠٠	٩,٠٠٠	الأخضر
٤٩	٧٨٦,٠٠٠	١٧,٠٠٠	الخميس
٥٠	٨٠٩,٠٠٠	٢٣,٠٠٠	ذي سعد
٥١	٨٣٢,٠٠٠	٢٣,٠٠٠	المعظم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٢	٨٥٨,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	خشم الصفا
٥٣	٨٧٥,٠٠٠	١٧,٠٠٠	الدار الحمراء
٥٤	٩٠٩,٠٠٠	٣٤,٠٠٠	الطالع
٥٥	٩٣٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠	أبوطاقة
٥٦	٩٤٦,٠٠٠	١٦,٠٠٠	مبرك الناقة
٥٧	٩٦٠,٠٠٠	١٤,٠٠٠	مدائن صالح
٥٨	٩٨٤,٠٠٠	٢٤,٠٠٠	العلا
٥٩	١٠٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠	المشهد
٦٠	١٠١٧,٠٠٠	١٧,٠٠٠	البدائع
٦١	١٠٣٩,٠٠٠	٢٢,٠٠٠	سهل المطران
٦٢	١٠٥٤,٠٠٠	١٥,٠٠٠	بئر الزمرد
٦٣	١٠٧٢,٠٠٠	١٨,٠٠٠	البئر الجديد
٦٤	١١٠٥,٠٠٠	٣٣,٠٠٠	الطيرة
٦٥	١١٢١,٠٠٠	١٦,٠٠٠	المدارج
٦٦	١١٣٨,٠٠٠	١٧,٠٠٠	الهدية
٦٧	١١٦٠,٠٠٠	٢٢,٠٠٠	الجداع
٦٨	١١٧٨,٠٠٠	١٨,٠٠٠	تل الشحم
٦٩	١١٩٤,٠٠٠	١٦,٠٠٠	اصطبل عنتر
٧٠	١٢١٣,٠٠٠	١٩,٠٠٠	البويرة
٧١	١٢٣٣,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	آبار نصيف
٧٢	١٢٥٣,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	البولقة
٧٣	١٢٧٣,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	الحضيرة
٧٤	١٢٩٣,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	المحيط
٧٥	١٣١٢,٠٠٠	٢٩,٠٠٠	المدينة المنورة
	١٣٢١,٠٠٠		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- نهاية خط الحجاز:

استمرت سكة حديد الحجاز ، تعمل بين دمشق والمدينة المنـورة ، مـا يقرب من تسع سنوات ، نقلت خلالها التجار والحجاج ، والعساكر والإمدادات إلى منطقة الحجاز. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى ، واشتعلت الثـورة العربيـة الموالية لبريطانيا ، بقيادة الشريف حسين واستولت على معظـم مـدن الحجـاز، وأرادت ضم المدينة المنورة ، ولكن هذا القوات الثائرة لم تستطع السيطرة علـى المدينة المنورة ، بسبب اتصالها بخط السكة الحديدية ، ووصول الإمدادات إليهـا. واستطاعت حامية المدينة العثمانية أن تستمر في المقاومة إلى مـا بعـد انتهـاء الحرب العالمية بشهرين ، لذلك لجأ الشريف حسين[١] إلى تنفيذ مشـورة ضـابط الاستخبارات البريطاني لورنس[٢] بتدمير الخط ونسف جسوره وانتزاع قضبانه في عدة أجزاء منه. وبذلك ، انتهت قصة سكة حديد حجاز بكل فصولها الجميلة، ولـم يبقَ منها سوى أطلال السكة والمباني والقلاع العثمانية التي كانت شاهدة يوماً ما، على مرور قطار الحجاز فيها.

---

(١) بعد وفاة الشريف عبد الإله ، تحولت شرافة مكة إلى الشريف حسين بن علي الذي كان يعيش في استنبول منذ عام١٣١١هـ/ ١٨٩٣م استطاع الحصول على موافقة الباب العالي بتعيينه أميراً على الحجاز ، وأظهـر ولاءه الكبير للعثمانيين في مواجهة الثورات التي كانت تُقام في الجزيرة العربية ، وفيما بعد قاد الثورة العربية الكبرى التي بدأت عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٦ م ضد الأتـراك ، بعـد الاتفـاق مـع الحلفـاء . وانتهـت فـي عام١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م بتحرير الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام من الحكم التركي ، والتي انتقلت إلى التنافس الأوربي عليها . انظر ، العيدروس ، محمد حسن : تاريخ الجزيـرة العربيـة ، عـين للدراسـات والبحوث الإنسانية ، ط ١ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ص ٣٨٩ و ٣٩٠ .

(٢) توماس إدوارد لورنس: ولد في ١٥ آب عام١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨ م في مقاطعة تربمادوك في ويلز ، إحدى مقاطعات بريطانيا . ينتمي إلى أسرة نبيلة. وقد اهتم بالآثار ودراستها ، وكان ذكياً محباً للمطالعة بشكل كبير، خاصة في مجالي التاريخ والآثار . اهتم بمنطقة الشرق الأوسط ، وكانت زيارته الأولى إلـى الشـرق فـي عام١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م . بعدها قام بعدة زيارات عمل لمصلحة الاستخبارات البريطانية . وهو من أشار على الشريف حسين بتدمير الخط الحديد الحجازي .

توفي في ١٩ أيار١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ م ، إثر حادث ، عندما كان يقود دراجته ، انظر ، حول حياة لورنس، المدافعة ، حسام على محسن: لورنس والقضية العربية ، ١٨٨٨ - ١٩٣٥م، دار الأوائل ، ط٢ ، دمشق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١- موقف القبائل البدوية من الخط الحديدي الحجازي .

لقد عارضت القبائل البدوية مد الخط الحديدي الحجازي ، وقاومته وشنت غارات عنيفة ضده ، لأن ذلك سوف يلحق خسائر مادية كبيرة بها. إذ كانت تقوم بتأجير الحكومة والحجاج ألاف الجمال في كل عام ، لنقلهم إلى الأماكن المقدسة[١]، وكانت تتقاضى مقابل ذلك ، مبالغ كبيرة من الأموال. وكان من أكثر القبائل معارضة لمد الخط الحديدي هما قبيلتا حرب وعطية[٢]. ففي شرق الأردن، هاجم البدو العمال الذين كانوا يعملون في مد الخط ، بالإضافة إلى خطوط السلك البرقي. وكان الهدف من ذلك ، وقف العمل بالمشروع ، لإدراك هؤلاء البدو ، حجم الخسارة الناتجة عن مد الخط ، وبالتالي توقفهم عن نقل الحجاج وما يتبع ذلك من توقف الدولة عن دفع الهبات السنوية لشيوخ القبائل البدوية. كما قامت مجموعة من البدو بمهاجمة المواد التي كانت ترسل لإنجاز الخط الحديدي ؛ فمثلاً قاموا بإحراق كمية ١٢٠٠عمود من الخشب كانت منقولةً عن طريق مدينة جدة ، وكان يحملها ٣٠٠ جمل. وكذلك قاموا بقطع أسلاك البرق حتى لا يتم استخدامها[٣].

وفي عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م هاجم البدو الخط في المدينة المنورة. وكان هذا الهجوم نابعاً من خوفهم لفقدان ذلك المردود الاقتصادي المهم ، بالإضافة إلى إدراكهم بأن الخط وسيلة ضخمة وسريعة لحشد الجنود ضدهم ، في مناطق كانت الحكومة في السابق ، تتحاشى دفع جنودها إليها. لذلك أرسلت الحكومة العثمانية الإمدادات العسكرية لحماية العمال والأدوات من هجمات البدو واعتداءاتهم استمرت ضد الخط الحديدي ومنشآته ، إلى ما بعد إنجازه وتشغيله ، حيث بلغت تلك الاعتداءات في عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ، وحده ١٢٨ اعتداء ، وكان يرافق هذه الاعتداءات قطع أسلاك البرق ونزع القضبان وإغلاق مباني المحطات ونهب المسافرين . وكذلك قامت الحكومة بإرضاء بعض زعماء القبائل البدوية ،

---

(١) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج ١، ص ٣٨١.

(٢) الشناوي ، عبد العزيز : مرجع سابق ، ج ٤، ص ١٣٣٣.

(٣) رفعت ، إبراهيم : مرجع سابق ، ج٢، ص ٣٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بإعطائهم بعض الأموال للتخلص من إزعاجاتهم المتكررة التي كانت تصل إلى القيام بقلع القضبان والعوارض الخشبية للسكة[1]. كما هاجم البدو المشير كاظم باشا المدير العام للخط ، وهزموه بعد أن قتلوا مائة من رجال حرسه. إلا أن بعض القبائل البدوية ، وخاصة تلك التي كانت تقطن في منطقة شرقي الأردن، كانت تقوم بحماية الخط ، ولم تقاوم تنفيذ المشروع ، كالحويطات وبني صخر ، لأن شيوخها ظلوا يتلقون ٤٠٠٠ ليرة عثمانية لحماية الخط الحديدي وحراسته في منطقة بادية الشام. ورغم الاتفاقيات بين الحكومة والقبائل البدوية ، إلا أن الحكومة العثمانية لم تنتظم في دفع الأموال التي كان متفقاً عليها ، للقبائل البدوية. ولم تكن كل القبائل البدوية في شرقي الأردن ، تتلقى هذه الأموال ، لذلك كانت تهاجم الخط فمثلاً. في عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م هاجم ١٥٠ فارساً لا يُعرف لأية قبيلة ينتمون، محطة القطرانة ونهبوها وقتلوا مأمورها وجرحوا بعض العاملين فيها. كما هاجموا المحطات الواقعة بين القطرانة والضبعة ، وخربوا الخط الحديدي ، وقطعوا الأسلاك البرقية فيها ، وقاموا بتقطيع أسلاك البرق في منطقة الكرك. هذا بالإضافة إلى اعتراض بعضهم للقطارات ، وإطلاق الرصاص عليها[2].

ونتيجة لتكرُّر خطر القبائل البدوية ، على الخط الحديدي الحجازي ، فقد اتخذت الحكومة العثمانية عدة إجراءات لحمايته ، وهي .

- إنشاء فرق الهجانة لمراقبة الخط وحراسته .
- تأليف لجنة في مجلس المبعوثان العثماني ، لتولي أمور حاجات الخط، ومعرفة مقدار ما ينفق عليه وتصليحه عندما يتعرض للتخريب.
- تخصيص قوة عسكرية تجاوز عددها خمسة آلاف جندي نظامي ، لحراسة منشآت الخط الحديدي ، حتى يتم الانتهاء من تنفيذ المشروع بشكل كامل.
- بناء قلاع جديدة ملحقة بالمحطات ، وتزويدها بالجنود ، لحراسة الخط الحديدي وحماية منشآته من غارات البدو.

---

(1) the Encyclopeadia of Islam :, p 365.

(٢) مجلة الدارة تصدر على شبكة الإنترنت . www. Aldarhmagazin . com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تخصيص مجموعة من الجنود المشاة ، لحراسة خطوط البرق وإصلاح ما تعطل منها[١].

وبالمقابل كان لسكة حديد الحجاز ، فوائد كبيرة على المدن والقرى والبدو المنتشرين في البادية الشامية والحجازية ، ومنها:

- استقرار عدد كبير من البدو ، بالقرب من مخافر الجنود العثمانية ، وامتلاكهم الأراضي ، والبدء بزراعتها ، وتأسيسهم للقرى والمزارع. لذلك ظهرت مجتمعات عمرانية جديدة على طول امتداد الخط [٢].
- أدت سكة حديد الحجاز إلى انتعاش وزيادة في حركة النقل مابين المدينة المنورة ومكة المكرمة. وقد استغل ذلك بدو الحجاز ، بأن قاموا بنقل الحجاج من المدينة المنورة التي ينتهي عندها الخط الحجازي ، إلى مكة فكانوا يقدمون الجمال وأدوات السفر الأخرى التي كان يحتاجها المسافر؛ لذلك حصلوا على فوائد كبيرة ، جراء ذلك[٣].
- أدى العمل في إنجاز الخط الحديدي ، إلى الاستعانة بعدد كبير من العمال؛ لذلك قامت الشركة التي مدّت الخط بالاستعانة بالبدو للمشاركة في العمل، ضمن رواتب خصصت لكل شخص منهم .
- ومن مظاهر حركة العمران التي صاحبت إنشاء الخط ، إضاءة المدينة المنورة بالكهرباء ، وذلك كان لأول مرة عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م حيث أُنير الحرم النبوي الشريف ، يوم افتتاح سكة حديد الحجاز[٤].
- أدى مد الخط البرقي والهاتفي المرافق لسكّة الحديد ، إلى سرعة وصول الأخبار ، حيث أصبح والي الشام يبرق إلى الحكومة العثمانية ، عن تحركات القافلة ، وعن أماكن تواجدها ، وحين وصولها إلى دمشق. وكذلك ، إذا ما

---

(١) المرجة ، موفق بني : مرجع سابق ، ص ١١٦.

(٢) كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ج ٥، ص١٧٤ .أنطينوس ، جورج : يقظة العرب ، ص ٤٦٩و٤٧٠.

(٣) بدر، عبد الباسط : مرجع سابق ، ص ٣٥. أيضاً ، حرب ، محمد : مرجع سابق ، ص ٢٠.

(٤) صحيفة الجزيرة تصدر على شبكة الإنترنت . www. Aljazirah. Com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرضت لهجوم ، كانت تطلب الإمدادات عن طريق البرق والهاتف ، وذلك بشكل سريع[١].

- أدى مد الخط الحديدي إلى انتعاش عدد من المدن والقرى ، على حساب أُخرى. وقد كان عدد المنازل مابين دمشق والمدينة المنورة ٣١ منزلة ؛ وذلك عندما كانت وسيلة السفر السّير ، أما محطات الخط الحديدي الحجازي ، فقد بلغت ٧٥ محطة ، إذ نجد أنّ عدد المحطات أصبح الضعف، وقد أصبحت مراكز تعود بالفائدة على المقيمين في هذه المحطات وما حولها ، ومن هذه المحطات التي لم يكن يمر فيها الحجاج سابقاً ، والتي أصبحت مركزَ لتوقف القطار: (المسمية ، خبب ، أزرع ، خربة الغزالة ، نصيب ، الجيزة ، الضبعة ، وادي الأثل ، المستبقة ، ذي سعد، الطيرة ، البولقة)[٢]. ومن المدن التي زاد نشاطها التجاري والحركي وزاد قدوم الحجاج إليها ، حيفا[٣] التي تحولت إلى ميناء بحري ومدينة تجارية هامة ، حيث أصبحت تُنقل عن طريقها المواد اللازمة لإنشاء الخط الحجازي ، وخاصة بعد أن تم وصله بخط حديدي مع خط الحجاز[٤]. وكذلك نشطت الحركة التجارية والمرورية مابين دمشق وبيروت ، وخاصة بعد إنشاء الخط الحديدي ما بينهما ؛ فقد ازداد قدوم الحجاج إلى بيروت عن طريق البحر ، ليركبوا القطار باتجاه دمشق ، ومنها يتابعون إلى المدينة المنورة ، عن طريق الخط الحديدي الحجازي[٥].

---

(١) عوض ، عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٨٢.

(٢) العظمة ، عبد العزيز : مرآة الشام ، ص ١٨٨- ٢٠٢.

(٣) حيفا تقع على سفح جبل الكرمل ، وتعد مرفأ آمناً للسفن ذات الأحمال الكبيرة. يجلب إليها قطن نابلس وصفد وقمح وشعير سهل الحولة وصوف المناطق المجاورة. عظم شأن حيفا منذ صارت أحد فروع الخط الحديدي الحجازي ، واتصلت بدمشق وحوران وشرق الأردن والمدينة المنورة. وهذا الأتصال جعلها ميناء تجارياً مهماً . انظر ، الصباغ ، سعيد : جغرافية سورية العمومية المفصلة ، مطبعة العرفان ، ط٢ ، صيدا، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م ، ص ١٣٧.

(٤) كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٧٥.

(٥) كرد علي ، محمد : المرجع السابق ، ص ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً- المتغيرات المستجدة التي أنهت قافلة الحج وأوقفتها نهائياً عن المسير.

كانت وسيلتا النقل الشّائعتان فيما قبل قناة السويس وسكة حديد الحجاز ، هي السير على الأقدام أو استخدام الدواب ، كالجمال والخيل والحمير. وبقي الأمر كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر ، إذ أصبح التنقل أكثر سهولة ، ودخلت آلات حديثة وفرت الجهد والراحة ، وهي السيارات التي أدى ظهورها إلى الاهتمام بوجود طرق خاصة بها ، وأصبحت تستخدم لنقل الركاب والبضائع في مختلف الأرجاء. وقد أثر ظهور السيارة على حركة السكك الحديدية ، لرغبة الناس بالتنقل بها ، لأنها أكثر راحة وسرعة[1]. وكذلك تم تعبيد الطرق في أراضي الحجاز ، نتيجة وصول أعداد من الحجاج بالسيارات ، حيث تم تعبيد طريق جدة – مكة المكرمة ، وذلك بطول ٧٣ كم . وكذلك تم تعبيد الطرق بين أماكن الحج ، لسهولة التنقل. وأدى ظهور السيارات والطائرات فيما بعد ، إلى الحد من أعداد الحجاج القادمين عن طريق البحر ، وعن طريق القطارات . وهذه المتغيرات التي حصلت نتيجة التطور في خدمات النقل ، أثر ، بشكل كبير ، على أعداد الحجاج الذي بدأ يزداد مع الزمن.

---

[1] كرد علي ، محمد : مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٢٠٦ -٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــخاتـــمة :

جاءت دراستنا لقافلة الحج الشامي ، محاولة علمية لكشف هـــذه الظـــاهرة الهامة في حياة المسلمين الذين كانوا يقومون بأداء مناسك الحـــج والـــذي فُـــرض عليهم منذ زمن إبراهيم عليه السلام. ومع ظهور الإسلام وظهور النبـــي محمـــد (ص) ، زاد هذا الاهتمام واعتبر الحج الركن الخامس من أركان الإسلام. واستمر الاهتمام بالحج ومناسكه ، على امتداد العصـــور الإســـلامية ، ومنهـــا العصـــر العثماني، حيث عَرف السلاطين المكانة الكبيرة للحج. وكان هـــذا الأمـــر محـــط اهتمام الدولة طوال أربعة قرون. وقد أشرفت الدولة العثمانية خلال المدة التـــي سيطرت فيها على العالم الإسلامي بشكل عام ، والعربي بشكل خاص ، على أربع قوافل للحج ، الشامية والمصرية واليمنية والعراقية. وكان لقافلتي الحج الشـــامي والمصري، أهميتهما الخاصة. وكانت قافلة الحج الشامي التي هي مركز بحثنـــا هذا ، وذلك ضمن حقبة زمنية محددة ، قد تأثرت بالعديد مـــن المتغيـــرات التـــي انعكست سلباً أو إيجاباً على وضعها .

مما تقدم نجد أنّ قافلة الحج الشامي قد مرت بالعديد من المراحـــل التـــي أثـــرت وتأثرت فيها. وكان للظروف السياسية والأمنية ، دورها الكبير في إنجاح القافلـــة أو فشلها . ففي الفترة التي يكون فيها أميـــر القافلـــة ، مـــن ضـــعاف النفـــوس والشخصية، وليس له سلطة ، تكون القافلة محط أنظـــار الطـــامعين مـــن البـــدو اللصوص ، كما حصل في الربع الأخير من القرن السادس عشر ، بسبب ضـــعف الأمراء الذين قادوها ، مما اضْطُرَّ الحكومة العثمانية إلى إعطاء إمارة الحج إلـــى الإنكشارية ، للمحافظة عليها، أو تعيين موظفين عثمانيين على هـــذه الإمـــارة[1]. ومنذ عام١١٢٠هـــ/ ١٧٠٨م شهدت دمشق تطوراً هاماً يتعلق بانتقال إمارة الحج إلى دمشق ، وتعيين ولاتها باستمرار لهذا المنصب ، حيث كان الوالي يبقى فـــي منصبه مادام يؤمّن سلامة القافلة في الذهاب والإياب . وقد استمرت إمارة الحـــج

---

[1] فمن عُيّن من الإنكشارية على إمارة الحج في ذلك الوقت علي بن الأرناؤوط ، وهو من كبار إنكشارية دمشق ، وذلك في عام١٠٥٢هـــ/ ١٦٤٢. ومن الموظفين الذين تم تعيينهم على إمارة الحج ، أيضاً هرموش باشا . انظر ، رافق ، عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ، ص ٢١٥ و ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ولاة دمشق حتى عام١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م ، حين تم فصل المنصبين عن بعضهما ، وأصبح يعين على إمارة الحج ، أناس من كبار الأعيان أو أبناء الأسر الدمشقية البارزة.

وعلى امتداد هذه الحقبة التي رافقتها ، لعبت قافلة الحج الشامي ، في العهد العثماني ، دوراً بارزاً في حياة بلاد الشام بشكل عام ، ودمشق والأماكن المقدسة بشكل خاص ، إذ نشطتْ الحركة الاقتصادية التي رافقتها ، بالإضافة إلى أهميّتها الدينية. وكان لتجمع الحجاج في دمشق ، دوره البارز في تنشيط العديد من الحرف والمهن التي تزدهر ويزداد الطلب عليها في موسم الحج. وقد مثلت القافلة إحدى الوسائل الهامة في تنقل التجار ونقل السلع والبضائع التجارية ، مابين الدول والمدن ، حيث تمّ من خلالها انتقال بضائع فارس إلى دمشق ، ومنها إلى مكة والمدينة وبالمقابل ، وصلت المنتجات الهندية إلى الحجاز ، ومنها إلى مصر والمغرب وبلاد الشام . وقد برزت أهمية القافلة اجتماعيا ، حيث شكلت مكاناً لاندماج المجتمعات والعروق واللغات المختلفة ، فبرز نوع من الاختلاط والتمازج عن طريق الزواج ، وعن طريق انتقال بعض الأسر ، للعيش في المدينتين المقدستين. ومنهم من طاب له الإقامة في دمشق ، فبقي فيها. وبذلك تم تشكل عائلات وأسر جديدة نقلت العديد من عاداتها وطباعها إلى مكان أقامتها الجديد.

ولاحظنا كذلك ، أهمية قافلة الحج الثقافية والعلمية ، حيث كانت واسطة لنقل العلوم والمعارف والعلماء ، بين البلدان المختلفة ، وكانت مكاناً لاجتماع العلماء المحليين والوافدين للحج .

وقد بقي وضع قافلة الحج على هذا النحو ، في تنقلها وسيرها في كل عام ، بدءاً من زمن الدولة العثمانية حتى ظهور الحركة الوهابية في الحجاز ، وسيطرتها على مكة عام١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وعلى المدينة عام١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، حيث بدأت بمنع قوافل الحج من دخول المدينتين المقدستين ، كما كانا في السابق ، إلا بشروطها الخاصة بها ، إذ منعت دخول المحمل والطبول ، واستنكرت المراسم الاحتفالية التي كانت تُقام لقافلة الحج باعتبارها لها بدعة تخالف الدين الإسلامي وظلّ هذا الوضع مسيطراً على قدوم قوافل الحج ومنعها من الدخول ، حتى قام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد علي باشا والي مصر ، بالقضاء على هذه الحركة عام١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م ، بتكليف من السلطان العثماني. وبذلك ، عادت قافلة الحج كما كانت في السابق، تغدو وتروح ، وارتبط ذهابها وأمنها بمدى قوة الوالي وضعفه. فإذا كان قوياً استطاع إخضاع القبائل البدوية الصغيرة ، وإرضاء القوية منها بدفع الصر لها، كبني صخر وصقر . وكذلك لعبت الظروف المناخية والاقتصادية في توفير أمن القافلة ، كان وضع البدو حيث في السنين العجاف ،عند انقطاع المطر سيّئاً إلى حدٍ كبير ، مما يُضطرُّهم إلى مهاجمة القافلة ، حتى وإن أخذوا مستحقاتهم من الصرة .

أما في فترة الحكم المصري للشام والحجاز ، فقد كانت قبضة الدولة المصرية على بلاد الشام قوية ، ففرضت هيبتها وهيمنتها على جميع المناطق ، وعلى البدو المقيمين في الصحراء ؛ لذلك حصلت قافلة الحج على الأمان في ذهابها وإيابها. وقد اهتم إبراهيم باشا المصري بقافلة الحج وأصبح من واجبه تأمين الحماية لها، لذلك قام بالعديد من الإصلاحات على طول الطريق. وبقي الوضع على هذه الحالة ، إلى أن تم انسحاب القوات المصرية من بلاد الشام عام١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م ، وعودة السيطرة للدولة العثمانية التي أرادت أن تفرض هيبتها الإسلامية، فكان أول عمل قامت به هو توفير الأمن لحجاج الحرمين في الذهاب والإياب. وقد رصدت لذلك ، العديد من القوات والأموال ، لأن أمن القافلة كان من أساسيات السلطان العثماني الذي لقب نفسه بخليفة المسلمين. وبقي وضع القافلة في الذهاب والإياب ، من خلال الدرب السلطاني عن طريق البر ، إلى أن تم شق قناة السويس في عام١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ، مابين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، حيث كان لهذه القناة ، تأثيرها الكبير على سير القافلة وعلى أعداد الحجاج الذين كانوا يذهبون عن طريق البر. فقد بدأ عدد منهم يذهب عن طريق البحر ، وبذلك انتعشت الحركة في عدد من المدن الساحلية ، مثل أسكندرون وبيروت واللاذقية وصور وعكا وحيفا ، التي بدأ يقصدها الحجاج للسفر عن طريق البحر ، ليركبوا البواخر البخارية عن طريق قناة السويس ، إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ميناء جدة ، ومنه إلى مكة والمدينة ومع ذلك ، فقد استمرت قافلة الحج البرية ولم تنقطع ، على الرغم من انخفاض أعدادها .

والحدث الأهم الذي أثر بشكل كبير على قافلة الحج البرية ، والذي أدى إلى إيقافها وإنهائها ، هو إنشاء سكة حديد الحجاز عام١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م التي ربطت دمشق بالمدينة المنورة. حيث بدأ عدد من الحجاج ، يفضّلُ ركوب القطار الذي هو أكثر راحة وأقل تكلفة وأكثر سرعة وأماناً. وقد أدى ظهوره إلى انتعاش بعض القرى والبلدات على حساب أخرى كانت تستفيد من مرور قافلة الحج منها. و أدّى كذلك إلى زوال بعض الحرف التي كان عملها الأكبر مرتبطاً بقافلة الحج ، ومنها العكامة والسقاة والقربية والمحايرية والمهتارية . وكذلك تم إيقاف المحمل عن مرافقته لقافلة الحج . وقد أثر مد الخط أيضاً على وضع البدو الذين عارضوا إنشاءه وهاجموا بعض أجزائه ومحطاته ، لأنه أثر على وضعهم المعيشي إذْ بدأ الاستغناء عنهم في تقديم الجمال ، وبدأت كمية الصر التي كانت تقدم لهم تتناقص أو تنعدم. ورغم المعارضة الكبيرة التي أبداها البدو ، ظل القطار يقوم بمهمته في نقل الحجاج والمسافرين ، حتى قيام الحرب العالمية الأولى حيث تم تخريبه وقلع بعض من أجزائه عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م ، ووقف العمل به إلى الآن ، على أمل أن يعود من جديد للعمل . وإضافة لكل هذه المتغيرات ، فقد ظهرت وسائل جديدة للسفر ولنقل الحجاج ، كالسيارات والحافلات التي أخذت طرقاً مختلفة عن سابقاتها. وفيما بعد ، في العصور الحديثة ، ظهرت الطائرات التي هي أكثر راحة وسرعة وأماناً في وصول الحجاج إلى الأماكن المقدسة .

ورغم الاهتمام الكبير من قبل السلاطين العثمانيين ، بقوافل الحج ودروبها ومنازلها ومحطاتها ، لم نجد أحداً منهم قد حج إلى بيت الله الحرام ، بل كانوا يرسلون أهلهم وزوجاتهم إلى هناك. ماعدا السلطان عثمان الثاني١٠٢٠-١٠٣٢هـ/ ١٦١١- ١٦٢٢م الذي عزم على أداء فريضة الحج ، فمنعه رجال دولته. وقد قتل بطريقة غامضة وعمره ١٨ سنة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر :

- القــرآن الكريـــم.

أولاً – الوثائق :

١–سجلات المحاكم الشرعية بدمشق .

٢– الأوامر السلطانية لولاية دمشق .

٣– الأوامر السلطانية لولاية حلب .

ثانياً– المخطوطات :

١–البرزنجي ، جعفر بن حسن : مخطوط النفح الفرجي من الفتح الجتجي ، مكتبة الأسد ، رقم ٨٧٧٤و ٥٢٤١.

٢–الصايغ ، فتح الله بن أنطون :المقترب في حوادث الحضر والعرب ، صورة عنه في مكتبة . د. يوسف نعيسة .

٣–مجهول المؤلف: بالوشي والطراز في فــتح الحجــاز أو تــاريخ محمــد علــي باشا،صورة مخطوط، في مكتبة الأسد، رقم ١٧٥.

٤–المنير، محمد عارف بن أحمد : السعادة السامية الأبدية فــي الســكة الحديديــة الحجازية الشامية، صورة مخطوط رقم ٨، ١٠٧، مكتبة الأسد ،دمشق .

٥–المقدسي ، مرعي بن الأمام يوسف :قلائد العقبان وفضائل آل عثمان ، صــورة مخطوط بمكتبة الأسد ، رقم ص .م ٢٧٤.

ثالثاً– المصادر المطبوعة:

١. أبن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق ، عبد الســلام التــدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦م، ١١جزء .

٢. ابن الخوجة ، محمد : صفحات من تاريخ تونس ، تقــديم وتحقيــق ، حمادة الساجلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٤٠٧هــ/ ١٩٨٦م .

٣. ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق ، محمد مصطفى ، خمسة أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القــاهرة ، ١٤٠٢هــــ/ ١٩٨٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. ابن طولون، شمس الدين محمد :

أ- حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام ٩٢٦-٩٥١هـ ،صفحات مفقودة تنشر للمرة الأولى من كتاب ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق، أحمد أيبش، الأوائل للنشر، دمشق، ط١ ،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

ب - إعْلامُ الورى بمن ولّي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق،محمد أحمد دهمان، مطبوعات مديرة أحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

٥. ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة في محاسن دمشق مصر والقاهرة ، تحقيق ، مصطفى السقا و كامل المهندس ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٦. ابن عربي ، محمد عز الدين بن حسين: الروضة البهية في فضائل دمشق ، دار الفارابي ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠٠ م .

٧. ابن قيم الجوزية (شمس الدين الزرعي): الطب النبوي ، دار الخياط للطباعة والنشر ، ط ١، دمشق ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .

٨. ابن كنان، محمد بن عيسى :

أ-المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل ،جزءان ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.

ب-يوميات شامية، صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني ، تحقيق، أكرم حسن العلبي، دار الطباع، دمشق ، د. ت .

٩. أرسلان ، شكيب : تاريخ الدولة العثمانية ،جمع أصوله وحققه ، حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير ، ط ١، بيروت ، ٢٠٠١.

١٠. الأسطواني، محمد سعيد : مشاهد وأحداث دمشقيه في منتصف القرن التاسع عشر ، تحقيق ، أسعد الأسطواني ،دار الجمهورية ، دمشق ، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١. الأنصاري، شرف الدين موسى بن يوسف : نزهة الخـــاطر وبهجـــة الناظر، تحقيق ،عدنان محمد إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ١٤١٢هـــ / ١٩٩١م، جزءان .
١٢. أوغلي، عائشة عثمان : مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة صال سعدادي صالح، دار البشـــير، الأردن، عمان، ط١ ،١٤١١هـــ/ ١٩٩١م.
١٣. بازيلي ، قسطنطين : سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ترجمة ، طارق معصراني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٤١٠هـــ/ ١٩٨٩م .
١٤. البالي، كامل (الغزي) : نهر الذهب في تـــاريخ حلـــب ، دار القلـــم العربي ، ط ٢، ثلاثة أجزاء ، ج ٣ .
١٥. البكري ، عبدا لله محمد بن عبد العزيز : معجم ماأستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق ، مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت ، ثلاثة أجزاء .ج ٣، د. ت
١٦. بلنت ،آن : رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة وتعليق، أحمد أيبش، دار المدى الثقافة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـــ / ٢٠٠٥م .
١٧. بوركهارت ، جوهان لودفيج : مواد لتاريخ الوهابيين ، ترجمة ، عبد الله صالح العتيمي ، شـــركة العبيكـــان للطباعـــة ، ط١ ، الســـعودية ، ١٤٠٦هـــ/ ١٩٨٥م.
١٨. بيك ، فرد ريك : تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ترجمة علاء الدين طوقان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط١، عمان ، ١٩٩٨.
١٩. جلبي ، أوليا : الرحلة الحجازية ،ترجمة ، الصفصافي أحمد المرسي ،دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م،
٢٠. الحسيني، محمد عز الدين بن حسين عربي كاتبي الصيادي: الروضة البهية في فضائل دمشق، دار الفارابي الطبعة الأولى، دمشق ١٤٢١هـــ/ ٢٠٠٠م .
٢١. الحصني ، محمد أديب آل تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشـــق ، دار الأفاق ، بيروت ١٩٧٩م ، ثلاثة أجزاء حلب ١٤١٢هـــ/ ١٩٩١م.
٢٢. الحموي ، شهاب الدين أبي عبدا لله ياقوت : معجـــم البلـــدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣. ديجورج ، جيرار : دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر، ترجمة ، محمد رفعت عواد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤م

٢٤. الرشيدي ، أحمد : حُسن الصفا والأبتهاج بذكر من تولى إمارة الحاج، تحقيق ، ليلى ، عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م .

٢٥. السنوسي، محمد : الرحلة الحجازية، تحقيق، علي الشنوفي، ثلاثة أجزاء، ج٢، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ،١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

٢٦. شيلشر ، لندا : دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ترجمة ، عمرو ودينا الملاح ، دار الجمهورية ، ط١، دمشق ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٢٧. الصايغ ، فتح الله : رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية (رحلة لاسكارس) ، تحقيق ، يوسف شلحد ، دار طلاس ، دمشق ، ط١، ١٩٩٣،

٢٨. الطباخ ، محمد راغب: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٥ أجزا، دار القلم العربي ، ط١ ، حلب ، ، ١٩٢٣ م .

٢٩. العبد ، حسن أغا : تاريخ حسن آغا العبد، قطعة منه حوادث سنة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١هـ، حققه يوسف جميل نعيسه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٤٠٠هـ /١٩٧٩م .

٣٠. العظمة ، عبد العزيز : مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها ، تحقيق ، نجدة فتحي صفوة ، دار الفكر ، ط٢، دمشق ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٣١. العلاف، أحمد حلمي: دمشق في مطلع القرن العشرين، تحقيق ، علي نعيسة ، دار دمشق ط٢، دمشق ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .

٣٢. القاسمي، جمال الدين، والعظم، خليل: قاموس الصناعات الشامية، جزءان ،دار طلاس، دمشق، طبعة أولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

٣٣. القلقشندي ، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية ، ط ١، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧، أربعة أجزاء .

٣٤. مجهول المؤلف : مذكرات تاريخية ، مطبعة القديس بولس ، بيروت ، د . ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٥. مذكرات تاريخية عن حملة محمد علي باشا على سوريا ، تحقيق ، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة ، دمشق ، د.ت
٣٦. النابلسي ،عبد الغني : الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ، تحقيق ، رياض عبد الحميد مراد ، دار المعرفة ، ط ٢، دمشق ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .
٣٧. الورثيلاني، حسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ (الرحلة الورتيلانية)، دار الكتاب العربي، ط٢، لبنان، بيروت، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

رابعاً – المراجع :

١. أباظة، فاروق عثمان: الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ – ١٩١٨ م، دار العودة بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ/١٩٧٩م .
٢. أبو نصير ، محمد : قناة السويس حقائق ووثائق ، القاهرة ، د. ت .
٣. إسماعيل، حلمي محروس : تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
٤. أنطنيوس ، جورج : يقظة العرب ، (تاريخ حركة العرب القومية) ، ترجمة ، الأسد ناصر الدين وإحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
٥. أنيس محمد ، وحراز رجب : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٦٧ .
٦. أنيس، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، القاهرة ،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
٧. أيبش، أحمد: دفاتر شامية عتيقة ، دار قتيبة للنشر، ط١، دمشق ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
٨. البادي ، عوض : الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية ،الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
٩. البتنوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠. بدر ، عبد الباسط : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، المدينة المنـورة ،ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، ثلاثة أجزاء.
١١. بركات، مصطفى : الألقاب والوظائف العثمانية (١٥١٧هـ / م١٩٢٤)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
١٢. بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، نبية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٥، لبنان بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
١٣. بريجيت ، مارينو : حي الميدان في العصر العثماني ،ترجمة ،ماهر الشريف ، دار المدى ، للثقافة والنشر ، دمشق ، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
١٤. بكر، سيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، مطبعة تهامـة، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٥. البلادي ، عاتق بن غيث :
أ-معجم قبائل الحجاز ، ثلاثة أجزاء ، المجمع العلمي ، جده ،١٣٧٨هـ.
ب-بناء مكة وأهميتها وأعمارها، دار المجتمع العلمي، جدة، ط ١، د.ت .
١٦. بني المرجة ، موفق : صحوة الجل المريض ، أو عصـر السـلطان عبـد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، دار صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
١٧. بني هاني، خالد : تاريخ مدينة دمشق وعلماؤها خلال الحكـم المصـري ، الأوائل للنشر ، ط ١، دمشق ،١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٨. بيرين، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المفـادة والعلـم ، ترجمة، قدري قلعجي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، د. ت
١٩. بيك ، فريد ريك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، ترجمة علاء الدين طوقان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط ١، عمان ، ١٩٩٨ م .
٢٠. التميمي، عبد الجليل : الحياة الاقتصادية للولايات العربية مصادر وثائقها في العهد العثماني منشورات المركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربـي فـي العهد العثماني، مطبعة الاتحاد العام التونسـي، تـونس ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، جزءان.
٢١. التونسي ، محمد عمر : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، الـدار المصرية للتأليف ، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
٢٢. ج . ج لوريمر : دليل الخليج ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، ثلاثة أجزاء ، ج٣، د. ت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣. الجاسر ، حمد : المعجم الجغرافي للبلاد العربية ، دار اليمامة ، الريـــاض ، ط١، ١٣٩٧هـــ / ١٩٧٧م.

٢٤. جب هاملتون ، وبوون هارولد : المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة، أحمـــد عبد الرحيم مصـــطفى، دار المعـــارف، مجلـــدان ، ج١، مصـــر، ١٣٩١هـــــ/ ١٩٧١م، ص١٠٠.

٢٥. الجبر، محمد فوزي : حكام دمشق من الفتح الإسلامي حتى الآن ، دمشـــق ، ٢٠٠٦م

٢٦. حرب ، محمد : السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، ط١، دمشق ١٤١٠هـــ/ ١٩٩٠م .

٢٧. الحسن، علي عبد العزيز: تاريخ سوريا الاقتصادي، مطبعة بدائع الفنـــون، دمشق، ١٣٤٢هـــ/ ١٩٢٣م .

٢٨. حسون ، علي : تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٢م .

٢٩. حسين ، أحمد : موسوعة تاريخ مصر ، خمسة أجزاء ،مطابع دار الشـــعب ، القاهرة ، د.ت .

٣٠. الحلاق ، حسان: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياســـي فـــي بيـــروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر ، سجلات المحكمة الشرعية في بيروت ، مطبعة الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٣١. الحمود ، نوفان رجا :

أ-عمان وجوارها خلال الفترة ١٢٨١- ١٣٤٠هـــ/١٨٦٤م ، منشورات بنك الأعمال ، ط١، عمان ، ١٩٩٦ .

ب- العسكر في بلاد الشام، دار الآفاق الجديدة، طبعة أولى، بيروت ، ١٤٠٢ هـــ/ ١٩٨١م.

٣٢. حمود ، فاطمة ، الرحلات والرحالة العرب قديماً وحديثاً ، المطبعة التعاونية ، ط١ ، دمشق ، ١٤٢٣هـــ / ٢٠٠٢م .

٣٣. حنا ،عبد الله فايز : ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضـــالهم في القطر العربي السوري، ودون مكان الطباعة والنشر د . ت.

٣٤. حنا، عبد الله : حركات العامة الدمشقية في القرنين الثـــامن عشـــر والتاســـع عشر، دار ابن خلدون، ط١، بيروت ١٤٠هـــ / ١٩٨٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٥. الدرويش ، عبد الله محمد : عالم التراث ، دار هشام للطباعة ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
٣٦. ذ. ي ، هيرسلاغ: مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة ، مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ م .
٣٧. رافق ، عبد الكريم :
أ- بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، دمشق ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
ب- العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، ط٢ ،دمشق ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٣٨. الأرقش، دلنده وعبد الحميد بن ظاهر جمال: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، تونس ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .
٣٩. رفعت ، إبراهيم : مرآة الحرمين ، جزءان ، دار المعرفة ،بيروت ، د . ت.
٤٠. ريمون، أندريه : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة ، لطفي فرج ، باريس ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
٤١. الزركلي ، خير الدين : عامان في عمان ، مذكرات عامين في شرق الأردن ، مكتبة العرب ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م .
٤٢. زكار ، سهيل : بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، دار حسان للطباعة والنشر ، ط ١، دمشق ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
٤٣. زكريا،أحمد وصفي : الريف السوري، المطبعة العمومية، دمشق ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م،جزءان .
٤٤. زهدي، بشير: دمشق دراسات تاريخية وأثرية، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م .
٤٥. زيتون ،عادل : تاريخ المماليك ، منشورات جامعة دمشق ، الطبعة الخامسة ،١٤٦١هـ /١٩٩٦م .
٤٦. الزيدي ، مفيد : موسوعة التاريخ الإسلامي ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، عمان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣،
٤٧. زين ، نور الدين: نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
٤٨. سالم ، لطيفة محمد: الحكم المصري في الشام ، مكتبة مدبولي ، ط٢، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٩. سالم ، مصطفى : الفتح العثماني الأول لليمن ، المطبعة العالمية ، القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .
٥٠. السامرائي، فراس سليم حيّاوي: التقاليد والعادات الدمشقية، الأوائل للطباعة والنشر، ط١، دمشق. ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م
٥١. السباعي، أحمد : تاريخ مكة ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
٥٢. سوفاجيه ،جان: دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب، ترجمة فؤاد أفرام البستاني، تحقيق، أكرم حسن العلبي، ط١ ،١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .
٥٣. الشناوي ،أحمد و خورشيد ، إبراهيم زكي : دائرة المعارف الإسلامية، عشرة أجزاء .
٥٤. الشناوي، عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة أسلامية مفترى عليها، ، ٤ أجزاء مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٥٥. الشهابي، قتيبة: دمشق تاريخ وصور،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
٥٦. الشيخ ، رأفت : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ،
٥٧. الصباغ ، سعيد : جغرافية سورية العمومية المفصلة ، مطبعة العرفان ، ط٢ ، صيدا ، ١٩٢٤م .
٥٨. الصباغ ، ميخائيل نقولا العكاوي : تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكار وبلاد صفد ، نشره وعلق عليه ، قسطنطين الباشا المخلصي ، مطبعة القديس بولس، لبنان ، د.ت .
٥٩. الصباغ ، ليلى : المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣.
٦٠. الصلابي، علي محمد: الدولة العثمانية عوامل السقوط والنهوض، دار المعرفة، ط١، بيروت ، ٢٠٠٤م .
٦١. الطيب ، محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية ، دار الفكر العربي ، ط٢، مصر ، ١٩٩٧م .
٦٢. عامر ، محمود علي : المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني دراسة وثائقية ، مطبعة ابن حيان ، دمشق ، ١٩٩٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٣. عبد الرحيم، مصطفى أحمد : في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، ط ١، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م

٦٤. عبد الغني، عماد : السلطة في بلاد الشام، دار النفائس،ط١، بيروت، لبنان ،١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م ص٦٥.

٦٥. العظم، خالد : مذكرات خالد العظم ، ثلاثة مجلدات ، الدار المتحدة للنشر، ، ط١،بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ، ١٩٧٣م .

٦٦. العلبي ، أكرم حسن :

أ- خطط الشام ، دار الطباع ، دمشق ، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩.

ب- دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين من ٩٠٦- ٩٢٧هـ / ١٥٠٠-١٥٢٠م الشركة المتحدة للطباعة والنشر ، ط١ ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

٦٧. المدافعة ، حسام على محسن: لورنس والقضية العربية ، ١٨٨٨ - ١٩٣٥م، دار الأوائل ، ط٢ ، دمشق ، ٢٠٠٥ م .

٦٨. عمر ، عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦- ١٩٢٢م دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٦٩. عمر، سميرة فهمي علي: أمارة الحج في مصر العثمانية، ٩٢٣ - ١٢١٣هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الصحافة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٧٠. عيساوي ، شارل: التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب (١٨٠٠- ١٩١٤) ، ترجمة ، رؤوف عباس حامد، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

٧١. العيدروس ، محمد حسن : تاريخ الجزيرة العربية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ط ١ ، ١٩٩٦م

٧٢. غرايبه، عبد الكريم: سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ ــ ١٩٧٦م، دار الجيل للطباعة ،مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

٧٣. الغنام ، سليمان : سياسة محمد علي التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ، ١٨١١- ١٨٤٠م ، المركز الثقافي العربي ، ط٢ ، المغرب ، الدار البيضاء ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٧٤. غولصوي، أوفك: الخط الحديدي الحجازي، أطروحة دكتورا، ترجمة، الإدارة العامة للخط الحديدي الحجازي، استانبول ١٩٩٤ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٥. فالين، جورج أوغست: صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر ، ترجمة ، سمير سليم شبلي ، لايوجد مكان للنشر ، ١٤١٢ هـ/١٩٩١ م .

٧٦. قاسمية، خيرية: حياة دمشق الاجتماعية كما صورها المعاصرون أواخر العهد العثماني، مطبعة الداودي، دمشق ،١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

٧٧. القطوري ، أحمد المرسي: وأوراق تركية حول الثقافة والحضارة القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٧٨. كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ، خمسة أجزاء ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٧٩. كرد علي ، محمد : خطط الشام ، ستة أجزاء ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، بيروت ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

٨٠. كواترت، دونالد : الدولة العثمانية ١٧٠٠- ١٩٢٢م، تعريب، أيمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

٨١. الكواكبي، نزيه : دمشق دراسات تاريخيه وأثريه ، مطبوعات المديرية العامه للآثار والمتاحف ، دمشق، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م .

٨٢. المرادي، محمد خليل : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، مطبعة بولاق الأميرية ، مصر ، ١٣٠١هـ ، ثلاثة أجزاء .

٨٣. النتشه، رفيق شاكر : السلطان عبد الحميد وفلسطين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٥، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٨٤. نعيسة ، د .يوسف جميل :

أ-المرجع في وثائق تاريخية عن بلاد الشام في عهد محمد علي باشا ١٢٤٧ -١٢٥٦هـ/ ١٨٣١-١٨٤٠م ، منشورات جامعة دمشق ،

٨٥. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

ب-مجتمع مدينة دمشق ١١٨٦- ١٢٥٦هـ/ ١٧٧٢- ١٨٤٠م ،منشورات دار طلاس .

٨٦. نعيسه ، د . يوسف و صالح ، د.محمد حبيب : تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان) ، مطبعة الداودي ، دمشق ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٨٦. نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٧. نيازيلا ، محمد تريان: السلطان عبد الحميد وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

٨٨. هريدي، محمد عبد اللطيف : شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشـــر، القـــاهرة، ط١، ١٤١٠ / ١٩٨٩م .

٨٩. الهلالي، ممد مصطفى ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الأنصاف والجحود ، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٥ هـــ/ ٢٠٠٤م .

خامساً- المراجع الأجنبية .

*.Gorge Haddad Fifty Years of the Modern Syria And Lebanon – Printed At Dar Alhayat , First Edition , Beirut , 1950 .

* .j. The Encyclopedia of Islam: Prepared by a number of leading Orient list Damas

*.suvajet,Esquisse d, une Histoire de la ville de damas , Revue des Etudes,islamiques;Es,1934.

*.N.A. Ziadeh ,:1970, Urban Life in early Mamluks, Greenwoodpress ,Westport,connectiut.
*.Koury , George . province of Damascus PH . D. disirtation the University of Michigan . 1978 .

*.Porter . J. L . five years in Damascus . of the History tepographe including on account of the travels and Researchres and Antiquities of that city the Palmyra – Lebanon and Houran . London , 1855 .

*.R. Tresse , Le pelerinage syrien aux villes saintes de Islam , paris 1937

*.Rafig . A.K , NEW Light on the transportation of the Damascene pilgrimage.

*.Browne , W. G . travels in Africa , Egypt and Syria , from the year , 1792-1798.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*.Burton , Isabel . the Inner . life of Syria Palestine and the Holyland – Londres . 1884.

سادساً–الموسوعات والمعاجم :

*– محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة.

*– المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، خمسة مجلدات ، المجلد الثاني ، مركز الدراسات العسكرية ، ط ١، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .

*– الموسوعة الفلسطينية، ٦مجلدات ، المجلد ٢، ط ١، بيروت،١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

سابعاً– الرسائل الجامعية غير المنشورة :

١. أقبيق ، عزة علي: دخول السكك الحديدية إلى بلاد الشام أواخر الحكم العثماني وأثارها السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية ، ١٩٨١ – ١٩٨١ م ، رسالة ماجستير ، في قسم تاريخ جامعة دمشق ، عام ٢٠٠٥ م .

٢. شعبان ، عبد المجيد : رسالة دكتوراه عنوانها ، ريف دمشق من خلال سجلات المحاكم الشرعية ١٧٠٠– ١٧٢٥، جامعة تونس الأولى ، ١٩٩٧ .

٣. الغنيمي، مازن يوسف : رسالة ماجستير في قسم تاريخ جامعة دمشق ، بعنوان تحقيق مخطوط النفح الفرجي من الفتح الجتة جي لمؤلفه جعفر بن حسن البر زنجي عام ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

ثامناً– الدوريات :

١. مجلة دراسات تاريخية ، العدد الأول، آذار، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.

العدد الرابع ،نيسان ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

العدد السادس ، عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

العدد السابع ، ربيع الأول ١٤٠٢هـ/ كانون الثاني ١٩٨٢م.

العدد ، الثامن ، نيسان ١٩٨٢.

العددان ، ٩و،١٠، تشرين الأول ، ١٩٨٢م

العدد الخامس عشر والسادس عشر ، كانون الثاني – أيار ، ١٩٨٤

العددان ٣٥ و ٣٦، آذار– حزيران ، ١٩٩٠.

٢. مجلة التاريخ العربي ، مقالة للدكتور سعيد العلوي ، بعنوان ، أدب الحج في المغرب العربي، العدد ٢١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . مجلة العرب : بحث بعنوان ، مطير بطونها وبلادها ، عبد العزيز بن سعيد المطيري، تصدر عن دار اليمامة للنشر ، السعودية ، الجزء التاسع عشر ، أيلول ، سنة، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .

٤ . مجلة العربي ، العدد ٥٦٦، مقالة كتبها أشرف أبو اليزيد بعنوان ، من اسطنبول والشام ومصر رحلات المحمل الشريف ، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٦م .

٥ . مجلة الفكر ، العدد ٢٨، تصدر عن معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

٦. مجلة الفكر العربي، العدد الحادي والخمسون، حزيران، ص١٩٧ .

٧ . مجلة المباحث ، العام الأول ، طرابلس الشام ، السكة الحجازية ، العدد الأول ، تشرين الثاني، ١٩٠٨ م .

٨ . جريدة الأمة ، العدد ٣ ، يوم الاثنين ، ٦ كانون الأول، دمشق، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م

تاسعاً-الصحف والأبحاث والمجلات الصادرة على شبكة الإنترنت :

١. الجزيرة: صحيفة سعودية، تصدر على شبكة الإنترنت، الجمعة ٧ ذو الحجة١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، العدد١٠٣٨٢ . بعنوان

www. Suhuf . net .

٢. أبو نمي، هيا: في ذكرياتها عن الحج، موقع على شبكة الإنترنت. www.alwatah.com.

٣. إصدارات مجلة العرب مركز حمد الجاسر الثقافي ، يصدر على شبكة الإنترنت العنوان . www. hamad aljasser.com

٤. بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان ، كل ما تود معرفته عن الرمثا ، www. Irbidnet.com

٥.صحيفة الجزيرة ، العدد ١٠٨٤٧، الاثنين ٢٩ ربيع الأول ، ١٤٢٣هـ ، بعنوان www. Suhuf . Net

٦.بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان ، القلاع والحصون ، www. Nozhty.com

٧. مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد ٤، السنة ١٤٢٦هـ ، بحث بعنوان ، موقف القبائل البدوية من قافلة الحج،نشر على شبكة الإنترنت . www. Aldarah magazine. Com

٨. بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان . www. Ahsab-online.com

٩.بحث نشر على شبكة الإنترنت، بعنوان ،العشائر الأردنية. www. Al-Jordan. com

١٠.بحث،بعنوان، نبذة عن قبيلة بني صخر. www. Albadoo.com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١.بحث نشر على شبكة الإنترنت بعنوان قبائل عربية ، ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول ، موقع أسرة آل بوازير العباسية الهاشمية ، عنوان الموقع . www. Bawzir.com

١٢. الإتحاد جريدة يومية، تصدر على شبكة الإنترنت www. Alitthad .com

١٣. مجلة الجزيرة، تصدر على شبكة الانترنيت. www. Aljazirah. Com

١٤.بحث نشر على شبكة الإنترنت، بعنوان ، نبذة عن قبيلة بني صخر الطائية عنوان الموقع. www.Albodoo.com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم (١)

شكوى الأشخاص المكلفين بنقل الحجاج وخدمتهم من دمشق إلى الديار المقدسة .

شكوى الأشخاص المكلفين بنقل الحجيج وخدمتهم من دمشق إلى الديار المقدسة ذهاباً وإياباً من ضآلة أجورهم مع حيواناتهم وطلب أنصافهم ليتمكنوا من أداء أدوارهم .

أن المكلفين في نقل الحجاج من دمشق إلى الديار الحجازية بالذهاب والإياب منذ زمن طويل قدموا شكوى وهم الحاج عبد الغني وعباس الحلبي والحاج محمد بن كرد علي والحاج محمد بن رمضان بن الحاج أحمد وثمانية آخرين من مساعديهم يدّعون بها أنهم في كل عام يقومون بنقل قافلة الحجاج بجمالهم ويقدمون لهم الخدمة اللازمة غير أن الأجور التي يتقاضونها منذ القديم لم تعد تتناسب مع ارتفاع الأسعار لاسيما بسبب المحل الذي أصاب البلاد في دمشق وغلاء الأعلاف وغير ذلك .

فأنهم يطلبون من عظمة السلطان عظيم الشأن صاحب القول الفصل بإنصافهم وزيادة رواتبهم فيما يتمكنوا من العيش أسوة بغيرهم عيشاً يتناسب مع ما يقدموه من تضحيات وأتعاب إذ أن في هذه الأيام تحمل أجمالهم أكثر بكثير من طاقتها ومما كان يُحمل عليها قبلاً ، مما أدى ذلك إلى موت معظمها وإن هؤلاء المكلفين بقيادة هذه الحيوانات نظراً لقلة أجورهم تركوا وهربوا لأماكن أخرى من البلاد وطلباً للعيش .

أمر السلطان أن يعطى هؤلاء بعد الآن من الأجور ما يساوي أحمالهم والأسعار الحالية حتى يستطيع هؤلاء مواصلة أعمالهم ويعيشوا مع حيواناتهم دون الحاجة إلى الآخرين وذلك استجابة لاسترحامهم وشفقة على أوضاعهم وتقديراً لجهودهم .

حررت في أوائل رجب ١٢٤٠هـ[1]

---

[1] الأوامر السلطانية لولاية دمشق ، السجل رقم ٣ الوثيقة رقم ٧٠ ، تاريخها ١٢٤٠هـ ، ص ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٢).

(أمر سلطاني بخصوص جمع أموال الصرة)

وثيقة : أمر سامي من الحكومة العثمانية بتحصيل الأموال التي رصدت لمصلحة الصرة .

إلى المشير وزيرنا والي حلب جلال الدين باشا ، وإلى فضيلة قاضي حلب عندما يصلكم أمرنا السامي ليكن معلوماً لديكم أنه تبين من التقرير الذي رفعه إلينا أمين الصرة الحالي محمد عارف أن الأفراد الذين جاوروا أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة من موظفي الحرمين الشريفين والموظفين المكلفين لخدمة الحجاج قد استحقوا الرواتب التالية من حساب عام ١٢٢٩هـ ، من أموال الصرة الشريفة توزع عليهم بمعرفة أمين الصرة طبقاً للتعليمات السامية الصادرة بهذا الخصوص وأن أموال الصرة قد بلغت بمجموعها ١٤٥٨٥٢قرشاً حسب البيانات الصادرة من مالية الشام الشريف، تدفع منها لموظفي الجباية ذات العلاقة مبلغ ٣٣٥٧٢,٥ قرشاً كرواتب ، تؤخذ من إيرادات رسوم جمرك شام شريف ٩٠٣٢,٥ قرشاً ومن إيرادات رسوم جمرك الدخان في حلب مبلغ ١١٩٩٧٧ قرشاً ومن رسوم جمرك يافا مبلغ ١٤٢٣ قرشاً ومن أموال ضريبة جول مبلغ ٣٨٧٨ قرشاً ومن بقايا رسوم دخان حلب مبلغ ٤١٦,٥ قرشاً ، ومن أموال ضريبة الجزية للقدس الشريف مبلغ ٢٩٨٨ قرشاً ، ومن بقايا رسوم قهوة الشام مبلغ ٢٩,٥قرشاً ، ومن بقايا رسوم دخان الشام مبلغ ٥٥قرشاً ، وذلك حسب السجل الصادر عن رئاسة المحاسبة والمحالة إلى خزينة الأناضول بعد التحصيل نطلب إليكم بصفتكم الوزير المختص التأكد من وصول صور عن هذه المستندات كاملة إلى أمين الصرة عملاً بكتابنا المرسل أليكم مع معتمدنا عبدا لله بالإضافة إلى سجلات الأموال المتبقية التي ستحصل عليها من مقاطعات حلب والبالغة ١١٩٩٧ قرشاً و ٤٤ أقجة ، ومن جمرك مقاطعة دخان حلب مبلغ ٤١٦,٥ قرشاً و ٣٣ أقجة والبالغ مجموعهم مبلغ .١٢٤١٣,٥ قرشاً و ٦٧ أقجة . هذه الأموال التي ستُحصل وتدفع لرواتب الموظفين التي لم تسدد منذ عشرون عاماً وبصفتكم قاضي حلب إبداء المساعدة اللازمة لتمكين الجباة من تحصيل هذه الأموال بالطرق الشرعية واعتماداً للتنفيذ . حررت في ٥/٧/ ١٢٢٩.

الأوامر السلطانية لولاية حلب ، الجل رقم ٣٦ ، الوثيقة رقم ١٨ ، سنة ١٢٢٩ ، ص ١٦ و ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٣).

رسالة إلى السلطان العثماني برفع إمارة الحج عن ولاة دمشق ودفع مخصصاتها من الأستانة.

قام بكتابة هذه الرسالة محمد بن عبد الجليل بن أبي المواهب بن عبد الباقي الجنبلي .

بعد الحمد والثناء والدعاء لسلطان المسلمين بالنصر وأوراد الأحاديث الناطقة بفضل العدل وقبح الظلم وأنه لا يدوم معه ملك أو دولة ولو كانت مسلمة ، وشَخص الظلم الواقع من الولاة والجباة على البلاد بسبب ضريبة سفر الحج والمحمل الشامي بعبارات تقشعر لها الجلود ويرأف من أجلها العدو اللدود وذلك في سنة ١٢١٢هـ ، ووضح الكاتب أنه لا غرض له في ذلك سوى أخبار بالواقع عن الواقع الذي حل بالشام بسبب ذلك .

وطلب بعد الرجاء بأن يصرف نظركم (أي السلطان) الشريف في كشف هذه الغمة عن الخلق لأنهم عيال الله وإنقاذهم من هذا العناء والشدة وتفريج كربهم بأن لا تُجعل أمارة الحج مضمومة إلى من يكون والي الشام فأنها أن استمرت مضمومة لاشك بهلاك أهلها وخراب قراها ودثار عمرانها ورحيل أهلها عن أوطانهم فأن أستحسن لديكم صدور التوصية بأهل الشام وفقرائها على اختلاف مذاهبهم ، لكل من يكون والياً على الشام بمفردها بالعدل والرفق كما عودتهم الدولة من الإحسان والجيل الوارد عن حملة الأخبار بحقها أنه لا يدوم بها ملك الظالمين مهما كانت سلطتهم . وجاء في روح البيان . فعلى الولاة والمتسلمين أن لا يتعدوا ما حد الله تعالى في كتابه فأن الظلم لا يجوز مطلقاً ويعود وباله على الظالم بل يسري إلى غيره أيضاً .

الحصني ، محمد آل تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشق ، ص ٦٨٧- ٦٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم (٤).

بعض المكاييل والأوزان والنقود التي كانت تستعمل في العهد العثماني.

١- الأردب : مكيال مصري للحنطة يتألف من ٦ ويبات وكل ويبة ٨ أقداح كبيرة أو ١٦ قدحاً صغيراً ، وقد عرف العثمانيون الأردب كمكيال بعد سيطرتهم على المنطقة العربية .

٢- حمل : المقصود بالحمل هو حمل بعير ، وفي العراق يقدر حمل البعير بـــ ٣٠٠ مَن أو ٦٠٠ رطل ، كل رطل ١٣٠ درهماً أي أنه = ٢٤٣٫٧٥ كغم ، أما في شرقي الأناضول فيقدر متوسط حمل البعير بـــ ١٨٠ أقه حوالي ٢٣٠ كغم . ومن الصعب ضبط وزن الحمل لأنه يختلف باختلاف المناطق وعامل الزمن ، فحمل البعير في المناطق في آسيا الصغرى يقدر بـ ٨٠٠ ليبره أي حوالي ٣٩٠ كغم أما في سهولها فيصل حمل البعير إلى ٧٣٥ كغم ، وفي سوريا يتراوح مابين ١٥٠ – ٢٠٠ كغم ، وفي بغداد يصل إلى ١٨٠ كغم ، وفي مناطق المغرب العربي يختلف باختلاف المناطق وكحد أوسط يتراوح مابين ١٤٠ – ١٨٠ كغم .

٣- بقجة : وحدة وزن عثمانية تساوي ٤ بتمن ، زنة الواحدة ١٥٨٠ درهم = ٢٠٫٢٦٨كغم .

٤- تومان : يستخدمه العثمانيون لكيل الخضراوات بكل أنواعها ولاسيما التين والكرز، ويحسب على أساس الكومة ، والكومة تختلف بحسب حجمها فهي تتراوح من ١٠٫٠٠٠ إلى ١١٫٠٠٠ عدد = ٢٥٠ درهماً .

٥- الأقجة : وهي أصغر وحدات النقود الفضية العثمانية ، أخذت الأقجة تسميتها بالمبيضة أو البيضاء في البداية لغلبة الفضة على معدنها ، حيث كان عيارها يبلغ نحو ٩٠٪ ووزنها ٣/٤٫٥ قيراط وقطرها ١٨ مم ، في حين سماها العثمانيون الدرهم العثماني . ووزنها وعيارها تعرضا لانخفاض مستمر ، وفي القرن الثامن عشر تدنى وزن الأقجة إلى ثلاث أرباع قيراط ، وفي سنة ١٨١٨م خفض إلى ١/٢ قيراط ، وأنخفض عيارها من ٧٠٪ إلى ٤٦٪ ، وفي سنة ١٨٢٧م أصدر السلطان محمود الثاني أمراً بإيقاف ضربها ، بعد أن كانت خلال مراحلها الأولى من أكثر النقود العثمانية رواجاً وتعاملاً في مختلف الأسواق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- الباره : عملة فضية وتعني (الفلوس) استخدمت البارة كعملة في سائر الولايات وكانت تزن ١/٢ـ٥ قيراط ، وكل عشر بارات تساوي قرشاً أي ١/٤٠ من القرش ، وهي الآن من العملات البخسة لفظاً وقيمة ، وفي مطلع القرن السابع عشر سُكت كجزء من القرش أو الأقجة .

٧- البرغوت : نقد عثماني من الفضة سُكت سنة ١٨٥٠م في عهد السلطان عبد المجيد ، قيمة البرغوت قرش صاغ ، وهو تحريف للكلمة التركية (برغروش) أي قرش واحد عرّبه عوام الشوام ولفظوه برغوط لصغر حجمه ، وفي سنة ١٨٦٣م سك السلطان عبد العزيز قطعة فضية أكبر من القطعة الأولى التي سكها السلطان عبد المجيد فسميت برغوط كبير ويساوي قرشين ، وكل قرش يساوي ٤٠ باره وبذلك يكون

البرغوط الكبير = ٤٠ ×٢ = ٨٠ قرشاً

البرغوط الصغير = ٤٠× ١ = ٤٠ قرشاً .

٨- القرش : كلمة قرش هي في الأصل تحريف للصفة اللاتيني Grossus التي تنطبق على أنماط مختلفة من الدينار الذي سكه الأوربيون لأول مرة . دخلت هذه الكلمة اللغة التركية ولفظت Gurus ومن الألمانية Groschen ومن التركية نقلت إلى العربية وجمع قرش قروش وإن أقدم إشارة إلى ضرب القرش كنقد فضي عثماني ترجع إلى عهد السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠- ١٥٦٦م ، والقروش التركية أخف وزناً من القروش الأوربية ، والقرش نوعان : ١- قرش صاغ : يساوي أربعين بارة .

٢- قرش رائج : يساوي ربعه أي عشرة بارات .

ويعد السلطان أحمد الثاني أول من أعتمد القروش عملة رسمية وأمر بإدخالها في الحسابات الرسمية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

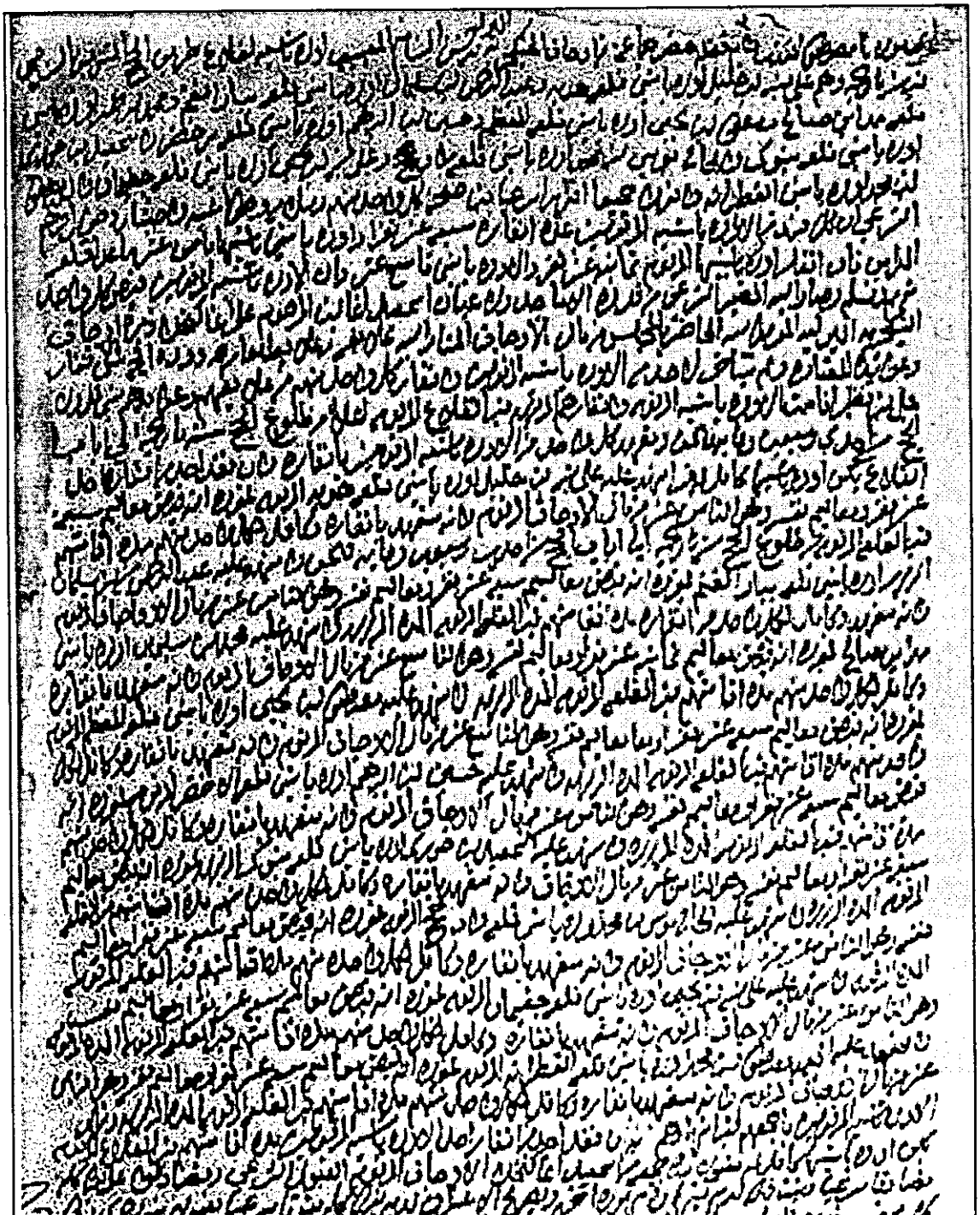

صيانة القلاع على طريق الحج الشامي

سجل رقم ١٤١ ، وثيقة رقم ٣٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٦)

وثيقة يتضح فيها التجارة خلال موسم الحج وبخاصة مادة البن عام ١١٥٩ هـ

سجل محاكم شرعية دمشق ١١٥ الوثيقة ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرحلة الرابعة والعشرون من الدبان الى الينبع وهي عشر ساعات
المرحلة الخامسة والعشرون من الينبع الى الزمرد وهي ست عشرة ساعة
المرحلة السادسة والعشرون من الزمرد الى الجديد وهي ثمان ساعات
المرحلة السابعة والعشرون من الجديد الى البراقة وهي اربع عشرة ساعة
المرحلة الثامنة والعشرون من البراقة الى هديه وهي ست ساعات
المرحلة التاسعة والعشرون من هديه الى اصطبل عنتر وهي ثمان عشرة ساعة
المرحلة الثلاثون من اصطبل عنتر الى بيار ناصيف وهي عشر ساعات
المرحلة الحادية والثلاثون من بيار ناصيف الى المدينة المنورة وهي عشرون ساعة

فجملتها ثلاث مائة واثنان واربعون عقبة واحدى وثلاثون مرحلة واحدى وثلاثون محطة

في بيان الطريق من المدينة المنورة الى مكة المكرمة

وهو طريقان طريق غربي يمر على رابغ له اربعة فروع اليها وطريق شرقي لا يمر عليها ولا يتفرع

الطريق الاول الغربي

ان هذا الطريق الغربي الذي يمر على رابغ لمن المدينة الى رابغ اربعة فروع تنتهي بطريق واحد عند رابغ الفرع الاول يقال له السلطاني والفرع الثاني يقال له الغائر والفرع الثالث يقال له الفرعي والفرع الرابع يقال له عند اهل الحجاز الملف وعند اهل الشام الواسطة الفرع الاول السلطاني

وهو الاول من جهة البحر فالبحر في جهة الغربية وفي جهة الشرقية طريق الغائر وطول المدينة الى رابغ خمس وسبعون عقبة ومراحلات وربع على سير الجمال المعتاد وعدد مراحله باعتبار سير الركب اثنتي سبع ومحطاته كذلك.

المرحلة الاولى من المدينة الى بيار علي وهي ثلاث ساعات
المرحلة الثانية من بيار علي الى الشهداء وهي اثنا عشرة ساعة
المرحلة الثالثة من الشهداء الى الجديدة وهي عشرة ساعات
المرحلة الرابعة من الجديدة الى الصفراء وهي عشرة ساعات
المرحلة الخامسة من الصفراء الى بدر وهي ثمان ساعات
المرحلة السادسة من بدر الى المستورة وهي عشرون ساعات
المرحلة السابعة من المستورة الى رابغ وهي اثنتا عشرة ساعة

وفي بيار علي جملة ابار وفي الشهداء بير يقال له بير عباس وفي هذا الطريق اسهل الطرق كلها واعمرها واقل طولا منها كلها الا الغائر والملف وسيأتي انه لا يمكن سلوكه الا بصعوبة ولذا لا يسلكه الركب الشامي اصلا لتعذر سلوك المحفات منه

(الفرع الثاني الغائر)

وهو ما بين السلطاني والفرعي فالسلطاني من جهة الغربية والفرعي من جهة الشرقية ولا يعرف طوله تحديدا لان الطول الذي نذكره في غيره انما قدره الذين يسيرون مع الركب الشامي واما ركوب المدينة وقوافل مكة فخلاف فلا سيرها وكونه على غير نظام لم يقدروه ولكن نذكر المواقع التي فيه وهي بيار علي وبير الماشي

مخطوط محمد عارف المنير (السعادة النامية الأبدية في السكة الحديدية الحجازية)

ملحق رقم (٨)

جدول بما يقابل السنة الهجرية في السنة الميلادية .

السنة الهجرية	السنة الميلادية
١٢١٥	١٨٠٠
١٢١٦	١٨٠١
١٢١٧	١٨٠٢
١٢١٨	١٨٠٣
١٢١٩	١٨٠٤
١٢٢٠	١٨٠٥
١٢٢١	١٨٠٦
١٢٢٢	١٨٠٧
١٢٢٣	١٨٠٨
١٢٢٤	١٨٠٩
١٢٢٥	١٨١٠
١٢٢٦	١٨١١
١٢٢٧	١٨١٢
١٢٢٨	١٨١٣
١٢٢٩	١٨١٣
١٢٣٠	١٨١٤
١٢٣١	١٨١٥
١٢٣٢	١٨١٦
١٢٣٣	١٨١٧
١٢٣٤	١٨١٨
١٢٣٥	١٨١٩
١٢٣٦	١٨٢٠
١٢٣٧	١٨٢١
١٢٣٨	١٨٢٢
١٢٣٩	١٨٢٣
١٢٤٠	١٨٢٤
١٢٤١	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٤٢
١٢٤٣
١٢٤٤
١٢٤٥
١٢٤٦
١٢٤٧
١٢٤٨
١٢٤٩
١٢٥٠
١٢٥١
١٢٥٢
١٢٥٣
١٢٥٤
١٢٥٥
١٢٥٦
١٢٥٧
١٢٥٨
١٢٥٩
١٢٦٠
١٢٦١
١٢٦٢
١٢٦٣
١٢٦٤
١٢٦٥
١٢٦٦
١٢٦٧
١٢٦٨
١٢٦٩
١٢٧٠

١٨٢٥
١٨٢٦
١٨٢٧
١٨٢٨
١٨٢٩
١٨٣٠
١٨٣١
١٨٣٢
١٨٣٣
١٨٣٤
١٨٣٥
١٨٣٦
١٨٣٧
١٨٣٨
١٨٣٩
١٨٤٠
١٨٤١
١٨٤٢
١٨٤٣
١٨٤٤
١٨٤٥
١٨٤٥
١٨٤٦
١٨٤٧
١٨٤٨
١٨٤٩
١٨٥٠
١٨٥١
١٨٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٧١	١٨٥٣
١٢٧٢	١٨٥٤
١٢٧٣	١٨٥٥
١٢٧٤	١٨٥٦
١٢٧٥	١٨٥٧
١٢٧٦	١٨٥٨
١٢٧٧	١٨٥٩
١٢٧٨	١٨٦٠
١٢٧٩	١٨٦١
١٢٨٠	١٨٦٢
١٢٨١	١٨٦٣
١٢٨٢	١٨٦٤
١٢٨٣	١٨٦٥
١٢٨٤	١٨٦٦
١٢٨٥	١٨٦٧
١٢٨٦	١٨٦٨
١٢٨٧	١٨٦٩
١٢٨٨	١٨٧٠
١٢٨٩	١٨٧١
١٢٩٠	١٨٧٢
١٢٩١	١٨٧٣
١٢٩٢	١٨٧٤
١٢٩٣	١٨٧٥
١٢٩٤	١٨٧٦
١٢٩٥	١٨٧٧
١٢٩٦	١٨٧٨
١٢٩٧	١٨٧٨
١٢٩٨	١٨٧٩
١٢٩٩	١٨٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٠٠	١٨٨١
١٣٠١	١٨٨٢
١٣٠٢	١٨٨٣
١٣٠٣	١٨٨٤
١٣٠٤	١٨٨٥
١٣٠٥	١٨٨٦
١٣٠٦	١٨٨٧
١٣٠٧	١٨٨٨
١٣٠٨	١٨٨٩
١٣٠٩	١٨٩٠
١٣١٠	١٨٩١
١٣١١	١٨٩٢
١٣١٢	١٨٩٣
١٣١٣	١٨٩٤
١٣١٤	١٨٩٥
١٣١٥	١٨٩٦
١٣١٦	١٨٩٧
١٣١٧	١٨٩٨
١٣١٨	١٨٩٩
١٣١٩	١٩٠٠
١٣٢٠	١٩٠١
١٣٢١	١٩٠٢
١٣٢٢	١٩٠٤
١٣٢٣	١٩٠٥
١٣٢٤	١٩٠٦
١٣٢٥	١٩٠٧
١٣٢٦	١٩٠٨
١٣٢٧	١٩١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٩).

ولاة الشام في العهد العثماني

من ١٢١٥- ١٣٢٨هـ

١٨٠٠- ١٩١٠م

	تاريخ التعيين		المدة	
	الهجري	الميلادي	سنة	شهر
١- عبد الله باشا العظم (مرة ثانية)	١٢١٥هـ	١٨٠٠م	٤	٠
٢- أحمد الجزار (مرة رابعة)	١٢١٨هـ	١٨٠٣م	١	٠
٣- إبراهيم باشا القطرأغاشي (مرة ثانية)	١٢١٩هـ	١٨٠٤م	١	٦
٤- عبد الله باشا العظم (مرة ثالثة)	١٢٢١هـ	١٨٠٦م	٢	٠
٥- كنج يوسف باشا	١٢٢٣هـ	١٨٠٨م	٢	٠
٦- سليمان باشا	١٢٢٥هـ	١٨١٠م	٢	٠
٧- سليمان باشا سلحدار	١٢٢٧هـ	١٨١٢م	٢	٠
٨- علي باشا روملي	١٢٣١هـ	١٨١٥م	٠	٣
٩- علي باشا الحافظ	١٢٣٢هـ	١٨١٦م	٤	٠
١٠- مصطفى باشا شيشمان	١٢٣٦هـ	١٨٢٠م	٠	٣
١١- صالح باشا معدنلي	١٢٣٦هـ	١٨٢٠م	٠	٠
١٢- درويش باشا (صدر أسبق)	١٢٣٦هـ	١٨٢٠م	٣	٠
١٣- صالح باشا (صدر أسبق)	١٢٣٩هـ	١٨٢٣م	١	٠
١٤- مصطفى باشا بيلاني	١٢٤٠هـ	١٨٢٤م	٢	٠
١٥- ولي الدين باشا	١٢٤٢هـ	١٨٢٦م	٢	٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسم	تاريخ التعيين		المدة	
	الهجري	الميلادي	سنة	شهر
١٦- صالح باشا (مرة ثانية)	١٢٤٣هـ	١٨٢٧م	١	٠
١٧- عبد الرءوف باشا	١٢٤٤هـ	١٨٢٨م	٢	٢
١٨- سليم باشا	١٢٤٦هـ	١٨٣٠م	١	٠
١٩- حاجي علي باشا	١٢٤٧هـ	١٨٣١م	٠	٠
٢٠- إبراهيم باشا المصري	١٢٤٧هـ	١٨٣١م	٩	٠
٢١- حاجي علي باشا (مرة ثانية)	١٢٥٦هـ	١٨٤٠م	١	٠
٢٢- نجيب باشا	١٢٥٦هـ	١٨٤٠م	١	٠
٢٣- أحمد باشا	١٢٥٧هـ	١٨٤١م	٠	٣
٢٤- علي رضا باشا بغدادي	١٢٥٨هـ	١٨٤٢م	٣	٠
٢٥- خالد باشا	١٢٦٠هـ	١٨٤٤م	٠	١
٢٦- علي باشا	١٢٦٠هـ	١٨٤٤م	١	٠
٢٧- موسى صفوتي باشا	١٢٦١هـ	١٨٤٥م	٢	٠
٢٨- خليل باشا الكاملي	١٢٦٤هـ	١٨٤٧	١	٠
٢٩- عثمان باشا	١٢٦٥هـ	١٨٤٨	١	٠
٣٠- داماد محمد سعيد باشا	١٢٦٦هـ	١٨٤٩م	١	٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسم	تاريخ التعيين		المدة	
	الهجري	الميلادي	سنة	شهر
٣١- أحمد عزت باشا أرزنجانلي	١٢٦٧هـ	١٨٥٠م	١	٠
٣٢- إسحاق باشا	١٢٦٨هـ	١٨٥١م	٠	٤
٣٣- علي عشقر باشا	١٢٦٩هـ	١٨٥٢م	١	٦
٣٤- محمد عارف باشا	١٢٧١هـ	١٨٥٤م	٠	٤
٣٥- صالح وامق باشا	١٢٧٢هـ	١٨٥٥م	١	٠
٣٦- محمود نديم باشا (صدر أسبق)	١٢٧٣هـ	١٨٥٦م	٠	١
٣٧- مصطفى باشا	١٢٧٤هـ	١٨٥٧م	٠	١
٣٨- أحمد عزت باشا (مرة ثانية)	١٢٧٤هـ	١٨٥٧م	١	٠
٣٩- علي باشا كوتاهيةلي	١٢٧٥هـ	١٨٥٨م	١	٠
٤٠- خليل باشا كاملي (مرة ثانية)	١٢٧٦هـ	١٨٥٩م	٠	٣
٤١- أحمد عزت باشا (مرة ثانية)	١٢٧٦هـ	١٨٥٩م	١	٠
٤٢- معمر باشا	١٢٧٧هـ	١٨٦٠م	٠	٣
٤٣- محمد أمين باشا	١٢٧٨هـ	١٨٦١م	؟	؟
٤٤- محمد باشا (مشير ضبطية أسبق)	١٢٧٨هـ	١٨٦١م	١	١
٤٥- شروانلي محمد رشدي باشا	١٢٧٩هـ	١٨٦٢م	٢	٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسم	تاريخ التعيين		المدة	
	الهجري	الميلادي	سنة	شهر
٤٦- أسعد مخلص باشا	١٢٨٢هـ	١٨٦٥م	٠	٩
٤٧- محمد راشد باشا	١٢٨٣هـ	١٨٦٦م	٥	٣
٤٨- عبد اللطيف صبحي باشا	١٢٨٨هـ	١٨٧١م	١	٣
٤٩- محمد حالت باشا	١٢٨٩هـ	١٨٧٢م	١	٧
٥٠- أسعد باشا العظم	١٢٩١هـ	١٨٧٤م	٠	٥
٥١- أحمد حمدي باشا (صدر أسبق)	١٢٩٢هـ	١٨٧٥م	١	٤
٥٢- راشد باشا الناشد	١٢٩٣هـ	١٨٧٦م	٠	٨
٥٣- ضياء باشا	١٢٩٣هـ	١٨٧٦م	٠	٤
٥٤- عمر فوزي باشا	١٢٩٤هـ	١٨٧٧م	٠	٨
٥٥- أحمد جودت باشا	١٢٩٥هـ	١٨٧٨م	٠	٩
٥٦- مدحت باشا (صدر أسبق)	١٢٩٧هـ	١٨٧٩م	١	٨
٥٧- أحمد حمدي باشا (مرة ثانية)	١٢٩٨هـ	١٨٨٠م	٥	٠
٥٨- راشد باشا ناشد (مرة ثانية)	١٣٠٣هـ	١٨٨٥م	٢	٥
٥٩- نظيف باشا	١٣٠٥هـ	١٨٨٧م	١	٨
٦٠- مصطفى عاصم باشا	١٣٠٧هـ	١٨٨٩م	١	٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسم	تاريخ التعيين		المدة	
	الهجري	الميلادي	سنة	شهر
٦١- عثمان نوري باشا	١٣٠٨هـ	١٨٩٠م	٠	٦
٦٢- إسماعيل كمال بك (بالوكالة)	١٣٠٩هـ	١٨٩١م	٠	١
٦٣- رءوف باشا	١٣٠٩هـ	١٨٩١م	٢	٠
٦٤- عثمان نوري باشا (مرة ثانية)	١٣١١هـ	١٨٩٣م	٢	٠
٦٥- نصوحي بك (بالوكالة)	١٣١٣هـ	١٨٩٥م	٠	٠
٦٦- الحاج حسن رفيق باشا	١٣١٣هـ	١٨٩٥م	١	٠
٦٧- حسين ناظم باشا	١٣١٤هـ	١٨٩٦م	١٣	٠
٦٨- شكري باشا(أعلن في أيامه الدستور)	١٣٢٦هـ	١٩٠٨م	-	-
٦٩- حسين ناظم باشا (مرة ثانية)	١٣٢٧هـ	١٩٠٩م	-	-
٧٠- إسماعيل فاضل باشا	١٣٢٨هـ	١٩١٠م	-	-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم (١٠).

هذه قصيدة لـــ محمد السنوسي ، في وصف ركب الحج الشامي ومنازله ، وذلك عند مرافقته لقافلة الحج الشامي ، وهي في طريق العودة ، حيث كانت عادة المغاربة زيارة بيت المقدس ، قبل العودة إلى أرض الوطن .

شَدَدتُ رحالي أقصدَ المسجد الأقصى ... بُعيدَ مـزَارِ فضلهُ ليس يُستقصا
بُعيدَ مزارِ الحج والمسجد الذي ... برَوْضة خَيرِ المُرسلينَ قد اختصَّا
فكُنتُ إلى أقصى المراحل آخذاً ... زمَام بغير في قطار قد ارتصَّا
قطار بها آلاف نوق تؤمُها ... عساكر أبطال على الخيل لاتُحصا
هو الرَّكْبُ وسْطاهُ الأمير بتختهِ ... يسير منه الأمر إذ ذاك لايُعصا
وأعلامُ هذا الرَّكب كُلٌ محَّفة ... على جملٍ من حُسْنِ تبويبها خصَّا
لها قادة هم آخذون خطامها ... لسيرٍ باتفاق كاملٍ لم يُسَمْ نقْصاَ
ومن حولهم قوم على الإبل امتطو ... حُمولَتَها لا يلتقون بها وقصا
وقومُ رجالُ سائرون ومنهم ... من الباعة القوم الأُلى حملوا شصَّا
ترى مدى آبصارِ سموطاً تنظّمت ... من الر كب لم يختل ميزانها رهصا
تسيرُ بياض اليومِ من بُكرة وإن ... طمحت عينه تنْحازُ ميزانها للمبلغِ الأقْصا .
وفي سيره تَلْقاهُ أفعمَ وأدبَا ... بمنسابه حقَّ الفضاءِ لقد عصا
ويحكي إذا ماحاط بالشُّم خاتماً ... ومحملُ خير الخلقِ فيه حكى قصَّا
فإن شمر الليلُ القميص تَرَ الألى ... يشدون رحلاً عاجلو صنعهم حرِصا
وماهي طرفةُ وقد انطوتْ ... خيامُ وكُلُّ الرحل مُحْتكمُ عقْصا
فإن صَدَرَ الإذن العميمُ بمدفع ... لهُ نهضت أنعَامُهم وهو لا يُعصَا
فتأخذ مسراها بحُسنِ انتظامِها ... وتَسلُكُ من افجاجها مسلكاً وعْصَا
هو المحمل الشَّامي ومن شامَ حُسنهُ ... يَشُمْ شيماً من شانِها قصد القمصا
به في طريق الرُّشد قد كان مركبي ... على جَمَلٍ ما طاله جَبَلُ دعصا
ولكن هاتيك المحفة قد حوَتْ ... بخيبين كل منهما عادل شخصا
يسير بها فحل صبور لمنزلٍ ... به الرَّحَل لا يخشى له أبداً لصا
وفيه اشترينا في محل هديّةً ... تلقتّهم في مرجع الفوزِ لا يُحْصىَ
وسَرِنا فأبصرنا مَدَائِنَ صالح ... بيُوتاً من الأعْلاَمِ قد انحنت رقصا
وفيها رأيْنَا مَبركَ الناقة التي ... بأشقَى ثمُود عقرهَا جَلَبَ النَّقْصَا
وما قد أصاب القومَ من غضب بهِ ... هُم هَلكُوا والتاحَ عصر أنهمْ عصَّا
وما زال حتى اليوم فيه مواعظُ ... برؤية أعلامٍ قد انقلبت نكْصَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــرى سيـــرَ نصفِ اليوم مُنقلباً بها ... ومـــن غضـــب الجبـــار قـــد كُسبت قُمصَا
جِـبَالُ وأطْلالُ ووعـــرُ تـــوحشت ... بـــه أنْفُس مَـــدْ أبـــصَرت مـــوُعظا نصًّـــا
لـــه اندهشَتْ عُجْمُ الجمال ونحن في ... تـــعوُّذِ مـــن يـــدري بـــمَا اللَّـــهُ قـــدْ نصـــاً
ولكـــن فـــي تِلْكَ المـــدائنِ ألقيـــتْ ... رواحـــل فيهـــا جُـــردة الشـــام لا يُحصـــى
وفيهـــا لأهل الرَّكب ما سرَّ جمعهم ... هـــدَايا وأمْـــوالُ لـــهـــا أسْـــرَعـــوا قصـــا
وفـــيه مـــبيعـــاتُ وأمتعـــة أتـــتْ ... وأنـــواعُ أكْـــلٍ ماشكـــوا بعـــدهُ نحصـــا
يحـــوطهمُ حـــرسُ النظام عليهـــمُ ... أميـــر قطاع لُقيانـــا تـــرى البِشْـــرَ لا يحصى
وكـــل فتـــىً جاءت مكاتيـــب أهْله ... تـــراهُ عـــلـــى أرفـــاقـــه خبـــراً قـــصّـــا
وجئنـــا تبوكـــا والبريـــدُ بها حوى ... رســـائـــلنـــا واجتـــاز يُســـرعُ مـــقتصًّـــا
وكـــان معانـــا ركبـــنـــا الأهنـــاء ... فـــجئنـــا معانـــا وهـــي قـــد كسيت جِصّـــاَ
وبالسير منها قد تجاوزت وادي المـــ ... سُـــوخ وبـــطـــن العُـــول مُنتهمـــاً جـــرْصـــا
وجئـــنا إلـــى الزرقاء أبهج منتزه ... بـــإوديـــة تـــجـــري بـــجالصهـــا خـــلْصـــا
عَـــليها درابيز مِنَ القصب الـــذي ... بـــمـــنبـــتـــه إذْ ذاك لـــم يـــنل الـــقـــصـــا
وأقبـــل حرسُ الحجز تحت حكيمهم ... ومـــنْ خشيـــة الأمـــراض يسبـــرنـــا فحصا
فـــأوقفنـــا عشـــراً تحقـــق طهرنا ... مـــن المـــرض المُنخشـــى من بعدما أستعصى
إلـــى أن أبـــان الله حيـــن سلامة ... وأعطـــى بهـــا ذاك الطبيـــب لنـــا بهـــا نصّـــاَ
وجئنـــا قرى حوران وهـــي كثيرة ... مُـــلاقـــى قِـــرى سكانـــهـــا لا نـــرى نكصّـــاَ
وفـــي طفس عزَّ المسيترُ وأحجمت ... رواحلنـــا أنْ تـــقـــتـــفـــي أرضـــاُ غـــوْصّـــا
لِهـــذا أرضاهـــا إراحـــة مُشْفـــقٍ ... وَرُمـــنـــا جيـــادَ الخيـــل نـــطلبهـــا حِرصـــا
فـــخضنا بهـــا ليلاً طويلاً وموطئاً ... عـــليـــلاً نرى فضل المسيـــر إلـــى الأقصـــى
وفـــي كســـوة تم المبيتُ فأصبحتْ ... وفـــود ديـــار الشـــام تـــســـتـــقبـــلُ القنصـــا
هنـــاك تـــرى القوم الملاقين وودًّا ... عـــليتهـــم بشْـــرُ قـــد تـــوازدَ لا تـــحـــصـــى
فمـــن والدٍ قـــد ضـــم نجلاً وضمّه ... ومـــن مشفـــقٍ بالـــبشـــر عنـــد الـــلّقـــا غَصّـــاَ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحـــق الصـــور والخرائط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

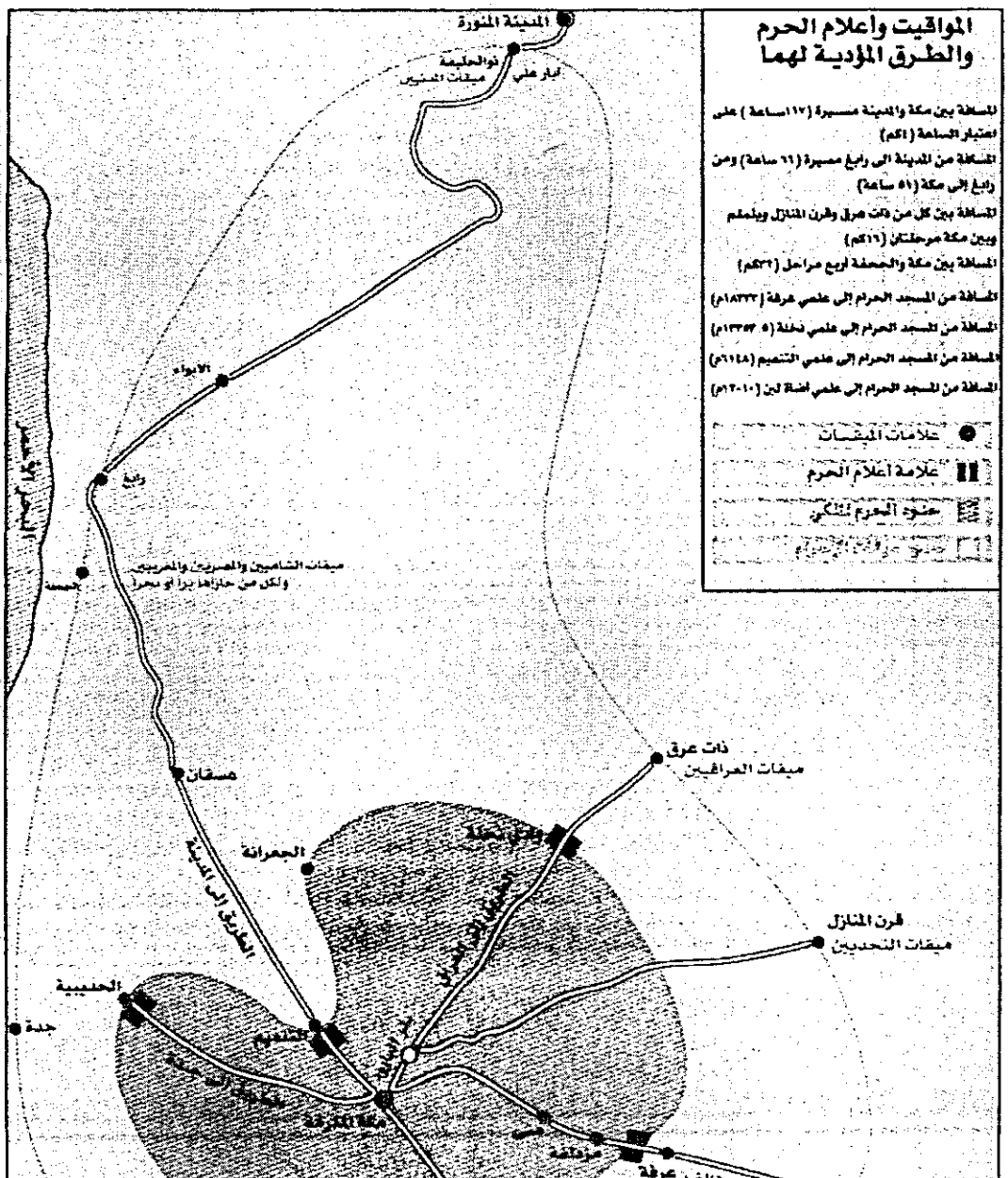

الشكل رقم (١): المصدر السيرة النبوية : أبو الحسن علي الحسني الندوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

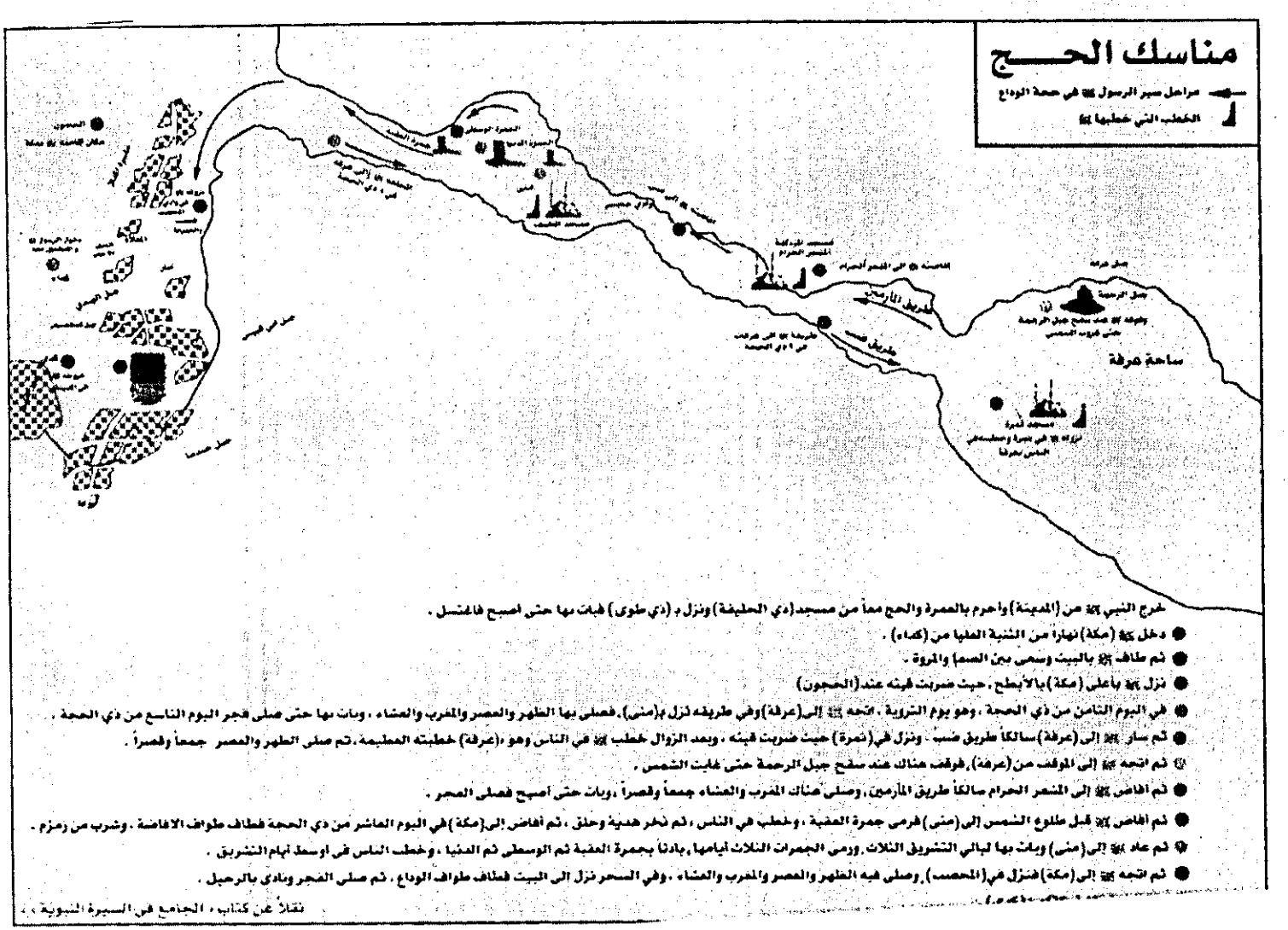

الشكل رقم (٢): المصدر السيرة النبوية : أبو الحسن علي الحسني الندوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

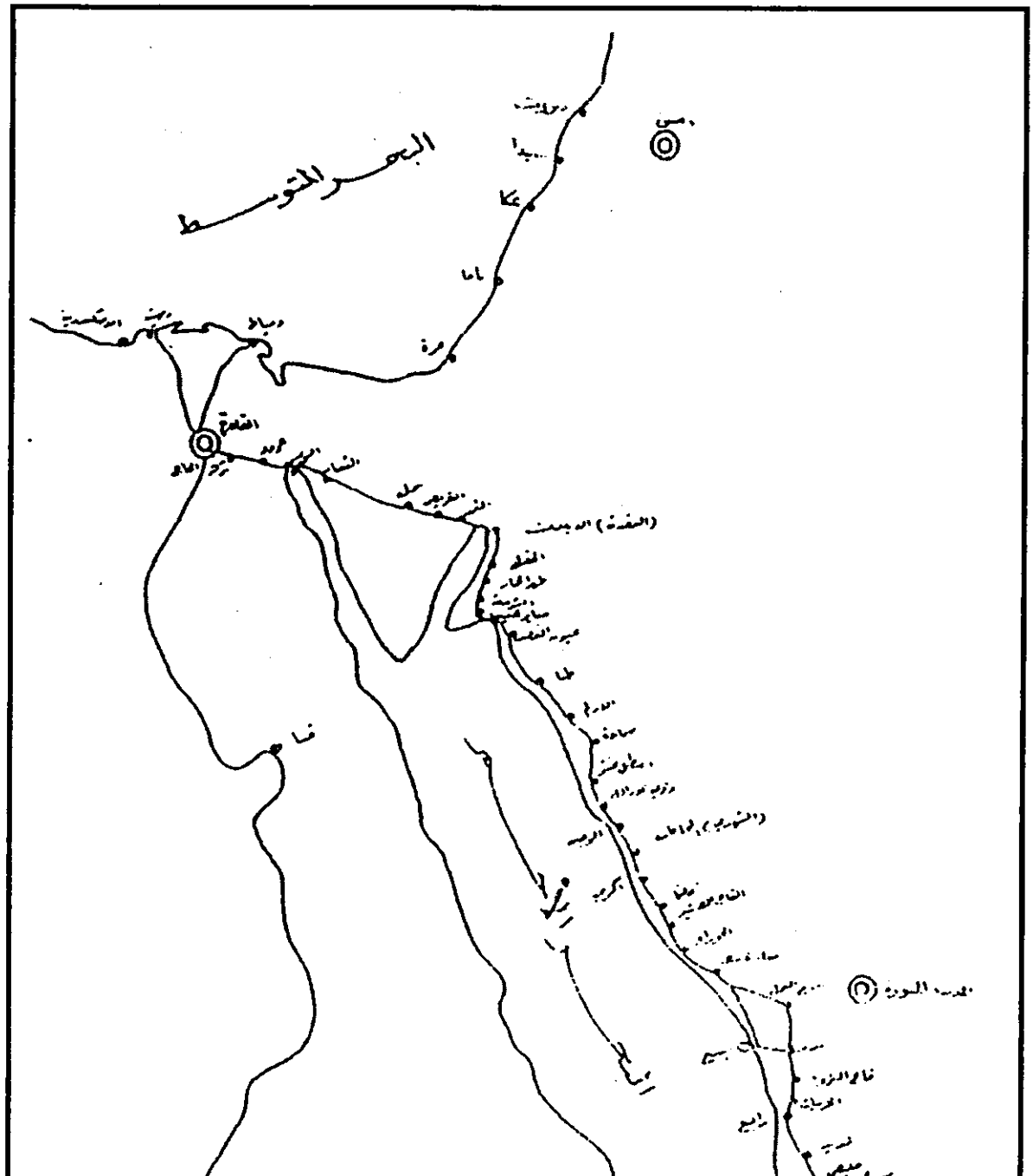

الشكل رقم (٣): منازل الحج المصري

المصدر: بلاد الشام ومصر، عبد الكريم رافق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (٤)

المصدر: بلاد الشام ومصر ، عبد الكريم رافق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

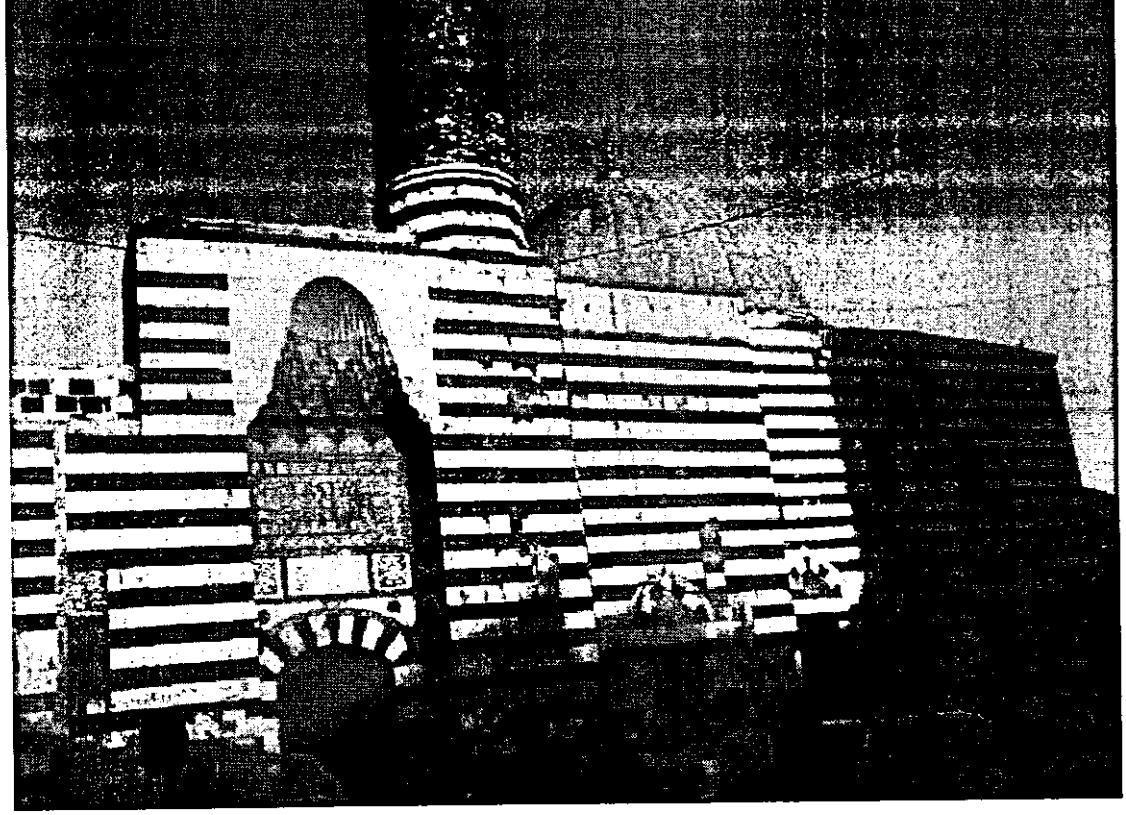

الشكل رقم (٥): حي ومسجد السنانية في دمشق التي كانت تمر منه قافلة الحج (تصوير الباحث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة رقم (٦): جسر المعظم المصدر WWW.NOZHTY.COM

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكل رقم (٧): شكل لباس الاحرام (تصوير الباحث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة رقم (٨): قلعة الأخضر (الأخيضر) WWW.NOZHTY.COM

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة رقم (٩): بركة المعظم وهي خالية من المياه WWW.NOZHTY.COM

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة رقم (١٠): منظر للآبار الموجودة على طريق الحج والتي كانت تجمع فيها المياه لسقاية الحجاج WWW.NOZHTY.COM

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

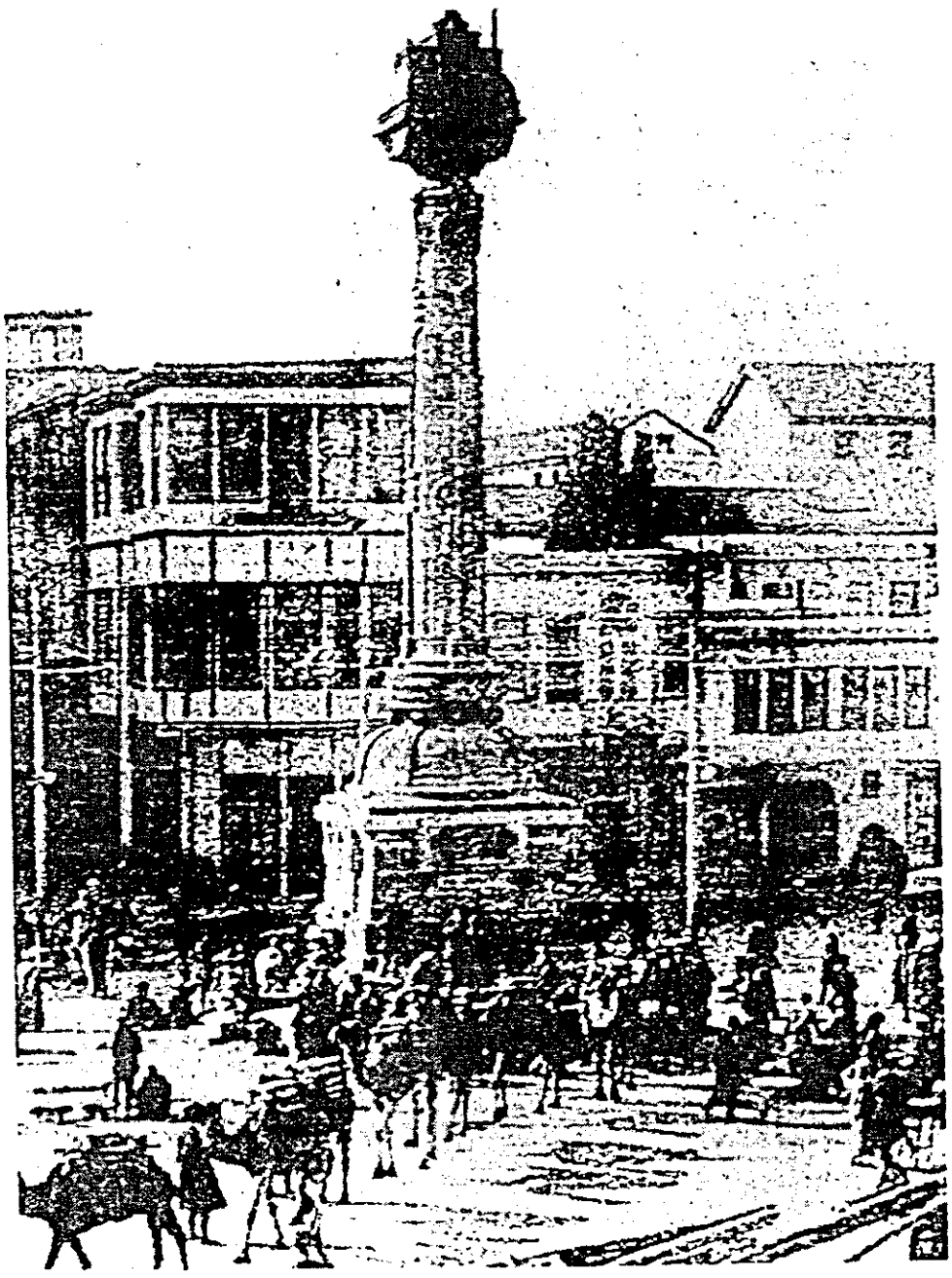

الشكل رقم (١١): قوافل الجمال التجارية في ساحة المرجة ١٩١٤

المصدر: دمشق بين الماضي والحاضر، محمد العش.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــفهـــارس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الأعـــلام:

- أ-

إبراهيم باشا

١٣٢، ١٣٣ ، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٣.

أبن رومي

١١٥ .

ابن سعود

٣٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

أبو عودة الجيوشي

٣٠

أحمد الجزار

أسعد باشا العظم

٦١ ،

إسماعيل باشا العظم

٥٢ ، ١٣٧ ،

الكنج يوسف باشا

١٣٠

آن بلنت

٧٧ ، ٨٤

- ب-

بروسبير أنفانتان

١٣٦

بلي بن عمرو

١٣٤

بيازيد الثاني(السلطان)

٤٦

- ج-

جان برد الغزالي

٣٨ ،

جقمق

٦١

جوهان بوركهارت

٨٤

- ح-

حسن كرار

١٣٠

حرب بن سعد

١٢٤

- خ-

خليل الفتال

١٣٤

- ز-

زامبل

زيد بن ثابت

٣١

- س-

سطام فندي الفايز

١٢٣

سليمان القانوني (السلطان)

٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٢

سليم (السلطان)

٨ ، ١١١ ، ١٢٩

سليمان باشا

٣٠ ، ٥٢ ، ٦١ ، ١١٤ ، ١٣١

سليمان شفيق

١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ش-

شاكر باشا

١٤١

شجرة الدر

٣٤

الشريف حسين

١٥٤ ، ١٥٥

- ط-

طوسون

١٣١

-ظ-

الظاهر بيبرس

٣٤

ظاهر العمر

١٢٢

سعيد باشا

١٣٦ ، ١٣٧

- ع-

عائشة عثمان أوغلي

٥٠

عباس حلمي الثاني

١٤٤

عبد الحميد الثاني (السلطان)

٥٠ ، ٧٨ ، ١٤١ ، ١٤٢، ١٤٤،

١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،

عبد الغني النابلسي

٨٤

عبدالله باشا الجته جي

١٢١

عبد الله باشا العظم

٢٧ ، ١٢٩

عثمان الثاني (السلطان)

١٦٤

عثمان نوري باشا

١١٥ ، ١٤١

عزت باشا العابد

١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧

- ف-

فرديناند ديليسبس

١٣٦ ، ١٣٧

فرمان باشا

١٤٨

فندي الفايز

١١٦

- ك-

كاظم باشا

١٥٧

كامل الغزي

٨٠

- ل-

لورنس

١٥٥

- م-

محمد البتنوني

٧٥ ، ٨٤

محمد بن دوخي

١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن عبد الوهاب
٦٦ ، ١٢٨
محمد رشيد باشا
١١٦
محمد علي باشا
٢٧ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦٣ .
محمد مهدي أستانبولي
٧٩
محمود الثاني (السلطان)
١٣٠
مراد الثالث (السلطان)
٩١
مراد المرادي
٨٣
مصطفى باشا
١٩
مصطفى بن محمد(أبي الذهب)
٤٣
مطير بن علي بن عثمان
١٢٦
- ن-
نابليون بونابرت
١٣٦
نصوح باشا
٩٦
- و-
ولي الدين باشا
٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الأماكـــن

– أ–

أبار الغنم
٩٥ .

آبار علي
٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ .

آبار ناصيف
٩٦ ، ١٥٤ .

أبوطاقة
١٥٤.

الأخضر(الأخيضر)
٩٣ ، ١٥٣ .

الأردن
٨٩ ، ٩٠ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٣ ،
١٥٦ ، ١٥٧ .

أزربيجان
٢٠ .

ازرع
١٥٢ ، ١٥٩ .

أزميت أسكي
١٤١.

أسبانيا
١٤٦ .

الأستانة
٦٢ ، ١٣٧ ، ١٤١ .

أستنبول
٤٥ ، ٨٦ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
١٤٣ ، ١٤٧ .

الأسكندرون
١٥٠ ، ١٦٣ .

الإسكندرية
١٣٨ .

اسكي شهر
١٤١ .

السودان
١٤٥.

أسيا
٢٣ ، ٦٠ ، ١٣٨ ، ١٤٥ .

اصطبل عنتر
٢٣ . ١٠٧ ، ١٥٤ .

أضنه
٤٨ .

أفريقيا
١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١٤٥ ،

أفغانستان
٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأقيعية
٢٠ .
أم الضباع
٩٨ ، ١٠٢ .
أمريكا
١٤٦ .
أملج
١٢٤ .
الأناضول
٢٣ ، ٤٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ .
الأندلس
أندونيسيا
١٩ .
أنطاكية
١٣٣ .
أوربا
١٣٧ ، ١٤٦ .
إيران
٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٤.
-ب-
بئر البارود
١٠٤ .
بئر حصاني
١٠١ ،
البئر الجديد
٩٥ ، ١٠٧ ، ١٥٤ .
بئر الزمرد
٩٥ ، ١٠٨ ، ١٥٤ .
بئر الشونة
١٥٣ .
بئر الشيخ
١٠١ .
بئر الماشي
٩٧ ، ١٠٢ .
بئر درويش
١٠١ .
بئر رضوان
١٠٢ .
البئر الصغير
١٠٧ .
بئر عنبر
٨٠ .
بئر قريص
٢٣ .
بئر نصيف
١٠٧ .
بئر هرماس
١٥٣ .
باب الجابية
٣١ .
باب السريجة
٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باب شرقي
٢٥ ، ٣٤ .
باب كيسان
٢٥ ، ٣٤ .
باب مصلى
٢٥ .
بادية الشام
٩١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٧ .
البحر الأبيض المتوسط
٢٢ ، ١٣٤ ، ١٦٣ .
البحر الأحمر
١٨ ، ٥٥ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ،
١٤١ ، ١٦٣ .
البحر الميت
١٤١ .
بحرة
١٤٠ .
البدائع
١٥٤ .
بر أم القروة
١٤٠ .
البراقة
١٠٧.
البرامكة
١٤٦ .
بركة الحاج
٢٣ .
بركة زبيدة
١٠٤ ، ١٠٥ .
بروسيا
١٣٧ .
بريدة
١٢٥ .
بريطانيا
١٥١ ، ١٥٥ .
بستان بني عامر
٢٠ .
البصرة
٢٠ .
البطان
٢٠.
بطن الغول
١٠٨ ، ١٥٣.
بغداد
٢٠ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٤٧ .
بلاد الجبلين
١٢٠ .
بلاد الحجاز
١٢٨ .
بلاد الشام
٨ ، ٩ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦
، ٤٩ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٠،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ،
١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلجيكا
١٤٦ .
بلد الشيخ
١٤٩ .
البلقاء
٩٠ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .
البلقان
٢٢ ، ٢٣ ، ١٣٨ ، ١٤٥ .
البندقية
٤٧ ، ١٣٧ .
البوسنة
٤٧ .
البولقة
١٥٤ ، ١٥٨ .
البويرة
١٥٤ .
البياضه
١٠٣ .
بيت العقبة الصغير
١٩ .
بير الهندي
٢٣ .
بيروت
١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦٣ .

ـ ت ـ
تبوك
١٨، ٨٠ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٥٣ .
تدمر
٦٢ .
تركستان
٧٦ .
تركيا
٨٠ .
تعز
١٩ .
تل الشحم
١٥٣ ، ١٥٤ .
تهامة
١٩ .
توز
٢٠ .
تونس
١٤٥ .
- ث -
الثعلبية
٢٠ .
-ج-
جاوة
٧٦ ، ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جباب
١٥٢ .
جبل أبانين
١٢٥ .
جبل آجا
١٢٠ .
جبل حسّمى
١٢٣ .
جبل سلمى
١٢٠ .
جبل الطاقة
١٠٨.
جبل الغاير
١٠٣ .
جبل الفرول
١٢٣ .
جبال لبنان
١٤١ ز
الجداع
١٥٤ .
جدة
١٨، ٥٥ ، ١٤١ ، ١٥٦ ، ١٦٠ .
الجديدة
١٠١ .
جراده
١٤١ .
الجرف
١٠٧ .
جروف الدرويش
١٥٣ .
الجزائر
١٤٥ .
الجزيرة العربية
١٨ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤١ ،
جغيمان
٩١ .
جنائن القاضي
١٠٨ .
جنادل
٢٣ ز
جنينة الحلبي
جهر
٢٠ .
الجيزة
١٥٢ ، ١٥٨ .
- ح -
الحاجر
٢٠ .
حارة العمارة
١٥٣ .
حالة عمار
٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حايل
١٢٠ .
الحبشة
١٩ .
الحجاز
٣٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧
، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ،
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
الحجرية
١٠٥ ز
حدة (حداء)
١٤١ .
حرة الرهاة
١٢٣.
الحريم
١٥٣ .
الحسا
٩٠ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٥٣.
حسن
٢٣ .
حصن النبي موسى
٢٠ .
حضر موت
١٩ .
الحضيرة
٢٣ ، ١٥٤ .
الحفائر (الضريبة)
١٠٤ .
حلب
٢٤ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٦٥، ٦٧ ،
٨٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤١ .
حماه
١٣٣ ، ١٤١ .
الحمراء
١٠١ ، ١٢٣.
حمص
٦٥ ، ١٣٣ ، ١٤١ .
الحنك
٢٣ .
الحوراء
٢٣ .
حوران
٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٨٨ ، ١١٧ ، ١١٨
، ١١٩ ، ١٤١ .
حي الأكراد
٧٥ .
حي الميدان
١٣٢.
حيس
١٩ .
حيفا
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-خ-

خان أسعد باشا

٦١ .

خان التتن .

٦١ .

خان الجمرك

٦١ .

خان الحرير

٦١

خان الزبيب

١٥٢ .

خان الزيت

٦١ .

خان دنون

٢٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٩ .

خان سليمان باشا

٦١ .

خان الصدرانية

٦١ .

خان المغاربة

٧٥ .

خبب

١٥٢ ، ١٥٨ .

خربة الغزالة

١٥٢ ، ١٥٩ .

الخريمة

٢٠ .

خشم الصفا

١٥٤ .

خليج السويس

١٨ .

خليص

٢٣ ، ١٠٠ ، ١٠٢.

الخميس

١٥٣ .

الخنق

١٠٦ .

-د-

الدار البيضاء

٢٣ .

دار الحج

١٥٣.

الدار الحمراء(مفارش الرز)

٩٤ ، ١٢٤ ، ١٥٤.

داغستان

٧٦ .

درعا

٨٩ ، ٩٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ .

الدرعية

١٢٨ ، ١٣٢ .

الدرهمية

٢٠ .

دمشق

٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ،
٥٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ، ٧٣
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ،
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤
، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨
، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦١، ١٦٢ ، ١٦٤ .

دلي
١٢٠ .

ديار علي
١٥٢ .

حـــرف الـــذال

ذات الحج
٩٢ ، ١٠٨ ، ١٥٣ .

ذات عرف
٢٠

ذات عرق
٢٠ .

ذي سعد
١٥٣ ، ١٥٩ .

- ر -

رابغ
٢٣، ٢٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٥.

رأس القائم
١٤٠ .

الربذة
٢٠ .

الرغاء
١٤٠ .

الرغامة
١٤٠ .

رفع
١٩ .

الرمثا
٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٣٣ .

الرملة
١٥٤ .

رم يللي
٤٧ .

روسيا
١٤٥ .

الريان
٩٧ ، ١٠٢ .

- ز -

الزاهر
٨٠ ،

زبالة
٢٠ .

زبيد
١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزرقاء
٨٩ ، ١٠٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ .
ـ س ـ
السادات
٢٥ ، ٣٤ .
السخنة
٦٢.
سفرا
١٠١ .
السفينة
٢٣
سلى
٢٣ .
السليلة
٢٠ .
السمراء
١٥٢ .
سميرا
٢٠ .
السنانية
٢٥.
السنغال
٢٢
سهل المطران
١٠٨ ، ١٥٤.
السواقية
١٥٢.
سواكن
١٩ .
السودان
٢٢ ، ٥١ .
سوق الدرويشية
٣١ .
السويرجية (السويرقية)
١٠٥ .
السويس
٥٥ ، ٨٠ ، ١٣١ .
سيناء
١٨ .
ـ ش ـ
الشاغور
٢٥ ، ٣٤ .
الشام
٣١ ، ٣٣ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٣ .
شبه الجزيرة العربية
١٢٨ ، ١٤١ .
شحر
١٩.
الشراة
١٢٣ .
الشرفا
٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شط الفرات
٢٠ .
شعب النعام
٩٦ .
الشقوف
٢٠ .
الشيخ مسكين
١٢٠ .
ـ ص ـ
الصرب
٤٧ .
صرصران
٢٠ .
صفد
٣٨ .
صفوان
٢٠ .
صفينة (سفينة)
١٠٥ ، ١٢٦ .
صنعاء
١٩ .
الصنمين
٨٨ .
صور
١٦٣ .
الصومال
١٩ .
صيدا
٣٠ ، ٥٢ .
ـ ض ـ
الضبعة
١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٩ .
ـ ط ـ
الطائف
١٩ .
الطالع
١٥٤ .
طرابلس
٥٢ ، ٥٣ ، ١٤٠ .
طنطا
١٣٨ .
الطيرة
١٥٤ ، ١٥٩ .
ـ ظ ـ
ظهر الحمار
٢٣ .
ظهر الحمراء (دار الحمراء)
١٠٨ .
ظهر العقبة
٩٨ .
ظهر المغر(المغر)
٩٣ ، ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-ع-
عجرود
٢٣ ، ٨٠ .
عجلون
٣٨ .
عدن
١٩ ،
العذيب
٢٠ .
العراق
١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .
عسفان (عصفان)
٢٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
العقبة
٢٠ ، ٢٣ ، ٩٢ ، ١٥٣ .
العقبة الشامية
١٩ ، ٩١ .
عكا
١٣٢ ، ١٤٩ ، ١٦٣ .
عكرة
٢٣ .
العُلا
٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٥٤ .
العلمين
١٤٠ .
العلوه
٢٣ .
العماره
٢٥ ، ٣٤ .
عمان
١٨ ، ٩٠ ، ١٢٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .
١٥٢ .
عمق
٢٠ .
عنزة
١٥٣.
عُنيزة
٩١ ، ١٠٩ .
عين الزرقاء
عيون القصب
٢٣ .
- غ -
الغدير
١٠٢ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .
غدير الحج
١٥٣ .
غدير مسلح
١٠٥ .
غرابة
١٠٦ .
الغريرة
١٥٢ .
غزة
٧٢ ، ١٠٧ ، ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غمرة
٢٠ .
غور بيسان
١١٨ .
ـ ف ـ
فارس
٢٠ ، ١٣٨ .
الفحلتين (النخلتين)
٩٦ .
فرانكفورت
١٤٦ .
فلسطين
١٩ ، ١٢١ .
فيد
٢٠ .
ـ ق ـ
القائم
القادسية
٢٠ .
القاع
٢٠ .
قاع الصغير
٩٢ ، ١٠٨ .
قاع الشطية
٩٢ .
قاعة المقتلة
١٤٠ .
القاهرة
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٨٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
القدس
٣٨ .
القدم
٨٧ ، ١٥٢ .
القرعاء
٢٠ .
القصر
١٥٢ .
القصير
٨٠ .
القضيمة (القديمة)
٢٣ ، ٩٨ ، ١٠٢ .
القطرانة
٥٣ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ،
١٥٧ .
قطيع
١٩ .
القلبية
١٢٣ .
القلزم
١٨ .
قلعة آبار الغنم
١١٣ .
قلعة البلقاء
١٣٣ .
قلعة الأخيضر
١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلعة أم الدود
١٤٠ .
قلعة تبوك
١١٢.
قلعة الثديين
١٤٠ .
قلعة جغيمان
١١٣ .
قلعة ذات حج
١١٢ .
قلعة الشميسي
١٤٠ .
قلعة العبد
١٤٠ .
قلعة عكا
١١٣ .
قلعة عين الزرقا
١٣٣ .
قلعة القطرانة
١٣٣ .
قلعة الكتان
٣٠ ، ١٤٠ .
قلعة مدائن صالح
١١٣ .
قلعة مزيريب
١١١ .
قلعة معان
١١٣ ، ١٣٣ .
قلعة المعظم
٩٤ ، ١١٣ .
قلعة هدية
١١٣ .
قنا
٨٠ .
قناة السويس
٤١ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٦٣ .
قندهار
٧٦ .
القنفذة
١٢٥ .
قنوات
١٥٢ .
قونية
١٤١ .
– ك –
الكتيبة
٨٨، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١٢٠ .
كردستان
٢٠ .
الكرك
١٢٣ ، ١٥٧ .
كركوك
٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كرواتية
٤٧ .
الكسوة
٨٧ ، ٨٨ ، ١٥٢ .
كفرسوسية
٢٤ ، ٣٠ .
الكوفة
٢٠ .
– ل –
اللاذقية
٥٢ ، ١٤٠ ، ١٦٣ .
اللبن
١٥٢ .
اللجاة
١١٩ ، ١٢٠ .
لحج
١٩ .
– م –
ماليزيا
١٩ .
مانشستر
٦٠ .
مبرك الناقة
١٥٤ .
المحجة
١٥٢ .
المحطب
١٥٣ .
المحيط
١٥٤ .
مدائن صالح
٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ .
المدارج
١٥٤ .
المدورة ٩١ ، ١٠٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .
المدينة المنورة ١٠ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ .
مرسيليا
١٣٨ .

٦٤٣٣٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرقص السودان
٣٤ .
مزيريب
٢٥ ، ٤٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٨ ،
٨٩ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٩ .
المستبقة
١٥٣ ، ١٥٩ .
مستورة
١٠١.
المسلح
٢٠ .
المسمية
١٥٢ ، ١٥٩ .
المشهد
١٥٤ .
مصر
٨ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٦٨ ،
١٠٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٦٢ .
مصوع
١٩ .
معان
٩٢ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .
معدن بني سالم
٢٠ .
مغائر شعيب
٢٣ .
المغر (ظهر المغر)
٩٣ .
المغرب العربي
٢٣ ، ٥١ ، ١٤٥ ، ١٦٢ .
مغيثة
٢٠ .
مفرش البرابير
١٠٨ .
المفرق
٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٥٢ .
مكة
١٠ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
٢٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ،
٣٧ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٢ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
٩٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٣ ،
٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
١٠٤، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،
١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧،
١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢، ١٦٤ .
المنزل
١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصورية
١٩ .
منى
٦٦ .
المويلح
٢٣ .
الميدان
٢٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٨ .
ميناء جدة
١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٦٤ .
ميونيخ
١٤٦ .
- ن -
نابلس ٣٠ ، ٣٨ .
نجد ٦٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .
نصيب ١٥٢ ، ١٥٩ .
النقرة ٢٠ .
النمسا ١٣٧ .
النواطير ٢٣ .
- هـ -
الهدية
٣٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٢٩ ، ١٥٤ .
الهضاب
١٠٥ .
الهند
١٩ ، ٨١ ، ١٤٥ .
هولندا
١٣٧ .
- و -
وادي الأثل
١٥٣ ، ١٥٩ .
وادي الأثم
١٢٣ .
وادي الاخضر
١٠٨ .
وادي الأردن
١٤١ .
وادي التيم
٣٠ .
وادي الجردون
١٥٣ .
وادي الحسنا
١٩ .
وادي الرتم
١٥٣ .
وادي الرمان
١٢٥ .
وادي القرى
٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وادي الليمون
١٠٤ .
وادي المعظم
١٠٢ .
وادي حرشان
١٠٢ .
وادي فاطمة
٢٣ ، ١٠٠ .
واقصة
٢٠ .
الوجه
٢٣ ، ١٢٤ .
وفى
٢٣ .
- ي -
يكرد
١٩ .
اليمن
١٩ ، ٧٦ ، ١٠١ .
ينبع
١٠ ، ٢٣ ، ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit